دراسة في
الثقافة الإسلامية

د/ جمال نصار

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP

دراسة في الثقافة الإسلامية

د/ جمال نصار

هذا الكتاب

يتناول بعض المباحث فى الثقافة الإسلامية . نقدمه للامة الإسلامية المتعطشة لمعرفة ثقافتها الأصيلة فى ظل التحديات الفكرية و المبادئ المعروضة فى سوق الأفكار وهى كثيرة . ومروجوها يستخدمون شتى الوسائل لتزيينها وجعلها مقبولة للناس . وهم فى ذلك يريدون تمييع الثقافة الإسلامية . أو هدمها بالكلية

الهدف من هذا الكتاب هو : محاولة إيصال القارئ إلى التمسك بهويته الثقافية الإسلامية . واعادته إلى الوضع الذى كان عليه السلف الصالح . وإزالة الفجوة بين الماضى المشرق و الحاضر الأليم . والعمل على اجتياز هذه الفجوة مع مراعاة الجمع بين ثقافة الإسلام . وأطوار المدنية الحديثة . وبين حقائق العقيدة وآفاق العلم ومكتشفاته .

و الكتاب يحتوى على سبعة فصول . الفصل الأول حول مفهوم الثقافة ومصادرها . و الفصل الثانى عن خصائص الثقافة الإسلامية وآثارها على الفرد و المجتمع . والفصل الثالث حول العقيدة الإسلامية كأساس للثقافة الإسلامية و الفصل الرابع مخصص للحديث عن الحضارة الاسلامية وخصائصها . والفصل الخامس مخصص للحديث عن التيارات المعادية . وكيف نواجهها . والفصل السادس مخصص للحديث عن المرأة ومكانتها فى الإسلام . والفصل السابع حول طلب العلم وآدابه فى الإسلام . والفصل الثامن للحديث عن البناء الاجتماعى فى الإسلام . وعلاقة المسلمين بغيرهم . والفصل التاسع للحديث عن الثقافة الاسلامية وتحصين الهوية الثقافية والله أسأل أن يجعله فى ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

المؤلف

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP
الدمام - شارع المستشفى المركزي هاتف : ٨٤١١٣٩٥ / ٨٤١٣٠٠٠ فاكس : ٨٤٣٢٧٩٤
ص.ب : ٦١٠ الدمام ٣١٤٢١ المملكة العربية السعودية

دراسة فى
الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع القانوني:
الترقيم الدولي:

دراسة في الثقافة الإسلامية

د. جمال نصار

دكتوراة فى فلسفة الأخلاق الإسلامية
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

مكتبة المتنبى

بسم الله الرحمن الرحيم

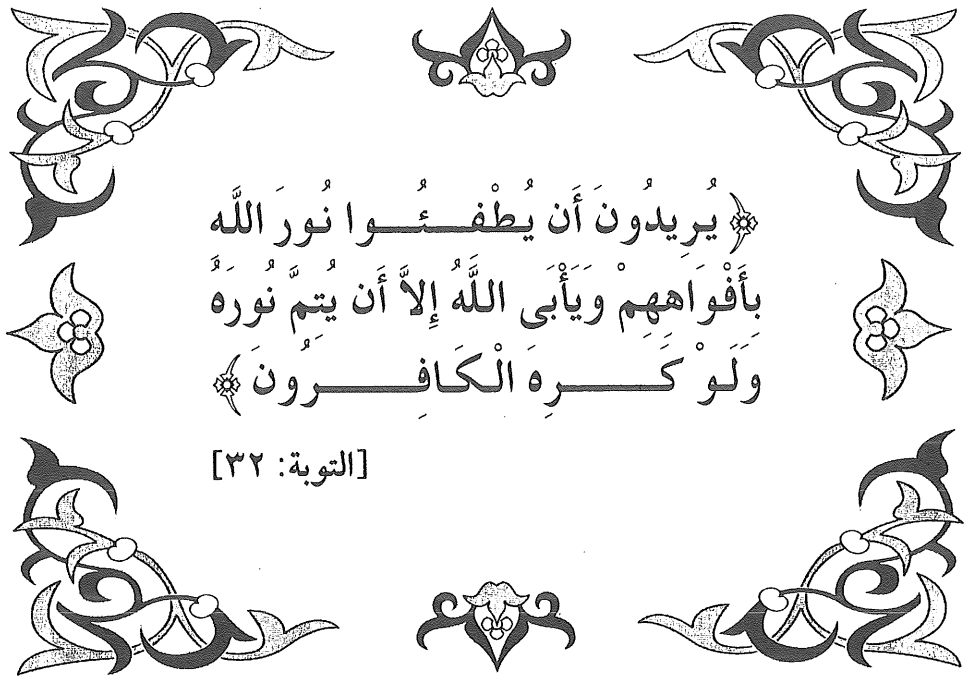

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ
بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[التوبة: ٣٢]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه على هذا النبى الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام ٣٨، ٣٩].

وبعد: فهذا كتاب «فى الثقافة الإسلامية» نقدمه للأمة الإسلامية المتعطشة لمعرفة ثقافتها الأصيلة فى ظل هذه التحديات الفكرية، والمبادئ المعروضة فى سوق الأفكار، وهى كثيرة، ومروجوها يستخدمون شتى الوسائل لتزيينها وجعلها مقبولة للناس، وهم فى ذلك يريدون تمييع الثقافة الإسلامية أو هدمها بالكلية.

وقد كتب فى الثقافة الإسلامية كثيرون، والهدف من كتاباتهم: تعريف القارئ للثقافة الإسلامية على مفهومها ومجالاتها وخصائصها ومصادرها وأصولها، وتصوره الشمولى للدين الإسلامى، ومعرفة الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام حول ثقافتنا الإسلامية وتزويده بفكر المواجهة والصمود والتحدى من خلال الجدل بالحجة والبرهان.

إن الهدف الأكبر من هذا الكتاب هو محاولة إيصال القارئ إلى التمسك بهوية الثقافة الإسلامية، وإعادته إلى الوضع الذى كان عليه السلف الصالح، وإزالة الفجوة بين الماضى المشرق والحاضر الأليم، والعمل على اجتياز هذه الفجوة، مع مراعاة الجمع بين ثقافة الإسلام وآخر أطوار المدنية، وبين حقائق العقيدة وآفاق العلم ومكتشفاته.

وهذا الكتاب يقع فى سبعة فصول :

- **الفصل الأول**: عرفت فيه الثقافة بوجه عام والثقافة الإسلامية بوجه خاص، والفرق بينها وبين الثقافات الأخرى، ومصادر الثقافة الإسلامية.

- **والفصل الثانى**: عن خصائص الثقافة الإسلامية، وآثارها على الفرد والمجتمع، وأسباب انحراف المسلمين فى هذا العصر عن الثقافة الإسلامية.

- **والفصل الثالث**: خصصته لدراسة العقيدة الإسلامية التى هى الأساس للثقافة الإسلامية.

- **والفصل الرابع**: مخصص للحديث عن التيارات المعادية، وكيف نواجهها بثقافتنا الإسلامية، من خلال الحديث عن المستشرقين والتبشيريين والعلمانيين، وافتراءاتهم.

- **والفصل الخامس**: مخصص للحديث عن المرأة فى الإسلام من حيث مكانتها فى الأمم السابقة، ووضعها ومكانتها فى الإسلام، ورد الشبهات التى أثيرت حول المرأة المسلمة.

- **والفصل السادس**: تحدثت فيه عن طلب العلم وآدابه فى الإسلام.

- **والفصل السابع**: خصصته للحديث عن البناء الإجتماعى فى الإسلام، وعلاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، ومبررات الحرب والقتال فى الإسلام، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتسامح الإسلامى مع غير المسلمين فى جميع أمور الحياة.

- ولقد حرصت على أن أقدم المادة العلمية بعبارة سهلة للتيسير والتوضيح، وذيل الكتاب بقائمة من المراجع والمصادر.

- والله أسأل أن أكون قد وفقت فى معالجة وحدات هذا الكتاب، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء، وعلى الله قصد السبيل.

المؤلف

الفصل الأول

- مفهوم الثقافة
- الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى
- العلاقة بين الثقافة والعلم، وبينها وبين الحضارة
- مصادر الثقافة الإسلامية

تمهيد:

هذا الفصل يعد بمثابة المدخل الى دراسة الثقافة، حيث سنتعرض فيه لمفهوم هذه اللفظة فى اللغة، ولمفهومها بوجه عام، ثم سنتحدث عن تعريف الثقافة الإسلامية، وأوجه الفرق بينها وبين الثقافات الأخرى، وعلاقة الثقافة بالعلم، وعلاقتها بالحضارة، ثم سنحاول الحديث عن مصادر ثقافتنا الإسلامية.

فهذا الفصل يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

مفهوم الثقافة

سنحاول فى هذا المبحث تعريف الثقافة بوجه عام، وتعريف الثقافة الإسلامية بوجه خاص، والفرق بينها وبين غيرها من الثقافات، ثم نتحدث عن العلاقة بين الثقافة وغيرها من المصطلحات ذات الصلة بها كالعلم والحضارة.

وسيكون ذلك فى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فى تعريف الثقافة

المطلب الثانى: الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى.

المطلب الثالث: العلاقة بين الثقافة والعلم، وبين الثقافة والحضارة.

المطلب الأول

تعريف الثقافة

تعريف الثقافة فى اللغة:

المتأمل للمعانى الواردة فى مادة «ثقف» فى اللغة يستخلص منها أن للثقافة عدة معان، منها الحذق والفطنة، يقال: ثَقف الشىء: حذقه، ورجل ثَقِف: أى حاذق فَهِم، وامرأة ثقاف: أى فطنة وحاذقة.

ومنها: الشدة، يقال: ثقف الخل، أى حموضته.

ومنها: الظفر والانتصار، يقال: ثقفه، أى صادفه وظفر به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] أى: ظفرتم بهم.

ومنها: التسوية والتأديب، يقال: ثقف الشيء، أقام المعوج منه وسواه، والإنسان أدبه وهذبه.

- ومن هذه المعانى نستنتج أن المعنى اللغوى لمادة (ثقف) هو: الحذق والفطنة، والشدة، والظفر والانتصار، والتسوية والتهذيب والتأديب، وتقييم المعوج من الأشياء، وإدراك الشيء والحصول عليه[١].

تعريف الثقافة بوجه عام:

تعرف الثقافة بأنها: (مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها)[٢].

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ: أن الثقافة أصول ثابتة تنغرس فى نفس الإنسان منذ مولده ونشأته الأولى حتى يشارف حد الإدراك فتشمل كل ما يتلقاه عن أبويه وأهله وعشيرته ومعلميه حتى يصبح قادرًا على أن يستقل بنفسه وبعقله[٣].

وقد عرفها البعض بأنها: (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التى تؤثر فى الفرد منذ ولادته، وتصبح العلاقة التى تربط سلوكه بأسلوب الحياة فى الوسط الذى ولد فيه)[٤].

تعريف الثقافة الإسلامية:

لما كان لكل أمة ثقافة خاصة بها فلابد أن نضع مفهومًا خاصًا لثقافتنا الإسلامية.

---

(١) انظر فى تعريف مادة (ثقف): لسان العرب: مادة (ثقف). القاموس المحيط: مادة (ثقف). معجم مقاييس اللغه: مادة (ثقف). الفائق فى غريب الحديث: الزمخشرى ١/ ٤٧١.

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٩٨.

(٣) فى الطريق إلى ثقافتنا: أحمد محمد شاكر، ص١٠٧.

(٤) مشكلة الثقافة: مالك بن نبى، ص٧٤. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د.عمر الأشقر، ص٢٠

وقد كثرت التعاريف للثقافة الإسلامية وتعددت، وسنكتفى بذكر تعريف لها ينسجم مع كونها نظرية للسلوك والقيم والعلاقات الاجتماعية، فنقول إن الثقافة الإسلامية هى: (مجموعة من الصفات والخصائص المكتسبة المهذبة بالعلم والمعرفة، المستمدة من التعاليم الإسلامية والمنهج الربانى بقصد سعادة الفرد والمجتمع)[1]. فالثقافة الإسلامية بهذا المفهوم يقصد بها: المفاهيم الصحيحة عن الله، والكون، والإنسان، والحياة.

- عن الله -سبحانه- كخالق للكون، ومدبر لشئونه.
- وعن الكون كمسخر لانتفاع البشر.
- وعن الإنسان كمستخلف فى الأرض لاستعمار الكون، ومسئول عن تصرفاته.
- وعن الحياة كمجال للعمل البشرى على أسس إسلامية[2].

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الثقافة الإسلامية تشمل موضوعات الإسلام وموضوعات الحياة كافة، من عقيدة إسلامية، وشعائر تعبدية، وتشريعات عملية، وأخلاق.

المطلب الثانى

الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى

من خلال تعريفنا للثقافة الإسلامية والثقافة بوجه عام، يظهر لنا أن ثمة فروقًا بين ثقافتنا الإسلامية وغيرها من الثقافات تتمثل فى الآتى:

أولاً: الثقافة الإسلامية قائمة على تعاليم الإسلام، فالإسلام هو الذى يشكل قيم الأمة الإسلامية، ويصوغ عقولها وتصوراتها وعقيدتها، ويبنى نفوس أفرادها،

(١) الثقافة الإسلامية: عبدالرحمن الشافعى، ص٣. دراسة فى الثقافة الإسلامية: أمير عبدالعزيز، ص١٧. رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر، ص ١١١.

(٢) محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، ص ١٥.

ويصلح قلوبهم، ويوجههم الوجهة الصالحة فى الحياة، ويعرفهم بالخير والشر، والحق والباطل[١].

أما ثقافات الأمم الأخرى فهى قائمة على خليط متنوع من العادات والأعراف والتقاليد، والتوجهات التى وضعها مفكروها، وقد يكون متضاربًا متعارضًا، تختلط فيه العقائد والنظريات والعادات والقيم، ومن هنا يوجد الخلل فى ثقافات الأمم الأخرى[٢].

ثانيًا: الغاية من الثقافة الإسلامية روحية ومادية، فهى وسط، لأن الإسلام وسط يجمع فى أحكامه وتوجيهاته بين الناحية الروحية والناحية المادية.

والثقافات الأخرى تقتصر على الجانب المادى فقط، فليس فيها شىء من الأخلاق والوجدانيات[٣].

ثالثًا: الثقافة الإسلامية تقوم على الحجة والبرهان والإقناع، لأنها من عند الله الحكيم الخبير، فهى تعتمد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والثقاف١٣ات الأخرى لا تتضمن هذه المزايا التى لمسناها فى ثقافتنا الإسلامية، فمصدرها عقول البشر، والبشر يخطئون[٤].

رابعًا: الثقافة الإسلامية قائمة على الجوانب الأخلاقية التى تطهر النفوس من الرذائل وقبائح الأمور حرصًا على مصلحة المجتمع المسلم.

والثقافات الأخرى تهمل الجوانب الأخلاقية ولا تقيم لها وزنًا، ولذلك نرى الانحلال والسفور فى هذه الدول التى تعتنق الثقافات الوضعية[٥].

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د.عمر الأشقر، ص٢٤. لمحات فى الثقافة الإسلامية: محب الدين الخطيب، ص٢٩.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، ص ١٦. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: عبدالكريم زيدان، ص ٣٥.

(٤) الوجيز فى الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد، ص ١٦.

(٥) الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية، د. محمد المبارك، ١/ ١٥.

خامسًا: الثقافة الإسلامية عالمية، لأن الإسلام عالمى، وعلى هذا فهى صالحة لكل الناس، فى كل زمان ومكان.

والثقافات الأخرى ثقافات إقليمية، فلكل دولة ثقافتها التى تصلح لها ولا تصلح لغيرها من الدول الأخرى(١).

هذه أهم الفوارق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، ومن خلالها نؤكد القول: إن الثقافات الأخرى لا تماثل الثقافة الإسلامية ولا تدانيها، بل لا يصح القياس عليها، فشتان بين ثقافة هى من عند الله، وأخرى من وضع البشر.

المطلب الثالث

العلاقة بين الثقافة والعلم، وبين الثقافة والحضارة

تحديد المفاهيم و المصطلحات ركن أساسى من الفهم الدقيق، وزاوية مهمة فى وضوح التصورات لهذه المصطلحات. وبعد تعريفنا للثقافة فإن الحديث يفرض علينا أن نميز بينها وبين المصطلحات الأخرى، ونحدد العلاقة بينها وبين هذه المصطلحات، وما الثمرة المترتبة على هذة العلاقة. وسنحاول هنا أن نتحدث عن نوعين من المصطلحات وعلاقة الثقافة بهما وهما: العلم، والحضارة.

العلاقة بين الثقافة والعلم:

الحديث عن ذلك يكون فى عدة نقاط تتمثل فى: تعريف العلم، والفرق بين العلم والثقافة، والثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالعلم.

أولاً: مفهوم العلم:

العلم فى اللغة: يطلق على المعرفة، يقال: علمت الشىء أى: عرفته، ويطلق على اليقين، وعلى إدراك الشىء (٢).

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية، ص ١٧.

(٢) لسان العرب ١٥/ ٣١٠ -مادة (علم). المعجم الوسيط ٢/ ٦٢٤- مادة (علم).

العلم فى الاصطلاح: هو مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل الإنسانى فى مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، والمحررة بالامتحانات المتكررة[1].

ومن خلال هذا التعريف نقرر: أن العلم عبارة عن مجموعة مسائل كلية تجمعها وحدة واحدة، كعلم الكلام، وعلم الطب، وعلم الهندسة، وعلم اللغة، وعلم الفيزياء... إلخ[2].

ثانياً: الفرق بين العلم و الثقافة:

من خلال التعريف السابق للعلم وتعريفنا للثقافة يتضح لنا أن هناك فروقاً بينهما تتمثل فى الآتى:

١- أن العلم تراث إنسانى عالمى، لاتختص به أمة من الأمم، وبالتالى يمكن تداوله وتبادله بين الأمم دون قيد أو شرط.

أما الثقافة: فإن لكل أمة ثقافتها الخاصة بها، فالأمة الإسلامية لها ثقافتها التى تشكل شخصية الفرد والأمة، وتميزها عن غيرها، ومتى انسلخت الأمة الإسلامية من ثقافتها التى تتمثل فى قيمها وأخلاقها وتشريعاتها وآدابها، فإن ذلك مؤذن بزوالها.

٢- أن كلا من الثقافة والعلم معرفة، ولكن طريقة الوصول إلى المعرفة فى أى منهما تختلف عن الأخرى. فطريقة الوصول إلى العلم هى الطريقة العلمية التى تقوم على التجربة والملاحظة والاستنتاج. أما طريقة الوصول إلى الثقافة فهى الطريقة العقلية القائمة على التلقى والإخبار والاستنباط.

٣- أن العلم وظيفة العلماء فقط، أما الثقافة فهى من مهام الرسل والمفكرين والعلماء وغيرهم.

هذه أهم الفروق بين الثقافة والعلم بوجه عام.

(١) منهج الثقافة الإسلامية: محب الدين الخطيب، ص١٠. الثقافة والثقافة الإسلامية: سميح الزينى، ص٣١.
(٢) محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، ص١٤. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: الأشقر، ص٢٥.

ومن المسلَّم به أن الثقافة الإسلامية يرسخها العلم الصحيح، إذ يبعدها عن سيطرة الأفكار الأجنبية الدخيلة التى تخالف عقيدة المسلم الصافية من الأغلاط أو الشبهات[1].

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالعلم[2]:

علاقة الثقافة بالعلم تترتب عليها ثمرات وآثار يمكن ذكرها فيما يلى:

١- أنه يترتب عليها تحديد موقف المسلمين من التعامل مع ثقافات الأمم الأخرى وعلمها، والقضاء على مواقف الحيرة والتخبط من هذه الثقافات.

٢- أن التعامل مع الثقافات الأخرى يكون بحذر ووفق ضوابط وشروط، لأن هذه الثقافات ربما تحمل أفكاراً مخالفة للإسلام، فقد يكون فيها كثير من الدس والتحريف، وبخاصة فى العلوم الإنسانية.

٣- إدراك دور العلوم الإسلامية فى بناء ثقافتنا الإسلامية، وتشكيل شخصية المسلم، وتميز هوية الأمة الإسلامية بين الأمم.

٤- إدراك أن الثقافة لاتستغنى عن العلم الصحيح، وأن العلم الصحيح يخدم الثقافة ويرشدها، فبهما معاً تتكون شخصية المسلم الواعد المستنير.

العلاقة بين الثقافة والحضارة:

كلمة (الحضارة) يكثر استعمالها فى مجال الحديث والتأليف والندوات والمؤتمرات، مثلها فى ذلك مثل كلمة(الثقافة).

والكثير من الناس يخلطون بين الحضارة والثقافة، وهذا الخلط يؤدى إلى التداخل والتشويش بينهما، لذلك يجب تحديد مفهوم الحضارة والفرق بين الثقافة والحضارة، والثمرة المترتبة على هذه العلاقة.

---

(١) منهج الثقافة الإسلامية، ص١٠. الإيمان والحياة: د. القرضاوى، ص٣٢٨.

(٢) نظرات فى الثقافة الإسلامية: عز التميمى ورفاقه، ص١٢. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، أحمد صبحى العبادى، ص٣٢.

أولاً: مفهوم الحضارة:

الحضارة في اللغة: ضد البداوة، والحضر خلاف البدو. والحاضر: المقيم في المدن، والحضر سكان المدن، والبدو سكان الصحراء. ويستفاد من هذه المعاني اللغوية أن الحضارة حالة تمدن ورقي ونمو واجتماع وألفة، بعكس البداوة التي هي حالة جهل وغربة وجفاء[1].

الحضارة في الاصطلاح: تطلق الحضارة على الحصيلة الكلية التي تبلغها كل أمة في الرقي العلمي والفني، والأدبي والاجتماعي[2].

كما تطلق كلمة (الحضارة) على: كل ما ينشئه الإنسان في كل دروب الحياة، عقلاً وخلقاً، مادة وروحاً، دينا ودنيا[3].

ومن هذه الإطلاقات نخلص إلى أن:

الحضارة: هي قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه، وهي في ذات الوقت تراث الأمة والجماعة[4].

ثانياً: الفرق بين الثقافة والحضارة:

أهم الفوارق بين الثقافة والحضارة هي:

١- أن الثقافة تطلق على الجانب الروحي والفكري، فهي إطار اجتماعي من العقائد والقيم وأشكال السلوك، التي تطبع الأفراد في مجتمع ما بطابعها.

أما الحضارة فتشتمل على الجانب الروحي والجانب المادي معًا[5].

٢- تعد الثقافة قاعدة الحضارة وأصلها، والمكونة لتوجيهاتها، والحاكمة لغايتها.

(١) المصباح المنير: مادة (حضر). النهاية ١/ ٣٩٩. عمدة الحفاظ ١/ ٤٩٠.

(٢) المقدمة، ابن خلدون ص١٧٢. بين الحضارة وأزمة العالم اليوم: علي القريشي، ص٦.

(٣) الوجيز في الثقافة الإسلامية ص٢٩. الثقافة والحضارة والمدنية: حازم مشتاق، ص٢.

(٤) محاضرات في الثقافة الإسلامية ص١٧. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص٤٢.

(٥) المراجع السابقة.

٣- أن الحضارة والثقافة بينهما عموم وخصوص وجهى، يجتمعان فى شىء ويختلفان فى أشياء، ولكن الثقافة أشمل لأنها ذات علاقة مباشرة بالدين والعلوم الدينية، أما الحضارة فمنصبة على الإنجازات البشرية والأعمال الفنية والبناء والعمارة والبحث.

ثالثاً: الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالحضارة:

١- الثقافة هى أصل الحضارة، فإذا كانت ثقافة الأمة صالحة فى معتقداتها وأخلاقها وقيمها وتشريعاتها، كانت حضارتها حضارة سوية، حضارة صالحة مستقيمة، فنجدها ترتقى بعلومها وعمرانها، واستخراج خيرات الأرض، وبناء القوة لتحقيق الأهداف النبيلة(١).

٢- أن كلاًمن الثقافة والحضارة متلازمان، لأن كلاً منهما خاص بالأمة.

٣- تحديد موقف المسلمين من ثقافات الأمم الأخرى وحضاراتهم، ومعرفة ما يمكن أخذه وما يمكن تركه.

٤- أن غاية الحضارة والثقافة الارتفاع بالحياة الإنسانية، والحياة الإنسانية معقدة الجوانب، فمنها حياة فكرية عقلية، وحياة مادية عملية معاشية، وحياة اجتماعية، والحضارة والثقافة الصالحة ترتفع بهذة الجوانب كلها وتعدل بينها(٢). وبهذا يتضح الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة(٣).

رابعاً: حضارة الإسلام هى الحضارة الحقة:

على مر التاريخ الإنسانى وجدت الحضارات وتعددت، ومنها ما كانت صالحة تركت آثارها الإيجابية لما جاء بعدها من حضارات، ومنها ما كانت غير صالحة، بل قائمة على الشرك والضلال، والإفساد فى الأرض، على الرغم مما وصلت إليه من مخترعات كحضارة اليونان والرومان والفراعنه، فبالرغم مما شيدوه من قصور

(١) الإسلام والحضارة الغربية: محمد حسين، ص٨. الإيمان والحياة ص٣٢٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١١٢٤.

(٣) الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية: د. محمد المبارك، ص٣٩.

ومعابد، وما أقاموه من قلاع وحصون، وما توصلوا إليه من مخترعات وأسرار علمية، إلا أن كل ذلك باطل، لأنها حضارات قامت على الشرك والوثنية وحادت عن طريق الحق فاستحقت أن تبيد وتهلك كحضارة عاد وحضارة فرعون[1]، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦- ١٤].

أما حضارة الإسلام فهى الحضارة الحقة التى بهرت العالم كله على مر التاريخ، والتى تتلمذ غير المسلمين عليها وأخذوا منها، وطبقوها على بلادهم. ولم لايكون الأمر كذلك وهى حضارة القرآن والسنة، والعلماء المسلمين الذين بلغوا الشأو فى التقدم والعمران فى جميع ميادين الحياة من خلال عقولهم وأفكارهم التى لا تحيد عن تعاليم الإسلام، ولذلك هيأ الله لها البقاء[2].

ولكن-وللأسف- لقد غاب عن كثير من المسلمين اليوم كل هذا، فقد بهرتهم حضارة الغرب، فظنوا أنها الحضارة الحقة، وأصيبوا بالهزائم النفسية، وظنوا بالحضارة الإسلامية الظنون. لقد غاب عن هؤلاء المبهورين بحضارة الغرب أن حضارتنا الإسلامية على الرغم مما أصابها لاتزال قائمة تناطح كل الحضارات. إن كل مسلم لايشك لحظة واحدة فى أن الرعيل الأول من المسلمين هم أصحاب الحضارة والمدنية، وهم لم يشيدوا ناطحات السحاب، ولم يخترعوا ما اخترعه غيرهم، ولكنهم هم الأرقى والأعلى والأفضل فى الحضارة والمدنية.

نعم عندما هيئت للمسلمين الإمكانات والقدرات بنوا حضارة مادية عظيمة فاقت الحضارات، لكنها قامت على أصول قوية من الإيمان و التوجه إلى الحق[3].

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: الأشقر، ص٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٣١.

(٣) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص٢٩.

المبحث الثانى

مصادر الثقافة الإسلامية

لما كانت الثقافة بوجه عام حركة واقعية وتنشئ القيم والاتجاهات ومظاهر السلوك الاجتماعى، فإن مصادر هذه الحركة لم تظهر دفعة واحدة، ولم تظهر فى مكان واحد ولا من جهة واحدة، ولابد أن تكون نامية متطورة. ومصادر ثقافتنا الإسلامية يمكن حصرها فى: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامى، واللغة العربية. هذه هى المصادر التى تعتمد عليها الثقافة الإسلامية، والتى من خلالها تتميز هذه الثقافة بكونها قادرة على الفرز فى أى مرحلة تاريخية. وسنحاول -فيما يلى- تناول هذه المصادر بالتفصيل:

المصدر الأول: القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للثقافة الإسلامية، والمصادر الأخرى منبثقة عنه، ومرتبطة به، وهو أساس الإسلام فى مناهجه وعلومه، وحقائقه وتصوراته، وتبدو منزلة القرآن الأولى فى الإسلام من كونه كلام الله تعالى، وكلام الله هو الأساس والأعظم، والحاكم المهيمن على كلام البشر، ولابد أن يلتزم كلام البشر به، وأن يرجع إليه[1]..

وقد منَّ الله على المسلمين بالقرآن فجعله تبياناً لكل شىء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

و«التبيان» مشتق من البيان، فالله الحكيم جعل فى القرآن الكريم بياناً وتوضيحاً لكل ما احتاج المسلمون إلى بيانه وإظهاره وتوضيحه، فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم.

وأول مبيِّن لما فى القرآن الكريم من وجوه البيان هو رسول الله ﷺ، الذى جعل الله من مهمته بيان هذا للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

(١) النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، ص٩، الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص٤١.

وإذا كانت الثقافة الإسلامية تستمد قوتها من القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول لها، فلا مرية فى ذلك وهو الكتاب الذى يحتوى على العقيدة والهداية والتربية والتعليم، والذى به مُيزت الأمة الإسلامية وفضلت، والتى استحقت أن تنعت بأفضل نعت وأعظم وصف[1]. فيقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠]

لقد جعل الله القرآن الكريم دعوة للحياة العزيزة الطيبة، وإذا كان كذلك فإن الأمة الإسلامية تظل وحدة متماسكة بفضل مصدر الثقافة الأصيل الذى أثر فى عقول أبنائها وأفكارهم وميولهم وسلوكهم[2].

إن للقرآن الكريم مقاصد أساسية يحققها فى حياة المسلمين، أفراداً وجماعات، تنهل منها ثقافتنا الإسلامية وتكون مميزة وبفضله بها، ومن أهم هذه المقاصد القرآنية:

١- هداية الناس جميعاً إلى الله: بإخراجهم من ظلمات الكفر والجاهلية إلى نور الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]

٢- إيجاد الشخصية القرآنية المتكاملة والمتوازنة: بتربية أفراد الأمة على تعاليم القرآن، والعمل بها، والسير على الطريق المستقيم. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

٣- إيجاد المجتمع القرآنى الربانى الملتزم بتوجيهات القرآن وحقائقه: والذى يجعل منهاج الحياة فيه تطبيقاً لأحكام القرآن، هذا المجتمع يكون عزيزاً كريماً، طيباً سعيداً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن: صلاح الخالدى، ص٧٦. التبيان فى علوم القرآن: الصابونى، ص١٣.
(٢) مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص٧٨ وما بعدها.

٤- قيادة الأمة الإسلامية فى مواجهة أعدائها: فالقرآن الكريم يعرف الأمة الإسلامية على سر حياتها، وعلى عناصر القوة فيها، كما يعرفها على أعدائها، ويدلها على أسباب النصر، ويأخذ بأيديها إلى الرفعة والسيادة والنصر(١).

المصدر الثانى: السنة النبوية:

السنة: هى المصدر الثانى بعد كتاب الله تعالى، والاعتماد على ما فاضت به السنة النبوية من تعاليم وأحكام أمر ضرورى فى بناء الثقافة الإسلامية، وذلك لأن القرآن الكريم جاء بالعموميات والكليات تاركًا ما وراء ذلك من التفصيل والبيان إلى سنة رسول الله ﷺ(٢).

وإذا كان المسلمون يعتمدون فى الأصل على مصدرية القرآن الكريم للثقافة الإسلامية، فإنهم يستمدون هذه الثقافة من السنة المحمدية، فمن سنة النبى ﷺ يستمد المسلم القيم والعادات والسمات الشخصية، وكما قلنا: إذا كان القرآن قد أصَّل وأسس فإن السنة قدمت التفاصيل والدقائق، وحملت إلى البشرية أنموذجا بشرياً قرآنياً فريداً جعله الله أسوة حسنة وقدوة صالحة(٣).

لقد تركت سنة النبى ﷺ آثارها العميقة فى العالم أجمع وعلى مر العصور(٤).

لقد أثرت السنة النبوية فى الثقافة الإسلامية باعتبارها المصدر الثانى لها بتأثيرات كثيرة، ولا نستطيع فى هذه العجالة أن نتتبعها كاملة، ولكن سنذكر أطرافاً من هذه الآثار:

١- إن السنة النبوية تؤكد وتنشئ مجموعة ضخمة من القيم والأهداف والمعايير، وهى تشكل قواعد ملزمة، وتحدد مبادئ الحياة وقواعدها، وذلك فى جميع المجالات: فى ميدان الفرد، وميدان المجتمع، وميدان الدولة، وبعضها فى

(١) التبيان فى علوم القرآن ص١٤. الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، ص١٢١.
(٢) الرسالة: للشافعى، ص١١٢. الموافقات، الشاطبى، ٢/ ٢٨. كشف الأسرار ٤/ ٢٧.
(٣) الفكر المنهجى عند المحدثين: د. همام عبد الرحيم سعيد، ص٣٠. مفتاح السنة: عبد العزيز الخولى، ص١١.
(٤) المرجعان السابقان.

السلم، وبعضها فى الحرب، وفى هذا كله تنمية للثقافة الإسلامية[١]، والأحاديث الدالة على ما ذكرنا كثيرة وهى قواعد عامة ومصادر أصيلة، ومنها:

- قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٢].

- وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة**»[٣].

- وقوله ﷺ: «**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٤].

- وقوله ﷺ: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ**»[٥].

٢- إن السنة تؤكد وتبين طرائق المعرفة الصحيحة، وتجفف منابع الأوهام والأساطير، وتطالب بالدليل والمنطق السليم.

٢- إنها تنشئ منظومة واسعة من الأخلاق العملية السلوكية، وتستخدم لذلك وسائل التربية الناجعة وأساليبها النافعة[٦].

ولكون السنة النبوية مصدرًا للثقافة الإسلامية فقد عنيت بها الأمة الإسلامية بعد كتاب الله تعالى أشد عناية، وتناقلها الناس خلفًا عن سلف إلى يومنا هذا بغاية من الدقة والإتقان والحفظ والأمانة، فالسنة النبوية هى سر أصالة الثقافة الإسلامية وعظمتها، وشمولها لكل ما ينفع وينظم المجتمع على أسس متينة تضمن لكافة الناس الأمن والرخاء والسعادة[٧].

---

(١) أصول الفقه: عبد الوهاب الخلاف، ص٤٠.

(٢) صحيح البخارى- حديث رقم ١. صحيح مسلم- حديث رقم ١٩٠٧.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٢٩٧. الترمذى - حديث رقم ١٩٢٦. أبو داود- حديث رقم ٤٩٤٤.

(٤) صحيح البخارى- حديث رقم ٢٦٩٧. صحيح مسلم- حديث رقم ١٧١٨.

(٥) سنن أبى داود- حديث رقم ٤٦٠٧. سنن ابن ماجة- حديث رقم ٤٣. سنن الترمذى- حديث رقم ٢٦٧٦ وقال عنه: حديث صحيح.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٣٥. السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: د. مصطفى السباعى، ص٩.

(٧) أضواء على السنة المحمدية ص١٣.

المصدر الثالث: الفكر والتراث الإسلامى:

الفكر من أخص خصائص الإنسان، وتعد أفكار العلماء المسلمين على مر العصور من مصادر الثقافة الإسلامية[1].

والتراث الإسلامى وهو ما خلفه لنا السلف من العادات والقيم والأخلاق والأفكار والوسائل وأنماط الحياة فى جميع جوانبها، مصدر من مصادر الثقافة الإسلامية[2].

وسنتناول الحديث عن الفكر الإسلامى والتراث الإسلامى كمصدرين للثقافة الإسلامية فى الآتى:

أولا: الفكر الإسلامى:

للثقافة الإسلامية فكر مميز عن غيرها من الثقافات، ولها مفكروها الذين أخذت عنهم مبادئها على مر العصور.

إن الفكر فى ثقافتنا الإسلامية ينطلق من قواعد ثابتة راسخة وذلك للأمور الآتية:

١- لكونه فريضة إسلامية: فالإسلام يجعل التفكير عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، ويؤجر على هذا التفكير قبل أن يصل إلى نتائجه ومنافعه، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ولقد نبه القرآن الكريم المسلم إلى أدوات الفكر ووسائله وأساليبه، فأعطاه الثقة بعقله وبحواسه.

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية: د. همام سعيد وآخرون، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق ص٦٢.

أما الفكر فى الثقافات الأخرى فإنه يأتى نتيجة حاجة أو دافع دنيوى، لتحسين الحياة وحل مشكلاتها[١].

٢- إن الفكر وإعمال العقل من وسائل فهم الشريعة واستنباط الأحكام التى لم يرد بها نص، ولذلك كان الاجتهاد من العلامات البارزة التى أحالت عليها الشريعة الكثير من الأحكام[٢].

٣- إن الفكر والتفكير ينطلقان من مبادئ شرعية، وهذه المبادئ تصون التفكير من الشطط والانحراف[٣].

ثانيا: التراث الإسلامى:

يعد التراث من مصادر الثقافة الإسلامية، فالتاريخ والآداب والعادات والأعراف كل هذا من التراث.

وإذا كنا جعلنا التراث مصدرًا للثقافة إلا إنه ليس مصدرًا على إطلاقه، وإنما تأتى مصدريته فى ظل نظرية (تتخير من التراث وتدع). وذلك لأن التراث ينتقل من جيل إلى جيل بشكل تلقائى، وفى الغالب من غير وعى. وقد ينقل أحدنا ما ينفع وما يضر، وما يعقل وما لا يعقل، والثقافة الإسلامية تأخذ منه ما يتلاءم مع كينونتها المنبثقة فى الأساس من القرآن والسنة[٤].

المصدر الرابع: اللغة العربية:

اللغات عامة واللغة العربية خاصة ذات أهمية عظمى فى حياة الإنسان، فبها تعرف العلوم وتحفظ، وبها يتواصل المرء مع غيره[٥].

واللغة العربية هى الوعاء الذى حفظ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

---

(١) محاضرات إسلامية هادفة: عمر الأشقر، ص٨٥.

(٢) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص٦٠.

(٣) المرجع السابق ص٦١.

(٤) المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد العيادى، ص٤٨.

(٥) أسرار البلاغة ص٢. الثقافة الإسلامية: صالح هندى وآخرون، ص٨٠.

وتعد اللغة العربية مصدرًا من مصادر الثقافة الإسلامية. وذلك للأسباب التالية:

١- لدورها فى تشكيل عقلية أصحابها فى طريقة التفكير والتفقه عن الآخرين، والبيان عما يجول فى القلب من معانٍ، وأوضح ما يكون الأمر عندما يتعلق بالكتاب والسنة وما دُوّن فى العلوم باللغة العربية[١].

٢- إنها -أى اللغة- أحد مقومات الوحدة العربية، فالعرب على اختلاف ديارهم يستطيعون التواصل فيما بينهم إذا ما تحدثوا بالفصحى.

ولما كانت اللغة العربية هى لغة القرآن، فإننا نجد المسلمين من غير العرب، يقدمون على تعلمها وتفقهها لأنها لغة القرآن.

٣- إنها لغة العلم عند العرب، فكل علومنا مصاغة بهذه اللغة، وميراثنا العلمى فيما يتعلق بالشريعة وغيرها لا يمكن الوصول إليه من غير فقه وإتقان للعربية، فهى لغة ثقافتنا فيجب المحافظة عليها[٢].

التآمر على اللغة والكيد لها:

لما كانت اللغة العربية من مصادر ثقافتنا الإسلامية، وأنها لغة القرآن، وأنها أفضل اللغات فقد تآمر عليها أعداء الإسلام بأشكال مختلفة، وكادوا لها بألوان من الكيد وذلك عن طريق:

- الدعوة إلى ترك هذه اللغة، وإحلال اللغات واللهجات العامية مكانها فى مختلف البلاد، وقد قاد هذه الحملة المستغربون من بنى جلدتنا، وساندهم المستعمرون، وبذلوا فى سبيل ذلك جهودًا خارقة، ولكنها -ولله الحمد- باءت بالفشل.

---

(١) الثقافة الإسلامية: عبد الرحمن الشافعى، ص١٢. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: عبد الرحمن النجلاوى، ص٦٨.

(٢) مدخلات فلسفية فى الإسلام والعلمانية: سيد محمد عطاس، ص٧١. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، ص٦٢.

- الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية لكى يبتعد المسلمون عن هذه الثروة الضخمة من الكتب المصاغة بالحروف العربية.

- تدريس العلوم فى بعض أو أكثر الدول العربية باللغات الأخرى، وكأن لغتنا الجميلة التى أنزل الله بها قرآنه، وحفظت علوم البشر أصبحت عجوزًا عقيمًا، لا تصلح للعلم، وتلك فرية، وأى فرية.. يتوهم من يدعى هذا، يتوهم من يتصور أن لغة القرآن سيأتى عليها يوم لتكون من هذا التراث الذى لا ينظر إليه، أو لتكون من الماضى، لأن الله حافظها، فهى لغة القرآن، والقرآن حفظه الله، وبالتالى فاللغة التى نزل بها محفوظة[1].

خلاصة: هذه هى مصادر ثقافتنا الإسلامية، وهى مصادر حيوية، ومرنة، وقادرة على العطاء، وإصدار الأحكام فى أحلك الظروف وأصعبها، وتقديم العلاج وحل المشكلات لكل ما يواجه المجتمع المسلم من صعوبات.

إن أصالة ثقافتنا الإسلامية تنبع من اعتمادها على تلك المصادر، ومن هذه الأصالة يتحرك ويتفاعل المجتمع المسلم فى تقاليده وأعرافه وقيمه، كما يتحرك الفرد فى سلوكه، وأمانته، وانضباطه الذاتى، وإقباله على الصحيح من الأعمال، فى ظل هذه الثقافة الربانية القائمة فى الأساس على الكتاب والسنة.

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، ص٦٥.

الفصل الثانى

- خصائص الثقافة الإسلامية
- أثر الثقافة الإسلامية فى الأمة والفرد والمجتمع
- انحراف المسلمين عن الثقافة الإسلامية وأسبابه

تمهيد:

للثقافة الإسلامية خصائص تنفرد بها، وهى إذا أخذها المسلم وطبقها على خير وجه كان لها أثرها فيه، بل إنها تؤثر على الأمة والمجتمع بأسره.

وفى هذا العصر انحرف بعض المسلمين عن ثقافتهم، مما أصاب الأمة بالوهن والضعف، وطمع الطامعين.

وفى هذا الفصل سنتحدث عن هذه الخصائص، والآثار، وأسباب الانحراف، وذلك فى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

خصائص الثقافة الإسلامية

للثقافة الإسلامية خصائص اختصت بها، وميزتها عن غيرها من الثقافات الأخرى، وجعلت لها قواعد وأصولاً، ولها أبعاد ومجالات، ولها ثمرات ونتائج، ولها أثر مباشر على الثقافات الأخرى.

وهذه الخصائص جاءت بها الثقافة الإسلامية من الإسلام، لأنه دين متميز، وهو خاتم الأديان، والناسخ لما سبقه منها، فلا غرابة أن يصبغ الإسلام الثقافة الإسلامية بصبغته.

ومن أهم خصائص الثقافة الإسلامية:

الربانية، والواقعية، والشمول والكمال، والتوازن والاعتدال، والثبات والتطور، والإيجابية، والعالمية.

وسنتناول -فيما يلى- هذه الخصائص بشىء من التفصيل:

الخصيصة الأولى: الربانية:

أولى خصائص الثقافة الإسلامية وأهمها كونها ثقافة ربانية.

والربانية: نسبة إلى الرب الحكيم سبحانه وتعالى، حيث إن الإسلام دين ربانى، والثقافة ثقافة ربانية.

والثقافة الإسلامية من عند الله، فهى مباركة طيبة، يأخذها المسلم بثقة وطمأنينة، ويتعامل معها بتفاعل وحيوية(١).

وبما أن الثقافة الإسلامية ثقافة ربانية فهى كاملة لا تحتاج إلى تكميل، وهى تامة لا تحتاج إلى تتميم، وهى هدى ونور ورحمة وسعادة يلتزم بها المسلمون ويستغنون بها، ولا يحتاجون إلى غيرها من أفكار ومناهج وتشريعات البشر، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وقال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله، وسنتى**»(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «**تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٣).

وتتجلى (الربانية) فى الثقافة الإسلامية فى المجالات التالية:

١- **فى المصدر**: فالمصدر الأساسى لهذه الثقافة هو القرآن الكريم والسنة النبوية، فمنهما تستمد الثقافة الإسلامية أسسها وقواعدها. وعلى هذا فإن كل ما فيها من تصورات للوجود ومقومات للحياة مستمد منهما، ولهذا كانت هذه الثقافة باعتبار أنها منبثقة عن المنهج الإلهى (القرآن والسنة) موضع الثقة بها، ويجعلها هذا المنهج الإلهى فى موضع التسليم بها كذلك، فهى ليست فى حاجة إلى الوسائل التى يلجأ إليها البعض(٤).

---

(١) خصائص التصور الإسلامى، سيد قطب، ص ٦٥. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د.عمر الأشقر، ص٦٨. الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٨٥

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٢٦. سنن أبى داود -حديث رقم ٤٦٠٧. سنن الترمذى برقم ٢٦٧٦ وقال: حديث صحيح.

(٣) حديث صحيح.

(٤) معالم الثقافة الإسلامية وأصول النظام الإسلامى: عبدالغفار عزيز، ص٤٠ وما بعدها. الوجيز فى الثقافة الإسلامية: د. همام سعيد وزملاؤه، ص ٨٦.

٢- فى الحقائق والتصورات: حقائق هذه الثقافة مستمدة من الوحى الإلهى، وتصوراتها مستنبطة من الوحى الإلهى، يأخذ المسلم منه بثقة واطمئنان لشموله كل الجزئيات فى الكون صغيرة أو كبيرة.

٣- فى النتائج والثمرات: هذه الثقافة جادة، تهدف إلى تحقيق نتائج عملية وقطف ثمرات واقعية.

فالثقافة تريد تربية المسلمين على حقائقها، ونشر قيمها ومبادئها فى حياتهم، فهى ليست مجرد تصورات نظرية، وأفكار عقلية، إنما هى إصلاح عملى للواقع(١).

وهناك آيات كثيرة تشير إلى ربانية الثقافة الإسلامية، نكتفى منها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

وفى النهاية نقول: إن ربانية الثقافة الإسلامية جعلت لها مزايا عظيمة ميزتها عن غيرها من الثقافات الأخرى، ومن أظهر هذه المزايا:

- سمو مبادئها وعظمة قيمها، وإشراقها وصفائها، وصحتها وصوابها.
- سلامتها من النقص والجهل والخطأ والهوى.
- خلوها من التناقض والاعتراض.
- توافقها مع العلم الصحيح، وعدم معارضتها له، وانسجامها مع العقل السليم.
- يسرها ووضوحها، وسهولة استيعابها والتفاعل معها، وتطبيق مقرراتها(٢).

(١) لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص٦٣ وما بعدها.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، ص٦٨ وما بعدها. الوجيز فى الثقافة الإسلامية، ص٨٦، ٨٧.

الخصيصة الثانية: الشمول والكمال:

الثقافة الإسلامية ثقافة شاملة كاملة لأنها ربانية.

ومعنى (الشمول) فى الثقافة الإسلامية: أنها تستوعب كل جوانب الحياة، وتدخل فى كل مجالاتها، وتسرى فى كل مرافقها وجوانبها[1].

ومعنى (الكمال) فى الثقافة الإسلامية: أنها تامة وافية، لا نقص فيها، ولا عجز فى حقائقها ومبادئها[2].

الإسلام دين شامل، ونظام كامل، لأنه من عند الله، أنزله الله لينظم حياة الناس جميعًا، فهو دين ودولة، وهو عقيدة وعبادة، وهو علم وخلق، وهو توجيه وعلم، لا يترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وينظمه، ويقيمه على أسسه وتوجيهاته.

ولا يوجد الشمول فى أى ثقافة كوجوده فى الثقافة الإسلامية، ولا تجد دينًا يتعامل مع الحياة بهذا الشمول والكمال كما فعل الإسلام.

وتتمثل خاصية الشمول والكمال التى تتصف بها الثقافة الإسلامية فى المظاهر التالية[3]:

١- توحيد الألوهية والربوبية: فالوجود بكل ما فيه مرده إلى الله، وتلك هى حقيقة التوحيد الكبيرة التى هى المقوم الأساسى للثقافة الإسلامية.

٢- حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها لله وحده: فالعبودية مجموعة من الحقائق التى تصل الإنسان بخالقه، وهذه العبودية صورة كاملة وشاملة لا تحتاج إلى إضافة من مصدر آخر، وقد حددها الله تعالى بشعائر معينة، لأنه -سبحانه- هو الذى يعلمنا كيف نعبده حق عبادته.

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٨٧. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، ص٧٣.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية: د. مصطفى السباعى، ص ٢٠٣.

(٣) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٨٨.

٣- الشمول فى تحديد هدف الإنسان ووسيلته إليه: فالمسلم له هدف محدد فى هذه الحياة، والذى حدده له هو الله الحكيم الخبير، ودعاه إلى السير إليه لتحقيقه.

٤- الشمول فى النظرة إلى الدنيا والآخرة: الدنيا والآخرة فى الإسلام ليستا متنافرتين، إنما هما داران متكاملتان، الدنيا تمهد للآخرة، وهى مزرعة للآخرة، فمن زرع فى الدنيا حصد فى الآخرة.

٥- الشمول فى كل ما يحقق السعادة للبشر فى أمورهم من عبادات، ومعاملات، وآداب، وأخلاق، ودعوات إلى التآخى، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الخصيصة الثالثة: الواقعية:

ليس المراد بالواقعية الرضا بالحال التى عليها الإنسان فى حال سموه، وفى حال انحداره، ولكن المراد (بالواقعية): (تعامل الثقافة الإسلامية مع الحقائق الموضوعية الواقعة، ذات الوجود الحقيقى اليقينى، والأثر الواقعى الإيجابى فى حياة البشر)[١].

فالإسلام دين واقعى، يتعامل مع الواقع، لكنه الواقع المتفق مع مبادئه وتوجهاته، وإن اصطدم هذا الواقع معه فإنه يغيره ويعدله ويصوبه ليتفق معه، لأن الإسلام هو الأصل والحكم، والواقع تابع له.

واقعية الإسلام واقعية مثالية، أو مثالية واقعية، لأنها تهدف إلى أرفع مستوى وأكمل نموذج[٢].

إن واقعية الإسلام تتجلى فى مجالين بارزين:

الأول: واقعية الحقائق الموضوعية الموجودة: فالإسلام يتحدث عن حقائق موضوعية موجودة، لا عن خرافات وأساطير.

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، صـ٧٥. الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ٩٥.

(٢) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب، صـ١٩٢.

الثاني: واقعية المنهج الإسلامى المنشود: فالمنهج الذى يريد الإسلام تطبيقه منهج واقعى، وليس منهجًا نظريًا غير قابل للتطبيق كما يظن بعض من لا يفهم الإسلام. وقد طبق هذا المنهج الواقعى فى حياة المسلمين الأوائل، وهو صالح للتطبيق فى كل زمان ومكان[١].

وتبدو هذه الواقيعة فى الأمور التالية:

١- **واقعية التكاليف الفردية**: فقد أوجب الله على المسلم ما يقدر على تنفيذه وأدائه، فكل التكاليف الإسلامية ضمن الوسع والطاقة البشرية، قال تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال سبحانه: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨] وقال ﷺ: «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[٢].

٢- **واقعية الأحكام والتشريعات**: فهذه الأحكام شاملة لكل جوانب الحياة: الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وهى أحكام قابلة للتطبيق العملى، وفيها المصلحة للمسلمين[٣].

٣- **واقعية الجزاء**: فالله تعالى أعد لمن التزم بهذه الأحكام والتشريعات جنات تجرى من تحتها الأنهار، والله توعد من خالفها بالعقاب، فالعقاب واقعى ومحسوس، والثواب واقعى ومحسوس[٤].

وقد أنتجت واقعية الثقافة الإسلامية آثارًا إيجابية فى حياة المسلمين من أهمها[٥]:

---

(١) المرجع السابق، وانظر: الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ٩٦، ٩٧.

(٢) صحيح البخارى -كتاب الإيمان- حديث رقم ٣٨.

(٣) خصائص التصور الإسلامى صـ١٩٢.

(٤) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب، صـ١٩٢.

(٥) المرجع السابق.

- تفاعل المسلم مع التكاليف الشرعية، وحيويته فى أدائها.

- الاعتراف بالضعف البشرى.

- الاقتداء بالنماذج العملية الناجحة، التى تمثلت الإسلام فى حياتها فكانت إسلامًا عمليًا واقعيًا حيًا، من خلال تصرفاتها وسلوكها.

الخصيصة الرابعة: التوازن والاعتدال والوسطية وعدم التطرف:

لـمّا كانت الثقافة الإسلامية شاملة كاملة، فإن شمولها وكمالها متوازن معتدل، لا جور فيه ولا تطرف ولا مغالاة.

- فعندما نصف الثقافة الإسلامية بالتوازن: فإننا نعنى بذلك أن هذه الثقافة الربانية تنسق بين جميع الجوانب فى الحياة، وتجمع بين الخطوط والجزئيات، بحيث تعطى كل واحد منها حقه وحجمه ومساحته ووزنه، بدون إفراط أو تفريط، فهى توازن بين المادية والروحية، وبين الفردية والجماعية، وهى توازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله ومقام الإنسان الكريم فى الكون، وهى توازن بين مطالب الدنيا والآخرة[1].

- وعندما نصف الثقافة الإسلامية بالاعتدال، فإننا نعنى بذلك أنها ثقافة: منصفة فى تقديرها، عادلة فى توزيعها، محقة فى حكمها[2].

وقد أمر الله المسلمين بالعدل فى نظرتهم وفى تقديرهم، وفى حكمهم وقرارهم، وفى صلتهم وارتباطهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٣٥].

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، صـ٧٤. الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ٨٩.

(٢) المرجعان السابقان.

- وعندما نصف الثقافة الإسلامية بالوسطية، فإننا نعنى بذلك أنها ثقافة منصفة فى نظرتها، وفى مقرراتها وحقائقها، وفى أحكامها ونتائجها[1].

فالثقافة الإسلامية وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط.

فهى وسطية فى نظرتها للرسل، تطلب من المسلم تصديقهم والإيمان بما جاءوا به، وتنهاه عن تقديسهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وهى وسطية فى علاقتها بالثقافات الأخرى، فلا تقبل الذوبان فى غيرها، ولكنها لا تتعصب ضد غيرها بل يتسع صدرها لما يخالفها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وهى وسطية ووسطيتها مطابقة للفطرة السليمة، فالإنسان فى دائرة أعماله الاختيارية حر مسئول عن نفسه وعمله، له أن يفعل وأن يترك، كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه، وكما تشهد نصوص القرآن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية: ١٥].

وهى ثقافة ليست متطرفة، فهى بعيدة عن الغلو والمبالغة والتشدد فى جميع أحكامها[2].

الخصيصة الخامسة: الثبات والتطور:

الثقافة الإسلامية تجمع بين (الثبات والتطور) فهى ليست ثقافة متطورة فى كل شىء كما أنها ليست ثقافة ثابتة فى كل شىء.

- وعندما نصف الثقافة الإسلامية بالثبات: فهذا يعنى أن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية ثابت الحقيقة والمفهوم معًا، وغير قابل للتغيير ولا للتطوير، فحقيقة وجود الله، وأن الكون من خلق الله، والإيمان بالله، وبالعقيدة، وحقيقة أن

(١) الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية: محمد المبارك، صـ٣٠.

(٢) الإيمان والحياة: د. القرضاوى، صـ٤٨. محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، صـ١٨.

الدين عند الله الإسلام، وحقيقة أن الناس من أصل واحد... إلخ، كل هذه الحقائق ثابتة لا تقبل التغيير[١].

- وعندما نصف الثقافة الإسلامية بالتطور: فهذا يعنى أن كل ما أنتجه العقل البشرى تتمشى معه الثقافة الإسلامية ما دام صالحًا، بل إن علماء المسلمين نادوا بالتطوير فى أكثر من ميدان واجتهدوا، ونفعت اجتهاداتهم البشرية كلها فى جميع فروع المعرفة، ولذلك كان الأصل بصلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق فى كل مجالات الحياة[٢].

إن الثبات الذى تنادى به الثقافة الإسلامية لا يعنى الجمود أو التخلف أو الرجعية، أو محاربة كل جديد ضرورى فى المظاهر والأشكال المباحة شرعًا، فالحركة المتطورة فى حياة المسلمين مستمرة، لكنها حركة منضبطة تتم داخل إطار ثابت وحول محور ثابت وفق الأخلاق والقيم، وكما أن الثبات لا يعنى الجمود أو التخلف، كذلك التطور لا يعنى الانفلات[٣].

الخصيصة السادسة: الإيجابية:

من سمات الثقافة الإسلامية: الإيجابية الفاعلة، فالإسلام يأمر أتباعه بالسعى فى الأرض وإعمارها.

والإسلام دين إيجابى فى حقائقه ومبادئه وتوجيهاته، بعكس بعض الأديان التى تركز على السلبية والانعزال[٤].

وهذه الإيجابية التى تتمتع بها الثقافة الإسلامية تتحقق آثارها على مستوى الأفراد والجماعات.

---

(١) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب، صـ٨٥.

(٢) الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ٩٣.

(٣) لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، صـ٦٣ وما بعدها.

(٤) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب، صـ١٧٠. الوجيز فى الثقافة الإسلامية: د. همام سعيد وزملاؤه، صـ٩٩.

فهى تزيل أسباب الخوف والقلق من نفس المسلم، لأنه يأمن على رزقه وعمره[١].

وهى تجعل المسلم يحسن استغلال وقته فى العمل الصالح، لأن وظيفته الإيجابية التى حددها له الإسلام تستغرق عمره كله، فلا يشعر بالفراغ أو الكسل.

وهى تجعل المسلم يهتم بإخوانه، ويشاركهم فى السراء والضراء.

وهى توقف كيد ومكر الأعداء، وهى تصون الأمة الإسلامية.

تظهر إيجابية الثقافة الإسلامية حين اختلط المسلمون الأوائل بالأمم الأخرى فهم لم يتورعوا عن أن يدرسوا ثقافاتهم ويتعلموا منها ما يفيدهم فى دعوتهم، وقد أثمر ذلك ثمرته فى النتاج الثقافى الإسلامى[٢].

إنه فى الوقت الذى كانت (أوروبا) تئن فى ظلمات العصور الوسطى كانت ثقافة المسلمين وحضارتهم الزاهرة ترفرف على كل مكان فى الشرق والغرب، وقد تحقق هذا من إيجابية ثقافتنا الإسلامية.

الخصيصة السابعة: الإنسانية والعالمية:

الثقافة الإسلامية: ثقافة إنسانية، بمعنى أنها تهتم بالإنسان وتركز على إنسانيته، وتدل على فضله ومنزلته، وتعلمه وتوجهه، وتعرفه كيفية التعامل مع المخلوقات من حوله[٣].

وبما أنها تخاطب الإنسان فى إنسانيته، فهى ليست لإنسان خاص فى زمان أو مكان خاص، أو بلغة خاصة، إنما هى لكل إنسان مهما كان جنسه أو قومه، أو لونه، أو لغته وعلمه[٤].

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، صـ٧٤. معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، صـ٥٠ وما بعدها. مذكرة فى الثقافة الإسلامية: عبد الرحمن الشافعى، صـ١٠.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ١٠٢. معالم الثقافة الإسلامية وأصول النظام الإسلامى: عبد الغفار عزيز، صـ٤٠.

(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، صـ٧٠.

والثقافة الإسلامية ثقافة عالمية: بمعنى أنها رسالة للعالم أجمع، فهى ليست للعرب وحدهم، أو للسابقين وحدهم، وإنما هى للعالمين من بنى البشر(١).

وقد ترتبت على إنسانية وعالمية الثقافة الإسلامية آثار كثيرة نبينها فيما يلى:

فمن أهم آثار إنسانية الثقافة الإسلامية ما يلى:

١- تكريمها للإنسان، وإعلاء قيمة الإنسانية الأصيلة، والاهتمام به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢- محاربة دعوات الفرقة والنزاع التى تقطع الروابط الإنسانية الكريمة، مثل الطائفية أو الإقليمية أو العنصرية، أو التعصب للعشيرة أو القبيلة أو الكون أو الجنس، واعتبارها مخالفة لتعاليم الإسلام وأحكامه وتوجهاته(٢). قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- جعل الأخوة فى الله هى رابطة التجمع الوحيدة، لأنها تمثل أكرم وأطيب ما فى الإنسان، وإلغاء الروابط الأخرى التى تقوم على المصلحة، واعتبار التقوى هى أساس التفاضل والتكريم الوحيد عند الله، لأنها تتفق مع إنسانية الإنسان ومجاهدته لهواه وضعفه(٣)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٤- تحرير الإنسان من عبوديته للإنسان، وعبوديته للدنيا والهوى، ودعوته إلى تحقيق عبوديته لله وحده، والتحرر من الذل والطمع والخوف، وعدم الخضوع لغير الله، والدعوة إلى تحقيق حقوق الإنسان الكريمة المتفقة مع إنسانيته(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ١٠٢.

(٣) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: محمد رشاد سالم، صـ٢١٠ وما بعدها.

(٤) خصائص التصور الإسلامى صـ١٨٦. الوجيز فى الثقافة الإسلامية صـ١٠٢.

٥- تحريم كل ما يضر بالإنسان، ويتناقض مع إنسانيته، كالخمر والزنا، فلا يليق بالإنسان أن يضيع عقله بالخمر والمخدرات، وهكذا باقي ما حرمه الله[١].

ومن أهم آثار عالمية الثقافة الإسلامية:

١- اعتبار الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله، ونسخ الشرائع والأديان الأخرى، ودعوة أصحابها إلى الدخول في الإسلام[٢]، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٢- الإسلام هو رحمة الله يرحم بها البشرية، ونعمة ينعم بها عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والبشرية تسعد نفسها إن أخذته واهتدت به، وتشقى نفسها إن رفضته، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

٣- وجوب تبليغ الإسلام للعالمين جميعًا، ونشر نوره بينهم، ليسعدوا أنفسهم به، ويتخلصوا من الأمراض والمشكلات التي لا يحلها ولا يعالجها إلا الإسلام[٣].

٤- كون الإسلام هو المرجعية التي يرجع إليها الناس عند اختلافهم، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) معالم الثقافة الإسلامية: عبد الكريم عثمان، صـ١٦. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، صـ٧١.

(٣) الوجيز في الثقافة الإسلامية صـ١٠٣.

المبحث الثانى

أثر الثقافة الإسلامية فى الأمة والفرد والمجتمع

نقصد بالآثار تلك المهام والإجراءات التى تحقق أهداف الثقافة الإسلامية فى الأمة والفرد والمجتمع.

إن وظائف الثقافة الإسلامية لا تقسم ولا تجزأ، بل هى مهام ومسئوليات متداخلة فى بعضها البعض.

إن للثقافة الإسلامية طبيعة خاصة مستمدة من الإسلام بما لها من خصائص جعلتها مؤهلة مستوفاة لشروط النهوض بمسئوليتها، ويمكن الوقوف على آثار الثقافة الإسلامية على النحو التالى[1]:

أولاً: أثر الثقافة الإسلامية فى الفرد[2]:

تعتبر الثقافة الإسلامية العامل الأكبر فى شخصية الفرد، حيث تظهر نتائجها وتترتب آثارها على الفرد المسلم، وبيان ذلك فيما يلى:

١- تنمية إدراك المسلم، ووعيه بمفاهيم الإسلام المتصلة بجوانب الحياة المختلفة، وذلك يتحقق من خلال سلوك المسلم المستمد من تعاليم الإسلام والثقافة الإسلامية.

٢- إن الثقافة الإسلامية تساعد المسلم على فهم دينه فهمًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، بعيدًا عن التشدد والانحلالية، وما دام المسلم فهم أمور دينه من خلال ثقافته الإسلامية فإنه سيصبح إنسانًا صالحًا نافعًا.

٣- إنها تنظم علاقة المسلم فى الحياة، وتحدد له واجباته نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو سائر الناس.

(١) الإيمان والحياة: د. يوسف القرضاوى، ص ٤٨. لمحات فى الثقافة الإسلامية: الخطيب، ص ٤٥.

(٢) المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد العيادى، ص ٣٤، ٣٥.

٤- إنها تجعل سلوك المسلم فى الحياة يسير وفق المفاهيم الصحيحة للإسلام.

٥- إنها تقوم بتوعية المسلم بأنه ذو شخصية إسلامية مستقلة فى الفكر والسلوك والانتماء.

٦- الثقافة الإسلامية تؤهل المسلم ليقوم بدوره فى تشييد بناء الحضارة الإنسانية، والإسهام فى النهضة العلمية والتقنية.

٧- وأخيرًا فإن ثقافتنا الإسلامية تحصن عقل المسلم وفكره ضد الغزو الفكرى الوضعى بأساليبه الخبيثة والذى تتبناه الحضارة الغربية، والهادف إلى إبعاد الثقافة الإسلامية عن التأثير فى سلوك المسلم وفى حياته على السواء.

ثانيًا: أثر الثقافة الإسلامية فى الأمة والمجتمع[1]:

من أهم الآثار التى ترتبها الثقافة الإسلامية على الأمة والمجتمع ما يلى:

١- المحافظة على شخصية الأمة الإسلامية واستقلالها الثقافى، لأن الثقافة هى الصورة الحية للأمة التى تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وتحدد اتجاهها فى الحياة، فهى عقيدتها التى تؤمن بها، ومبادئها التى تحرص عليها. فإذا اهتزت هذه الصورة لم تكن للأمة شخصية تميزها أو سمات تنفرد بها.

٢- أن الثقافة الإسلامية تضع الأمة فى موضع القيادة والزعامة بين سائر الأمم والشعوب لما حباها الله تعالى به من خصائص، ولما كلفها من واجبات فى الدعوة إلى إعلاء كلمة التوحيد، ونشر مبادئ الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

٣- بيان الازدهار الحضارى للأمة الإسلامية، فقد عاشت الأمة الإسلامية قرونًا طويلة، وهى فى أرقى مستويات الازدهار الحضارى فكرًا ومدنية.

٤- تأكيد فضل الأمة الإسلامية على الغرب، فقد أثرت الثقافة الإسلامية فى حياة الغربيين، وهذا أمر معلوم لا ينكر، فقد اعترف بهذا الفضل الأوروبيون أنفسهم.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٧ وما بعدها بتصرف. الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ١٩ وما بعدها. وجهة العالم الإسلامى: مالك بن نبى، ص ٢٠. معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص ٨٨ وما بعدها.

٥- تعمل الثقافة الإسلامية على توثيق الصلة بين حاضر الأمة الإسلامية وماضيها ومستقبلها، فهى تبرز السجل الناصع للسلف الصالح علماء وقادة، بإنجازاتهم المتألقة فى العالمين، وتبرز فى المقابل مهمة قادة الفكر والمصلحين فى الوقت المعاصر لتجديد الصورة المشرفة للإسلام، لتقود الإنسانية من جديد إلى شاطئ الأمن والأمان والخير والسعادة.

٦- بيان الأمراض التى أحلت بالأمة الإسلامية، فثقافتنا الإسلامية تقوم بهذه المهمة، فقد بعد المسلمون عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتعطلت حدود الله، وافتتن الناس بالأنظمة الغربية، وثقافتنا المنبثقة من الكتاب والسنة تبين لنا هذه الأمراض وتأمرنا بالعودة إلى ديار الثقافة الإسلامية الصحيحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ثالثا: أثر الثقافة الإسلامية فى الجنس البشرى كله[١]:

الرسالة الإسلامية رسالة عالمية، وبالتالى يجب أن تكون ثقافتنا الإسلامية ثقافة عالمية، وعلى هذا فإن لهذه الثقافة تأثيرًا على الجنس البشرى كله يتمثل فى الآتى:

١- تعريف الجنس البشرى بهذا الخواء والإفلاس الموجود فى الثقافات الأخرى، ومنها الثقافة الغربية.

٢- الكشف عن واقع الإنسان المعاصر وما يتخبط فيه من ضياع وعدم استقرار: تعمل ثقافتنا الإسلامية على كشف حقيقة الواقع المر للإنسان المعاصر فى ظل الثقافة الغربية وما يعانيه من ضياع، رغم التفوق المادى المذهل والاكتشافات والتقدم العلمى ولكن دون جدوى، حيث المزيد من القلق والأرق والإحباط والانتحار!

٣- تحرير البشر من عبودية البشر: وهذا ما تقوم به ثقافتنا الإسلامية، فهى تعمل على تكريم الإنسان وحفظ حقوقه، وذلك لأنها تستمد تصورها ومبادئها

(١) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب، ص٨٧. المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية ص ٣٧ وما بعدها.

وقيمها من تشريع الله وأحكامه العادلة التى ترفض التمييز العنصرى بكل أشكاله وصوره.

٤- نشر العدل والأمن والسلام فى العالم كله: وهذا ما تسعى إليه ثقافتنا الإسلامية جاهدة فى ذلك، حيث التأكيد على إقامة العدل فى الحياة، واحترام مبدأ تكافؤ الفرص، ومساعدة الدول الغنية للدول الفقيرة، والتعاون الدولى فى مواجهة المشكلات وحلها.

وبعد:

فهذه هى آثار الثقافة الإسلامية فى الفرد وفى الأمة وفى الجنس البشرى كله، ومن خلالها نخلص إلى نتائج مهمة للمسلم وغير المسلم، للمسلم حيث يتمسك بثقافته الإسلامية ويعض عليها بالنواجذ، ولغير المسلم حيث يعرف مدى عظمة هذه الثقافة فيعلمها ويعمل بها عسى الله أن يهديه سبيل الرشاد، إن هذه النتائج نذكرها مجملة فنقول إن[1]:

- الثقافة الإسلامية توحد الأمة.
- الثقافة الإسلامية تحافظ على وجود الأمة.
- الثقافة الإسلامية تعمم السلوك الاجتماعى بين أفراد الأمة.
- الثقافة الإسلامية هى خط الدفاع الأول عن الأمة.
- الثقافة الإسلامية ثقافة إنقاذ للبشرية.
- الثقافة الإسلامية ثقافة إعمار وبناء.

المبحث الثالث

انحراف المسلمين عن الثقافة الإسلامية وأسبابه

شهد واقعنا المعاصر حالة من الضعف والفتور أصاب الأمة بالوهن، فلم يعد لها ذلك الدور القيادى الذى تميزت به على مر العصور، فقد طمع فى أمتنا

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية: همام سعيد وزملاؤه، ص ١٨ وما بعدها- بتصرف.

الطامعون، وتخلفت عن حمل الرسالة التى شرفها الله بحملها، وتخلفت فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعسكرية والسياسية، والسؤال الذى يطرح نفسه هو: ما الذى دهى هذه الأمة حتى وصل بها الأمر إلى هذا الحال؟!

وللإجابة نقول:

إن هذه الأعراض ناتجة عن أزمة ثقافية وانهيار ثقافى أحل بالأمة، هذا الانهيار الثقافى ناتج عن جملة من الأسباب نذكر منها ما يلى:

السبب الأول: انحراف فى المفاهيم والمصطلحات:

إن من أسباب الانهيار للثقافة الإسلامية هذا الانحراف فى المفاهيم والمصطلحات الثقافية، فقد تطاول بنا الزمان وتكاثرت علينا عناصر التشويش والتشويه، حتى وصل بنا الحال إلى ما نحن عليه، فسميت الأشياء بغير أسمائها، مما كان له الأثر السلبى على مفهوم الإيمان ومفهوم الدين وغير ذلك[1].

وحتى تتضح حقيقة ما نقول نضرب لذلك الأمثلة التالية:

١- **الانحراف فى مفهوم الدين:** فهم المسلمون الأوائل الدين على أنه نظام كامل للإنسان فى الدنيا والآخرة، وكان كل شىء من تعاليم الدين وأحكامه، ولم يعرفوا الفصل بين الدين والحياة، ولا بين الدين والسياسة، ولا بين الدين والاقتصاد، ولكن المسلمين فى العصر الحاضر ابتلوا بخلل فى فهم معانى الدين وطبيعته، فحصروه فى زاوية ضيقة، وأصبح الدين للأموات ولعلاقات اجتماعية محددة -للأسف- وهذا الانحراف أخذت به كثير من الدول العربية والإسلامية فى هذا الزمان[2].

٢- **الانحراف فى مفهوم الإيمان:** إذ أصبح الإيمان مقصوراً على مجرد أقوال فى العقيدة والعبادات ليس بينها وبين العمل والسلوك صلة.

٣- **الانحراف فى فهم آيات التيسير ورفع الحرج:** حتى تخلى كثير من حراس الأمة وجنودها عن دورهم، حتى تهاوت صروحهم الثقافية وهم ينظرون.

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٧٨.

(٢) المرجع السابق.

لقد بذل المسلمون الأوائل الجهد فى إنشاء الحضارة الإسلامية وقيام الأمة، وأخذوا بمبدأ (التيسير ورفع الحرج) وفق القواعد والضوابط المقررة لذلك، أما نحن فاستعملناه على إطلاقه وبدون روية وهو ما يخالف هذا المبدأ المهم.

السبب الثانى: فقدان التوازن الاجتماعى:

اتسمت ثقافتنا الإسلامية منذ ظهورها بسمة التوازن الاجتماعى، وكانت ترفض الغلو والتطرف، وبرز هذا التوازن فى جميع مجالات الحياة، وكان التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الحاكم والمحكوم، ولكن فى العصر الحاضر عانت الثقافة من خلل فى هذا التوازن، وطغى دور الحاكم على دور المحكوم، وتغلبت المصالح الفردية على مصلحة الجماعة، فكانت النتيجة ضعفًا عامًا وتخلفًا فى القيام بالدور[1].

السبب الثالث: ضعف الانتماء:

تعانى الأمة الإسلامية فى هذا الزمان من ضعف الانتماء إلى ثقافتها وتاريخها، حيث أصيبت بداء التبعية والتقليد، وهذا أخطر من الغزو الخارجى، فمن المعلوم أن التابع يعلن تخليه عن قيمه وثقافته طائعًا مختارًا، ثم يهرع إلى صف العدو، يقلده فى الفكر والسلوك[2].

وقد ظهرت هذه التبعية -ومنها التبعية الثقافية- فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتعليم الغربى، والترويج لها فى بلادنا وإنشاء الأحزاب على أساسها، حتى العادات والأعراف تم نقلها من بلادهم إلى بلادنا.

ولكن طبيعة ثقافتنا الإسلامية ترفض الاستهواء الثقافى والغزو الفكرى، فبدأت بالعودة إلى الذات والهوية، وأصبحنا نرى اليوم شبابنا والكثير من مؤسساتنا تعتز بهويتها وتؤكد انتماءها الثقافى، وتدعو ضحايا الغزو الثقافى إلى العودة.

(١) أصول المنهج الإسلامى ص ١٤٩.

(٢) المجتمع الإسلامى المعاصر: محمد المبارك، ص ٤٢.

السبب الرابع: انتشار البدع والخرافات:

انتشرت البدع والخرافات بين المسلمين فلم يبق باب من أبواب الحياة إلا وظهرت فيه البدع، ونازعت هذه البدع السنن حتى تمسك الناس بالبدعة وهجروا السُّنة.

وبالرغم من عودة الوعى إلا أن البدع والخرافات مازال لها سلطان على الناس. وهذا بالطبع من أسباب انحراف المسلمين عن الثقافة الإسلامية الأصيلة.

السبب الخامس: الخلط بين إرادة الله وإرادة الإنسان:

وهو من أسباب الانحراف الثقافى، فكثير من ضعاف الإيمان يخلطون بين إرادة الله وإرادة الإنسان، ويزعمون أموراً ينسبونها إلى الله، وبذلك يتلبس عليهم الحق بالباطل، والباطل بالحق.

آثار الانحراف عن الثقافة الإسلامية:

إن الأسباب السابقة التى أدت إلى انحراف الثقافة الإسلامية فى نفوس أبنائها أدت إلى الآثار والنتائج التالية:

١- **التفكك الاجتماعى:** فلم تعد العلاقات الاجتماعية كما كانت بين أفراد الأسرة الواحدة، وأبناء الوطن الواحد، حيث انتقلت عدوى التفكك الأسرى الموجود فى الثقافات الغربية إلى ثقافتنا.

٢- **التمزق السياسى:** فلم تعد الأمة الواحدة كيانًا واحدًا بل كيانات مشتتة لا أساس لها ولا أصول.

٣- **ظهور الاستبداد فى جميع ميادين الحياة:** فى السياسة ونظام الحكم، وفى الاقتصاد والشركات الاحتكارية... إلخ.

٤- قيام ردة فعل إيجابية عملت على إحياء الثقافة الإسلامية من جديد، وأعادت بعض الشاردين التائهين إلى حظيرة ثقافتهم.

الفصل الثالث

العقيدة الإسلامية

تمهيد:

للإسلام نظرته الخاصة إلى الوجود والحياة، وتصوره المستقل الشامل للحقيقة الإلهية والكون والإنسان، وعلى أساس هذه النظرة، ومن خلال هذا التصور يستطيع المرء أن يتفهم جميع المبادئ والأنظمة، وذلك من خلال العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وسنحاول فى هذا الفصل الحديث عن العقيدة من حيث: مفهومها، وأقسامها، والمنهج فى إثباتها، ثم نتحدث عن أهمية العقيدة الإسلامية، وخصائصها ومزاياها، وأركانها، ومصادرها، وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع.

والحديث عن هذه النقاط تشتمله عدة مباحث.

المبحث الأول

فى مفهوم العقيدة، وأقسامها، والمنهج فى إثباتها

مفهوم العقيدة:

فى اللغة: العقيدة فى اللغة تطلق على معانٍ كثيرة منها: الشد والربط، والتأكيد والاستيثاق، والعزم والتصميم[1].

فمن إطلاقاتها بمعنى الشد والربط قولهم: (عقد الحبل) أى شد بعضه ببعض وربطه.

ومن إطلاقاتها بمعنى التأكيد والتصميم قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩] وتعقيد اليمين يكون بقصد القلب والتصميم عليه[2].

(١) لسان العرب: مادة (عقد). المصباح المنير: مادة (عقد). مختار الصحاح: مادة (عقد).
(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٦١٣.

ومن إطلاقاتها بمعنى الاستيثاق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] أى اعقدوا مواثيق فى العقود والتزموا بها، ولا تخالفوها[١].

فى الاصطلاح: العقيدة ما يعتقده الإنسان بقلبه ويدين به، سواء كان صحيحًا أم فاسدًا، فهى ليست أمورًا عملية تحتاج إلى تطبيق، بل هى أمور علمية يعتقدها الإنسان فى قلبه[٢]. . هذا هو تعريف العقيدة بوجه عام.

أما العقيدة الإسلامية: فيمكن تعريفها بأنها: «مجموعة الأصول الستة الوارد ذكرها فى الكتاب والسنة، يعقد عليها المسلم قلبه جازمًا بصحتها، وأن خلافها لا يكون ولا يصح»[٣].

والأصول الستة هى: أركان العقيدة وهى: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

إذن فمسائل العقيدة التى يجب التصديق بها أمور غيبية، ليست مشاهدة.

أقسام العقيدة

العقيدة بمعناها العام ليست مختصة بالإسلام وحده، فلكل ديانة أو ملة عقيدة تقيم عليها نظام حياتها، بغض النظر عن كونها صحيحة أم فاسدة.

وعلى هذا فإننا لو نظرنا إلى العقائد منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة نجدها قسمين:

القسم الأول: العقيدة الصحيحة:

وتتمثل فى كل ما جاء به الأنبياء والرسل على مر التاريخ الإنسانى والتى

---

(١) لسان العرب: مادة (عقد).

(٢) العقيدة فى الله: د. عمر الأشقر، صـ١٠.

(٣) العقيدة والأخلاق: د. محمد بيصار، صـ٩٤. محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، صـ٦٧.

ختمت برسالة النبى ﷺ، وهذه العقائد فى مدلولها تمثل عقيدة واحدة، لأنها من عند الله العليم الخبير(١).

وعلى هذا فإن دعوة الرسل واحدة، وهى: تعريف الناس بمعبودهم وبيان الطريقة التى يعبدونه بها، وكلها تصب فى النهاية فى بوتقة الإسلام، حيث إن دين الرسل جميعًا هو الإسلام لا دين لهم سواه(٢)، تدل لذلك أقوال الأنبياء والمرسلين، فنوح عليه السلام يقول: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] وموسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالإسلام ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وبلقيس تقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] وكان يوسف عليه السلام يدعو فيقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].. وغيرهم من الأنبياء، وعلينا أن نعلم أن هذا التنوع فى الشرائع لا يعنى أن دينهم كان مختلفًا. يقول رسول الله ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء إخوة لعلات**»(٣) (٤).

القسم الثانى: العقائد الفاسدة:

العقائد الفاسدة كثيرة ومتعددة، وسبب فسادها أنها ناشئة من نتاج أفكار البشر المخطئ، فمهما أوتى الإنسان من عظم شأن فإن علمه يبقى محدودًا مقيدًا بقيود، متأثرًا بما حوله من عادات وتقاليد وأفكار، تخضع لبيئة معينة، ولمكان معين، قابلة للتغيير.

وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة

(١) رسالة العقائد: انظر مجموعة الرسائل، الشيخ حسن البنا صـ٤٢٩. العقيدة فى الله: عمر الأشقر، صـ١١.
(٢) المرجعان السابقان.
(٣) الإخوة لعلات: هم الإخوة لأب، أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات، وكذلك الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم مختلفة.
(٤) حديث صحيح.

اليهودية وللعقيدة النصرانية، فإن التوارة والإنجيل قد حُرفا منذ زمن بعيد، ففسادهما كان بسبب التحريف الذى قام به اليهود والنصارى[1].

تنبيه: العقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلا فى الإسلام؛ لأنه الدين الذى حفظه الله تعالى، والذى لا يجوز تغييره ولا تبديله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذى مصدره الكتاب والسنة، ففيهما ما يقنع العقل بالحجة والبرهان.

فمن أراد العقيدة السليمة الصحيحة فإنه لا يجدها فى التوراة المحرفة، ولا فى الإنجيل المحرف، ولا فى كلام الفلاسفة.

وفى النهاية نقول: إن عقيدتنا الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، فالإنسان بدون العقيدة ضائع تائه فاقد لذاته ووجوده.

المنهج فى إثبات العقائد:

المنهج الحق فى إثبات العقائد هو المنهج القرآنى والنبوى، أى المنهج الذى أتى به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو منهج جميع الأنبياء والرسل[2].

هذا المنهج هو الذى يقف به الإنسان عند حد التصديق بالله تعالى، ثم بعد ذلك يتلقى عن الله عقيدته فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

وعلى الإنسان المسلم أن يتدبر وحى الله ويفقهه، ولا يخوض فى هذه القضايا بعيدًا عما أوحى الله به إليه[3].

وعلى المسلم فى هذه الحالة أن يتأكد من صدق نسبة النصوص إلى رسول الله ﷺ، فإن كانت صادقة فعليه أن يترك رأيه وهواه، ويُحكِّم ما أوحاه الله.

إن عمدة هذا المنهج هو الأخذ بنصوص الكتاب وصحيح السنة فى مسائل الاعتقاد.

(١) العقيدة فى الله: د. عمر الأشقر، صـ١١. القيم الخلقية صـ١٥.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، صـ٢١٣.

(٣) المرجع السابق.

إن الوحى الربانى عند المسلمين هو أساس العلم، فهو الذى يعرفنا بربنا وأنفسنا والكون من حولنا، وهو نور قلوبنا وعقولنا، ولسنا بحاجة إلى مقاييس الفلاسفة، وموازين المتكلمين.

وإذا كان العقل المسلم يستضىء بنور الوحى، فإن هذا الوحى قد حوى الأدلة العقلية الباهرة، وألزم العقل بالنظر والتفكر فى ملكوت السماوات والأرض، وهذا التفكير يؤكد الإيمان ويقويه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

المبحث الثانى

أركان العقيدة الإسلامية

الركن: هو جانب الشىء القوى، وهو ما توقف عليه وجود الشىء وكان جزءًا من ماهيته[١].

وأركان العقيدة الإسلامية ستة أركان، وهى:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب السماوية

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأركان والأصول ثبت الدليل عليها من الكتاب والسنة.

(١) الإحكام فى أصول الأحكام: الآمدى، ٢/٢١٦. التلويح على التوضيح ٢/٥٦.

أما الكتاب، فآيات هى:

١- قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فهذه الآيات حددت أصول العقيدة الإسلامية وأركانها الستة.

وأما السنة:

فيقول رسول الله ﷺ مجيبًا جبريل -عليه السلام- حين سأله عن الإيمان: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

وسنتحدث -فيما يلى- عن أركان العقيدة الإسلامية بالتفصيل:

الركن الأول: الإيمان بالله سبحانه وتعالى:

الحديث عن هذا الركن من أركان العقيدة الإسلامية، وهو الأهم، فى عدة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وجود الحق سبحانه وتعالى من أعظم الحقائق وضوحًا، وأوثقها ظهورًا، ولكن العقل البشرى قد يضل عن ذلك، وقد ادعت طوائف من البشر أن ليس لهذا الكون خالق، وقد ناقش المؤمنون بالله هؤلاء الملحدين بأدلة كثيرة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى(٢)، وقد دل على وجوده: الفطرة، والشرع، والحس، والعقل.

---

(١) متفق عليه.

(٢) العقيدة فى الله: د. عمر سليمان الأشقر، صـ٩ وما بعدها.

أما دليل الفطرة على وجود الله: فإن التوجه إلى الله وحده وعبادته، قضية فطرية مغروسة فى النفس الإنسانية، ولا ينصرف عنها إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها من مؤثرات خارجية كإضلال الشياطين، والبيئة المنحرفة[1]، أما إضلال الشياطين فقد بينه الله تعالى فى الحديث القدسى: «**وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم**»[2] وأما البيئة المنحرفة التى تعمل عملها فى إضلال الفطرة السليمة فقد بينها رسول الله ﷺ فقال: «**ما من مولود يولد إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[3].

وأما دليل الشرع على وجود الله: فإن جميع الكتب السماوية تنطق بوجوده سبحانه، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك منها، قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ**﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ٧].

وأما دليل العقل على وجود الله: فلأن جميع المخلوقات لابد لها من خالق أوجدها، فهى لم توجد من نفسها، لذا تعين أن يكون موجدها هو الله رب العالمين.

وأما دليل الحس على وجود الله فمن وجهين: الأول: أن معجزات الأنبياء التى شاهدها الناس أو سمعوا بها برهان قاطع على وجود مرسل هذه المعجزات، وهو الله تعالى، لأنها معجزات وأمور خارجة عن نطاق قدرة البشر، مثل معجزات: موسى، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد، وبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام[4].

الثانى: ما نسمعه ونشاهده من إجابة الداعين وغوث المكروبين فيه دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: ٩].

(١) رسائل فى العقيدة: محمد بن صالح العثيمين، صـ٥ وما بعدها.
(٢) صحيح مسلم - حديث رقم ٢٨٦٥.
(٣) صحيح البخارى.
(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة صـ٢٢٤.

الأمر الثانى: توحيد الربوبية:

يتضمن الإيمان بالله الإيمان بربوبيته، وتوحيد الربوبية أن نعتقد أن الله وحده الخالق البارئ المصور، المالك المدبر، المحيى المميت، والرب هو المربى المنشئ الموجد[1].

وقد أطال القرآن الكريم فى الحديث عن ربوبية الله، وأنه المصرف لأمور الكون، المبدع لصنعه، المستحق للعبادة وحده دون سواه، ليفتح أبصار الجاحدين وبصائرهم[2]، وقد استخدم الأنبياء والمرسلون هذا الأسلوب فى دعوة أقوامهم، فإبراهيم عليه السلام يقول لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥- ٨٢].

ونوح -عليه السلام- يُذكِّر قومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٥- ٢٠].

ولم يثبت أن أحدًا أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول مثلما حصل من فرعون عندما نسب الربوبية لنفسه قائلاً: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

لقد كان المشركون يقرون بربوبية الله مع إشراكهم به فى «الألوهية»، وقد حكى القرآن عنهم ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

(١) مذكرة العقيدة الإسلامية: عبد الله الجبرين، محمد حسن الدريعى، صـ٣ وما بعدها.

(٢) محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، صـ ٦٧.

ولم تزل بعض الأمم تشرك بالله فى ربوبيته، كالمجوس الذين قالوا بربوبية النور والظلام، والصابئة الذين قالوا بربوبية الكواكب[1].

الأمر الثالث: توحيد الألوهية:

الإيمان بالله يستوجب الإيمان بألوهيته، أى: أنه وحده الإله الحق الذى لا شريك له، والذى لا يستحق العبادة غيره: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فالله هو الإله الواحد الأوحد الذى لا يعبد سواه، وكل ما اتخذ إلهًا مع الله فألوهيته باطلة، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

لقد كانت بعض الأمم السابقة كالعرب فى جاهليتهم يسلمون لله بالربوبية ولكنهم كانوا يجادلون أشد الجدال فى استحقاقه العبادة، ويتعجبون من دعوة رسول الله ﷺ لهم إلى عبادة الله وحده دون غيره[2]: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

إن الله تعالى أبطل اتخاذ المشركين هذه الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله بدليلين قاطعين:

الأول: عجز هذه الآلهة: فهى غير قادرة على النفع ولا على الضر، ولا تملك لنفسها شيئًا فهى مخلوقة لا خالقة[3]، يقول تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

الثانى: إقرار المشركين أنفسهم بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء، وقد ورد ذلك فى الآيات التى تبدأ بقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾.

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، ص٢١٧.

(٢) معالم الثقافة الإسلامية: عبد الكريم عثمان، ص ٥١.

(٣) العقيدة والأخلاق: محمد بيصار، ص٩٧ وما بعدها.

الأمر الرابع: توحيد أسماء الله وصفاته:

الإيمان بالله يقتضى الإيمان بأسمائه وصفاته، أى ما ثبت لله تعالى من الأسماء والصفات على الوجه اللائق من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف.

إن معرفة صفات الله والتأمل فى معانيها، وإثبات الأسماء الدالة عليها، كل ذلك يعمق الإيمان بالله، ويؤكده ويثبته[1]، وقد أخبرنا الله سبحانه بأن له الأسماء الحسنى، وأمرنا أن ندعوه بها فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد حثنا رسولنا الكريم ﷺ على إحصائها فقال: «**إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وإن الله وتر، يحب الوتر**»[2]. والمراد بالإحصاء: حفظها، وفقه معانيها، والعمل بمقتضاها[3].

فائدة العلم بأسماء الله وصفاته:

الفوائد الحقيقية التى يجنيها المسلم من هذه المعرفة بأسماء الله وصفاته يمكن أن نوجزها فيما يلى:

١- التعرف الحقيقى على الله تعالى، فالأسماء والصفات هى الوسيلة الوحيدة التى تعرفنا بربنا سبحانه، وبدون ذلك سيبقى الإيمان به فكرة غامضة، لا تعطى ثمارًا طيبة[4].

٢- دعاؤه -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد أخبر النبى ﷺ أكثر من مرة أن

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، ص ٢٣٨. العقيدة فى الله ص١٨٥.

(٢) الحديث متفق عليه عن أبى هريرة.

(٣) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية: أحمد العيادى، ص ١٣٩.

(٤) المرجع السابق.

واحدًا من الصحابة دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أجاب، وإذا دعى به أعطى، مما يدل على ميزة اسم الله الأعظم عن بقية أسمائه وصفاته، ومن الأحاديث الدالة على ذلك، ما روى عن بريدة الأسلمى -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو ويقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال ﷺ: «**والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»(١).

٣- تمجيد الله سبحانه والثناء عليه بأسمائه وصفاته، فهى أعظم ما نمجد الله به، وهو من أعظم الذكر الذى أمرنا به فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤١].

الركن الثانى: الإيمان بالملائكة:

تحدث الله سبحانه كثيرًا عن الملائكة فى كتابه الكريم، كما حدثنا عنهم الرسول ﷺ، فأصبحنا نعرف شيئًا كثيرًا عن أصلهم وقدراتهم وأعمالهم وصفاتهم.

والملائكة عالم غيبى خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، يطيعون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون(٢).

لهم قدرات هائلة فى الحركة والعمل، وقد وكل الله إليهم القيام على أمر الكون.

فمنهم ملائكة مختصون بالسحاب، وملائكة بالنيات، وآخرون موكلون بالإنسان لحفظه وحفظ أعماله، ومنهم سفراء الله إلى رسله من البشر، وهناك خزنة الجنة، وخزنة النار(٣).

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن بريدة الأسلمى.

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمرى، ص٧٢.

(٣) المرجع السابق

وعددهم كثير لا يحصيه إلا الله سبحانه، وهم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع.

وقد وصفهم الله -تعالى- في كتابه بأوصاف كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

إن الإيمان بالله تعالى يستوجب الإيمان بملائكته، وأنهم عالم غيبي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ويقتضي الإيمان بالملائكة[١]:

- الإيمان بوجودهم، وأنهم من خلق الله.
- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل، وإسرافيل، وميكال، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.
- الإيمان بما أعلمنا الله من أعمالهم العامة والخاصة: كتسبيحهم الليل والنهار بدون ملك ولا فتور، والأعمال التي يختص بها بعضهم، كاختصاص جبريل بالوحي، وميكال بالقطر، وإسرافيل بالنفخ في الصور، وخازن النار، والموكل بقبض الأرواح. وهكذا[٢].

وقد ضل كثير من البشر في شأن الملائكة، فمنهم من أنكر وجودهم، ومنهم من اعتقد فيهم العقائد الفاسدة، فقد زعم المشركون أن الملائكة إناث، وقالوا: هم

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

الأمر الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

الكتب السماوية: هى الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى على رسله(١).

وهى كتب خالصة مبرأة من العيوب، سليمة من الاختلاف، داعية إلى الهدى، مبينة لحدود الله، شارحة لمراده من خلقه، وهى نور كلها، وحق كلها.

والكتب السماوية بعضها ذُكر فى القرآن الكريم، مثل التوراة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، والإنجيل، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، والزبور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وأنزل القرآن، وهو آخر الكتب نزولاً، وهو كتاب الله المحفوظ، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ويقول تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهناك كتب سماوية أخرى لا يعرف لها وجود اليوم كصحف إبراهيم، وبعضها موجود، ولكنه محرف كالتوراة والإنجيل والزبور.

إن الإيمان بالكتب السماوية يوجب التصديق بما يلى(٢):

١- أنها من عند الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٣٣.

(٢) العقيدة والأخلاق: محمد بيصار، ص ٢٨.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها، كالتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام والإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذى أوتيه داود عليه السلام، والقرآن الذى أنزل على محمد ﷺ[١].

وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً استجابة لقول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٣- العمل بأحكام ما لم ينسخ من هذه الكتب، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته وعلته أم لا[٢].

الركن الرابع: الإيمان بالرسل والأنبياء:

الرسل والأنبياء هم الكُمّل من البشر الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم ليكونوا سفراء إلى خلقه، يحملون وحيه وتعاليمه وشرائعه، ويبلغون عنه[٣].

ورسل الله وأنبياؤه بشر مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولاضرًا، يقول تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

كما أنهم تلحقهم خصائص البشر من: المرض والموت والحاجة، يقول تعالى عن إبراهيم -عليه السلام- فى وصفه لربه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨١]، ويقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٧٥.

(٣) المرجع السابق.

وفى النهاية فقد وصف الله تعالى رسله بالعبودية فى أعلى مقاماتها، فقال سبحانه فى حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] وفى نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقد وصف جميع الأنبياء والمرسلين أنفسهم بالعبودية، ومنهم رسول الله ﷺ فقال عن نفسه: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(١).

ويقتضى الإيمان بالأنبياء والرسل عدة أمور(٢):

١- التصديق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية الناس، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر.

٢- التصديق بمن علمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم اسمه منهم يجب التصديق به إجمالاً.

٣- التصديق بما صح من أخبارهم التى ذكرها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ، فهو المرسل إلى الناس كافة، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وظائف الأنبياء والرسل:

للرسل والأنبياء وظائف كثيرة نذكر منها ما يلى:

١- البلاغ المبين لكل ما أنزل على رسول من رسل الله، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١) حديث صحيح.

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٧٧.

٢- الدعوة إلى الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- إصلاح النفوس وتزكيتها: فمهمة الرسل إصلاح ما اعترى النفس البشرية من فساد عقيدة وفساد أخلاق، وتزكيتها بالعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

٤- التبشير والإنذار: فيبشرون الناس إن هم أخلصوا العبادة لله وساروا على نهجه، وينذرونهم إن هم ساروا في طغيانهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

٥- دحض الأفكار المنحرفة والعقائد الزائفة: فقد أنكر جميع الرسل -عليهم السلام- على أقوامهم عبادة الأصنام والأوثان والنجوم، وغيرها مما يعبد من دون الله[١].

٦- إقامة الحجة والبرهان على أن ما جاءوا به من عند الله هو الحق، يقول تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

٧- تنظيم سياسة الأمة في جميع أمور حياتها: فالرسل مأمورون بذلك، فرسول الله ﷺ مأمور بالحكم[٢]، يقول تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، وداود عليه السلام كان خليفة الله في الأرض يحكم بين الناس بالعدل، يقول تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]، وأنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أممهم، وفي الحديث: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي»[٣].

---

(١) محاضرات في الثقافة الإسلامية ص ٣٥.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٣٦.

(٣) صحيح البخاري -حديث رقم ٣٤٥٥. صحيح مسلم -حديث رقم ١٨٤٢.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر (يوم القيامة) ركيزة عظيمة وقاعدة من القواعد المهمة، وأصل من الأصول، وما لم يتحقق هذا فإن العبد يتعثر فى مسيرته، ولا يستقيم أمره.

وقد أخبرنا القرآن الكريم والرسول العظيم عن علامات هذا اليوم الدال على قرب وقوعه، وأعظمها: خروج الدابة، والدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور[1]:

١- الإيمان بالبعث والنشور: وهو إحياء الموتى حين ينفخ فى الصور، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غرلا غير مختتنين، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢- الإيمان بالحساب والجزاء: حيث يحاسب الله عباده على ما قدموا؛ إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

٣- الإيمان بالجنة والنار، وأن مصير العباد جميعًا إليهما، فالجنة دار الأتقياء الأنقياء الطائعين، والنار دار الكافرين، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦- ١٠٨].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: فتنة القبر، وعذابه ونعيمه.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٨٠.

الركن السادس: الإيمان بالقدر (خيره وشره):

الإيمان بقدر الله: يعنى أن نؤمن أن علم الله محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وقد سجل الله -سبحانه- فى اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فما من أمر إلا وهو فى كتاب مسطور.

وليس للعباد أن يعارضوا أمر الله الشرعى بما قدره وكتبه عليهم، فالله شاء منهم أن يعبدوه، ولم يطلعهم على ما قدره لهم وكتبه عليهم.

ولا يجوز البحث عن الطريقة التى تعمل فيها قدرة الله تعالى، ولا يستطيع العقل أن يدرك كيفيته[1].

وقد ضل فى القدر طائفتان:

الطائفة الأولى: وهى التى زعمت أن العبد مجبر على عمله، وليست له فيه إرادة ولا قدرة، وهم الجبرية[2].

الطائفة الثانية: وهى التى قالت: إن العبد مستقل بعمله فى الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله وقدرته فيه شيء، وهم القدرية.

ويتضمن الإيمان بالقدر عدة أمور[3]:

١- التصديق بأن الله علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا.

٢- التصديق بأن ذلك ثابت فى اللوح المحفوظ.

٣- التصديق بأن جميع المخلوقات خلقت بمشيئة الله.

٤- التصديق بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى، بذواتها وصفاتها وحركاتها.

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٤٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١، وانظر: المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٠٥.

(٣) العقيدة الإسلامية: محمد بيصار، ص ٩٩ وما بعدها. نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص٢٤١.

تنبيه:

الإيمان بقدر الله لا ينافى أن تكون للإنسان مشيئة فى أفعاله الاختيارية، لأن الشرع والعقل يدلان على إثبات ذلك:

أما الشرع: فقد أثبت الله المشيئة لعباده، فقال سبحانه: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وأما العقل: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة، بهما يفعل وبهما يترك.

الأسس التى يقوم عليها الإيمان بالقضاء والقدر:

هناك عدة أسس يقررها العلماء يقوم عليها الإيمان بالقضاء والقدر، وهى[1]:

١- أن علم الله الأزلى محيط بالأشياء قبل حدوثها، فالله يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن، وقد كتب فى اللوح المحفوظ كل شىء.

٢- أن الله خالق كل شىء، ما نعلم وما لا نعلم.

٣- أنه لا يقع فى ملك الله إلا ما شاء الله، فمشيئته محيطة بالخلائق.

٤- عدم مناقشة الله فى قضائه وحكمه، تبارك الله وتعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٥- لا يصح لأحد أن يحتج بالقدر فى مواجهة الحكم الشرعى، فالقدر مستور، وقد كلف الله تعالى عباده بما تضمنه الوحى المنزل، وعليهم الاستقامة وفق ما شرع لهم، وعلى ذلك فإن كل إنسان مسئول عن تصرفاته وأعماله.

٦- على البشر أن يعلموا أن مباشرة الأسباب من القدر، فالله قدر أن يأتى الولد بالنكاح، وأن يكون الدواء سببًا فى الشفاء... وغير ذلك، فلا يجوز إهمال الأسباب احتجاجًا بالقدر، وقد فقه رسول الله ﷺ وأصحابه ذلك فأعدوا العدة للحرب والجهاد، وفكروا ودبروا وخططوا.

(١) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٠٦.

المبحث الثالث

خصائص العقيدة الإسلامية ومزاياها

العقيدة الإسلامية تنفرد عن غيرها من العقائد المنحرفة بخصائص ومزايا كثيرة.

وهذه الخصائص تتمثل فيما يلى:

١- **كونها غيبية**: فالعقيدة الإسلامية ليست أمورًا محسوسة، ومعنى كونها غيبية، أى لا يعلم حقائقها إلا الله سبحانه وتعالى، فالله غيب، وكذلك الملائكة، واليوم الآخر، والقدر، أما الرسل والكتب السماوية والإيمان بها إنما يكون بالتصديق بنسبتها إلى الله، أى كونه أرسل الرسل وأنزل الكتب، وهذا غيب. وكل الذى ذكرنا يعتمد فيه على ما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة النبى ﷺ(١).

٢- أنها عقيدة توقيفية: ومعنى كونها توقيفية أى لا يجوز إعمال العقل أو الاجتهاد فى بيانها وتوضيحها. فالاعتقاد بها يعتمد على ما ورد ذكره فى الكتاب والسنة(٢).

٣- أن مصدرها هو الوحى السماوى الصادق: فهو الذى أثبتها، وأثبت أركانها، وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل.

٤- أن مسائلها يقينية: لا يتطرق إليها شك أو احتمال، لأن الشك ينافى الاعتقاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

٥- أنها وحدة متشابكة مترابطة: وهذا من أهم خصائص العقيدة الإسلامية، بحيث إذا هدم ركن من أركانها خرج صاحبها من دائرة الإسلام، فالذى يكفر باليوم الآخر، أو الجنة، أو النار، أو يكذب الرسل، أو يكذب بالملائكة، وهو يعلم فهو كافر، قال تعالى فى الذين يكفرون ببعض أصول الاعتقاد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) خصائص التصور الإسلامى ص ٦٥ وما بعدها. معالم الثقافة الإسلامية ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) مذكرة فى العقيدة الإسلامية ص ٤ وما بعدها.

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

٦- أنها عقيدة ثابتة شاملة: لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل، شاملة لكل ما هو لله ومن عند الله، بما فيه صلاح الفرد والمجتمع.

٧- الوسطية والاعتدال فى منهجها، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٨- أنها لا تتعارض مع العقل السليم والفطرة السليمة: فكل من يتأمل القرآن والسنة يجد أن للعقل مكانًا عظيمًا فى الإسلام، فقد خص الله الإنسان بالعقل وخطابه به فقال: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢]. أى يا أصحاب العقول.

٩- أن فيها ما يحقق الحرية للإنسان، والكرامة له، فى كل مجالات الحياة، بخلاف ما عليه العقائد الفاسدة التى أدت إلى ألوان من الفوضى فى النظام الخلقى والاجتماعى.

١٠- أنها تهدم الخرافات، والتقليد الأعمى، والأوهام والشكوك، تهدم كل ذلك بالحجة والبرهان[١].

المبحث الرابع

أثر العقيدة الإسلامية فى الفرد والمجتمع

للعقيدة الإسلامية آثار كثيرة طيبة فى النفس الإنسانية، وفى المجتمع الإنسانى.

وسنحاول -فيما يلى- توضيح هذه الآثار:

أولاً: أثر العقيدة فى الفرد:

أما أثرها فى الفرد فيتمثل فى الآتى:

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية ص٨٤ وما بعدها.

١- الرضا النفسى، والاطمئنان القلبى، فالنفس دائمة الاضطراب، تزعجها الشدة والبلاء، وليس مثل العقيدة الإسلامية يجعلها مطمئنة، وجالبة للخير والسعادة والهناء: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٢- الاستقامة والصلاح: فالعقيدة تؤثر على الفرد تأثيرًا إيجابيًا، فتجعله مستقيمًا فى حركاته وسكناته، مع نفسه ومع الغير، وهى تجعله صالحًا فى شئون دنياه وأخراه.

٣- تؤثر العقيدة فى الفرد فتجعله شجاعًا مقدامًا، فالإيمان يغرس فى النفس إن الأرزاق بيد الله، وأن أمره بيد خالقه، وتجعله كذلك متوكلاً معتمدًا عليه، لا يرهب الباطل، ولا يخشى الموت، يواجه الظلم والطغيان بنفس شجاعة، وهذا هو السر فى وقوف أهل الإصلاح من هذه الأمة فى وجه الظلمة والظالمين.

٤- تؤثر العقيدة فى الفرد فتجعله يشعر بكرامته، ومنزلته من الله الذى ميزه عن سائر خلقه، وجعله محور النشاط فى الكون، وسخر له ما فى السماوات والأرض.

٥- تؤثر العقيدة فى الفرد فى أنها تجعله يحس بأنه قريب من الله لا يحتاج إلى وسيط يقربه منه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعًا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة**»(١).

٦- أنها تجعل المسلم حيًا من الله، حيًا من الكرام الكاتبين، الذين يراقبون أعمال العبد، ويسجلون عليه صغير أعماله وكبيرها، ثم يودع ذلك فى كتاب يعرض على العبد يوم القيامة.

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٥١٢.

٧- أنها تؤثر فى الفرد فتجعله محرراً من عبودية غير الله، فلا يخشى أحداً إلا الله، ولا يشغل قلبه بالماديات والشهوات.

٨- أنها تجعل الفرد على علم بعظمة الله وقوته وسلطانه وجبروته من خلال التعرف إلى صفاته، ومعرفة مخلوقاته العظيمة.

ثانياً: أثر العقيدة فى المجتمع:

فكما أن للعقيدة آثاراً إيجابية على الأفراد، فإن لها آثاراً إيجابية على المجتمع، وأهم هذه الآثار فى المجتمع ما يلى:

١- الوحدة والاتفاق: فأتباع هذه العقيدة تأتلف منهم القلوب، وتتفق منهم الأعمال، وكلما استمسكوا بها ازدادوا اتحاداً ، فالإله واحد، والدين واحد، والرسول واحد، والتصورات واحدة، والأعمال متقاربة متشابهة، يقول تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- تحرير المجتمع من التخطيط الفكرى الهدام، والفوضى العقائدية، والعبودية للمادة، وإخراجه من ظلمات الشرك والجهل والخرافة والدجل إلى نور العلم الذى يكشف الحقائق.

٣- الحفاظ على النفوس والأعراض والأموال: فالعقيدة تغرس خوف الله وخشيته فى القلوب، وتردع النفوس عن الإفساد فى الأرض.

٤- رفع المستوى الاجتماعى والحضارى لمعتنقيها: فالعقيدة هى التى جعلت الأمة قوة لها نفوذها ولها سلطانها، يخشى منها القريب والبعيد.

الفصل الرابع

التيارات المعادية وكيف نواجهها بثقافتنا الإسلامية

تمهيد:

مما لاشك فيه أن ثقافة بهذه الخصائص والميزات لابد أن تواجه تيارات معادية على مر التاريخ الإنسانى.

وهذه التيارات المعادية فى صراع دائم مع الإسلام والمسلمين، وهذا الصراع قائم، فلابد من تحديد العدو الذى ينبغى أن تتجه جهودنا إلى مصارعته ومحاربته، فتحديد العدو ضرورى جدًا، وإذا لم يوفق الإنسان فى معرفة عدوه فإنه يتخذ العدو صديقًا، والصديق عدوًا، فيوجه المرء قواه لتدمير نفسه، ونفع عدوه.

وقد عرفنا الله تعالى أعداءنا من الإنس والجن، وأمرنا أن نحذرهم ونقاومهم، فنحن فى معركة مع هؤلاء الذين يحاولون النيل من الإسلام بشتى الطرق.

التحديات المعاصرة:

لقد واجه العالم الإسلامى والثقافة الإسلامية تحديات كثيرة، حيث امتد الهجوم عليه فى جبهات عريضة، وشحذت له أسلحة شتى، وخصوم لا يرضون بشىء إلا أن يملئوا الدنيا أراجيف بأن الإسلام دعوة باطلة، ورسالة زائفة، وأنه لا يجوز له البقاء أكثر مما بقى.

إن ما يحدث الآن فى الساحة العالمية من هجوم على الإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام فى الخارج وأزلامهم فى الداخل لهو رأس التحدى الذى يجب على المسلمين أن ينتبهوا له، وشحذوا هممهم لمقاومته، والعمل على إبطاله بكل الوسائل.

إن التحديات التى تواجه الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذا الزمن كثيرة، منها: تحديات العولمة، والعلمانية، والاستشراق، والتبشير (التنصير).

أما عن الاستشراق والتبشير فسنخصص لكل واحد منهما بحثا مستقلا بذاته، أما العولمة فهى: تلكم القوى التى لا يمكن السيطرة عليها كالأسواق العالمية

والشركات المتعددة الجنسيات، والتى تستولى عليها الدول الكبرى[1]. وبالطبع هى الدول التى اتخذت التبشير والاستشراق وسائل لتحقيق أهدافها، وبالتالى فالعولمة تدخل فى نطاق الاستشراق والتبشير بطريق خفى، فلا داعى للحديث عنها.

تبقى «العلمانية»:

ونتحدث عنها بإيجاز كأحد التيارات المعادية للإسلام والثقافة الإسلامية.

العلمانية: منسوبة للعلم، وظاهرها الإشادة بالعلم، والتركيز عليه فى نهضة الأمة.

وإذا كانت العلمانية كذلك فلما اعتبرناها من أخطر التحديات التى تواجه الثقافة الإسلامية؟ وهل العلم خطر على الإسلام؟

من المعلوم أن الإسلام دين العلم، فهو يأمر بطلبه ويحث على تعليمه، ولا يوجد نظام يحث على العلم مثل الإسلام، بل ولم يتقدم العلم بجميع فنونه إلا فى ظل الإسلام.

إن العلمانية ليست مشتقة من العلم، ولا هى منسوبة إليه، وإنما هى ترجمة عربية لمصطلح غربى أوروبى، له معنى معين عند الغربيين، وهو «اللادينية» أى: إقامة الحياة بعيداً عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة [2].

ولقد عرفت دائرة المعارف البريطانية هذا المصطلح فقالت: إن العلمانية (اللادينية) هى: حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، وإلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها[3].

وقد علق محمد قطب على هذا المعنى بقوله: «وهكذا يتضح أنه لا علاقة للكلمة بالعلم، إنما علاقتها قائمة بالدين، لكن على أساس سلبى، أى: على أساس نفى الدين والقيم الدينية عن الحياة[4].

(١) العولمة: محمد سعيد أبو زعرور ص١٣-١٥ بتصرف. دار البيارق-بيروت ط أولى١٩٨٨م.

(٢) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص١٩٣. لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص١٠٣

(٣) العلمانيون والإسلام: محمد قطب، ص٨.

(٤) مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، ص ٤٤٥.

إن العلمانية (اللادينية) هى الخطر على الإسلام، وهى التحدى الكبير له، وهى مناقضة للإسلام، لأنها تهدف إلى إقصائه وإبعاده عن الحياة[١].

وقد نجح الغربيون فى إقصاء الدين عن الحياة، أى أنها تعنى الكفر بالله وبرسوله وبالإسلام.

الدعوة إلى العلمانية (اللادينية) فى الدول الإسلامية:

لقد تأثر بعض المثقفين فى بلاد العرب والمسلمين بتلك (اللوثة) وأصابتهم العدوى، فدعوا إلى العلمانية فى بلادهم، وطلبوا من الناس الاقتداء بالغربيين فى حياتهم إن أرادوا أن يعيشوا حياتهم بحرية، واعتبروا حياة الغرب هى النموذج المقتدى، والمثل الأعلى، وأعجبوا بتقدم الغربيين المادى والتكنولوجى، وما عليه من فصل بين الدين وبين مجالات الحياة: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية. . . ، وقاسوا الإسلام- للأسف- على النصرانية[٢].

وقد تشرب بعض حكامنا ومثقفينا مبادئ اللادينية الغربية، ورددوها فى أساليبهم التعبيرية، ولم يلحظوا الفرق الجوهرى بين الدين النصرانى المحرف الذى سلكه الغربيون وفصلوه عن حياتهم، وبين الإسلام الدين الحق الذى هو دين الحياة، والذى لا يمكن فصله عن الحياة[٣].

وقد بدأ تأثر المثقفين بهذه الدعوة فى القرن التاسع عشر، عندما حكم (محمد على) مصر، وبدأ يفصل الإسلام عن الدولة، وكان متأثرًا باللادينية الغربية، وعمل على نشر تلك الدعوة فى البلاد، فأوفد بعض الطلاب إلى الدول الغربية للدراسة، وقد تأثر هؤلاء بتلك الدعوة الغربية[٤].

---

(١) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام: د. على جريشة، ص٣٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢٨.

(٣) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص١٩٧. المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد صبحى العيادى، ص ٢٠٧.

(٤) المرجعان السابقان. وانظر: مذاهب التفسير الإسلامى: د. عبد الحليم النجار، ص١٦٤.

واستمرت تلك الدعوة فيما بعد، وما زالت تنتشر حتى ابتعدت الأجيال الجديدة عن الإسلام.

عاشت المجتمعات المسلمة فى تبعية للغرب، كما قامت أنظمة وحكومات فى بلاد الإسلام بعيدة عن الإسلام، ونجح هؤلاء فى الفصل بين الإسلام والحياة العامة، وحصروه فى المساجد، وصارت باقى مجالات الحياة فى بلاد المسلمين «لادينية» كما هى حياة الغربيين!![1].

أسباب انتشار العلمانية (اللادينية) فى الدول الإسلامية:

من أهم أسباب الدعوة إلى العلمانية فى الدول الإسلامية، وانتشارها بين أبناء المسلمين، وفصلهم بين الإسلام والحياة ما يلى:

١- الفراغ النفسى والفكرى والوجدانى الذى عليه بعض المفكرين والمثقفين المعتنقين للمبادئ العلمانية الغربية، والمتأثرين بهم فى كل ميادين الحياة.

٢- الهزيمة أمام التقدم العلمى الغربى فى أمور الحياة المادية، فقد أساء المفكرون الظن بالإسلام وبالثقافة الإسلامية، وأحسنوا الظن بكل ما هو غربى، وانبهروا بالحياة الغربية، ورأوا أنهم لا شىء أمام الغربيين دعاة العلمانية، فاستسلموا لهم.

٣- البعثات الدراسية التى يختار لها المتفوقون دراسياً، فيندمج هؤلاء فى بوتقة العلمانية، وينبهرون أمام النموذج الغربى، ويصيرون بعيدين كل البعد عن الإسلام وتعاليم الإسلام.

٤- هذه السلطة التى ينصب لها المثقفون العلمانيون فى بلاد الإسلام حيث يرتقون أعلى المناصب، وبالتالى يطبقون مبادئ العلمانية فى مواقعهم، عن طريق الفصل بين الإسلام والسياسة، وبينه وبين الاقتصاد، والاجتماع، والتعليم، ومؤسسات الحكم والتشريع والتوجيه.

(١) لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٠٥.

٥- محاولة إقصاء المفكرين الاسلاميين عن تولى المناصب الهامة فى الدولة، وبذلك نشأت أنظمة حكم غير مطبقة للإسلام، ونشأت مجتمعات غريبة عن الإسلام.

٦- محاربة الدعاة الواقفين أمام دعاوى العلمانية، حيث أعلنت الحرب على هؤلاء الدعاة، ووجهت ضدهم حملات تحريضية، فى الوقت الذى مكنت فيه للعلمانيين تولى أهم المناصب كما ذكرنا[١]

وبذلك انتشرت الأفكار اللادينية فى بلاد المسلمين، وأصبح الإسلام غريبا فيها!!.

الإسلام والعلمانية وجها لوجه:

لا يمكن للإسلام والعلمانية أن يلتقيا أو يتعاونا أو يتعايشا فى الحياة، فهما على طرفى نقيض.

إن معتنقى العلمانية فى بلاد المسلمين مغالطون محرفون عندما يزعمون التعايش والجمع بين الإسلام والعلمانية.

إن هناك فوارق جذرية بين الإسلام والعلمانية وهى تتمثل فى الآتى[٢]:

١- أن العلمانية اللادينية تعنى: الفصل بين الإسلام وأمور الحياة، وحصر الإسلام فى زاوية العبادة فقط،أما مجالات الحياة الأخرى فلابد أن تقام على أساس لادينى، وتقليد الغربيين فى ذلك.

٢-أما الإسلام فإنه يعنى:إقامة الحياة بجميع ضروبها على أساس توجيهات الإسلام، وعدم سن أو إقرار شىء يخالف الإسلام، سواء كان ذلك فى المجال الثقافى، أو الاقتصادى، أو الاجتماعى، أو السياسى.

---

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة فى التصور الإسلامى: محمد الحسن، ص٢٦. الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص١٩٧، ١٩٨.

(٢) المرجعان السابقان، وانظر: المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص٢٧١، ٢٧٢.

٣- كيف يلتقى الإسلام مع العلمانية، وهو الذى يقوم على إسلام الوجه لله، وتحقيق الإيمان به، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود متعلقات ثلاث له وهى: المتعلق الاعتقادى: بتحقيق أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

والمتعلق الأخلاقى: الذى يربى فى المسلم الأخلاق الفاضلة، وينبذ الأخلاق الذميمة السيئة.

والمتعلق التشريعى: والمتمثل فى العبادات، والمعاملات التى تنظم أمور الناس فى كل أمور الحياة.

أما العلمانية فلا تقوم على شىء ذلك البتة، فكيف يلتقيان؟

المبحث الأول

الاستشراق وخطره

من التحديات الخارجية التى تواجه العالم الإسلامى والثقافة الإسلامية: الاستشراق وجهود المستشرقين التى كان ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فالمستشرقون همهم الرئيسى هو الطعن فى الإسلام، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه ليثبتوا أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار.

وفى هذا المبحث سنتناول الحديث عن مفهوم الاستشراق، وطوائف المستشرقين، ودوافع الاستشراق، وأهدافه، والشبهات التى أثاروها حول الإسلام والرد عليها.

مفهوم الاستشراق وتاريخه:

مفهوم الاستشراق:

الاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على كل ما تتعلق دراسته بالأمم الشرقية من حيث التاريخ، والديانة، واللغة، والأوضاع الاجتماعية، والبلاد، والأرض،

والحضارة، وكل ما يتعلق بالشرقيين خاصة المسلمين، وذلك لخدمة أغراضهم المتمثلة فى تنصير أفراد تلك الدول، وللاستعمار من جهة أخرى[١].

والمستشرقون: هم طائفة من غير المسلمين تخصصت فى دراسة علوم الشرق ولغاته ودينه.

وهذه الطائفة مترابطة فيما بينها، منظمة فى عملها، محددة أهدافها، وهى دراسة علوم الإسلام والطعن فيها[٢].

تاريخ ظهور الاستشراق:

بداية الاستشراق كانت مصاحبة للحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد حضر بعض علماء الغرب مع هذه الحملات التى اجتاحت بعض الدول الإسلامية. لدراسة الإسلام، وكشف ما فيه من أسرار جعلته قويًا متينًا منتشرًا[٣].

ولا نعرف بالتحديد من هو أول غربى عنى بدراسة أحوال الشرق، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها، وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن والكتب إلى لغاتهم، ومنهم من تتلمذ على علماء المسلمين.

واستولت الحملات الصليبية على ممتلكات العالم الإسلامى، ومنها المخطوطات الثمينة، وهى أعداد هائلة نقلت إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغ عدد هذه المخطوطات النادرة فى أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مخطوط (٢٥٠ ألفًا) ومازال هذا العدد يتزايد حتى الآن!!

وقد عقد أول مؤتمر للاستشراق فى باريس سنة ١٨٧٣م، ثم توالت المؤتمرات بعد ذلك ثم أقيمت الجامعات التى تدرس أهداف الاستشراق، وعقدت المؤتمرات والندوات، ولاتزال تعقد حتى الآن[٤].

---

(١) الاستشراق والمستشرقون: د. مصطفى السباعى، ص١٨، العقل المسلم، ص١٢.

(٢) مذكرة فى الثقافة الإسلامية: عبد الرحمن الشافعى، ص١٣٦.

(٣) مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: على النملة، ص٧.

(٤) الاستشراق والمستشرقون ص١٧. القرآن والمنهج العلمى المعاصر: د. عبد الحليم الجندى، ص١٧٩.

طوائف المستشرقين:

المستشرقون فى موقفهم من الإسلام والثقافة الإسلامية ثلاث طوائف[1].

الطائفة الأولى: الطائفة المهتدية من المستشرقين: وهى التى درست علوم الإسلام دراسة دقيقة متأنية، فشرح الله صدرها للإسلام فأسلمت، وبذلت جهدًا عظيمًا لنصرة الإسلام عن طريق عقد المؤتمرات والندوات التى تبين حقائق الإسلام وسماحته، كما قامت هذه الفئة بتأليف الكتب القيمة لخدمة الإسلام.

الطائفة الثانية: الطائفة المحايدة والمنصفة: وهى التى درست الثقافة الإسلامية بموضوعية، ولم تغير فى هذه الثقافة شيئًا ولم تحرف منها شيئًا، ولكنها ظلت على ديانتها فلم تفتح قلبها، ولم تهتد للإسلام.

الطائفة الثالثة: الطائفة المغرضة الحاقدة: وهى التى درست الثقافة الإسلامية، وشوهتها، وحاربتها، وهذه هى الطائفة الخبيثة التى تمثل التحدى، والتى ألهبت أوار التعصب، وشحنته بمزيد من الحقد والكراهية.

هذه هى الطوائف الثلاث للمستشرقين، نخرج منها الطائفة الأولى التى شرح الله صدرها للإسلام.

أما الطائفة الثالثة فهى معروفة بحقدها على الإسلام وكراهيتها له.

أما تعليقنا على الطائفة الثانية: وهى الطائفة المنصفة والمحايدة للثقافة الإسلامية والتى لم تدخل فى الإسلام، فنقول: لو صدق القول بأنها منصفة لقادها إنصافها إلى الإسلام، وكيف يكون منصفًا من يدعى أن الرسول ﷺ كاذب، وأن دين الإسلام مفترى، إن واحدًا منهم، وهو أفضل من يضرب به المثل على إنصافه، وهو (غوستاف لوبون) ذكر فى كتابه (حضارة العرب) ما نبغ فيه المسلمون، وردّ كثيرًا من الأخطاء والطعون التى وجهت إلى الإسلام، هذا المستشرق طعن فى

(١) المنتقى من دراسات المستشرقين: صلاح الدين المنجد، ١/ ٤٢. الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، ص ٥٩.

رسول ﷺ بأنه ملهم ومولع بالنساء، وطعن فى جبريل -عليه السلام عندما نزل بالقرآن ليبرئ عائشة رضى الله عنها من حادثة الإفك[1].

كيف يكون هذا الرجل منصفًا بعد أن ذكر كل ذلك عن الرسول وعن جبريل؟ لو كان منصفًا لعلم أن محمدًا ﷺ معصوم، ومن عصمته أن الله لا يقره على خطأ، فالطعن فيه طعن فى الله رب العالمين، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[2].

دوافع الاستشراق:

على من يدرس ثقافة ما، أو يتناول قضية معينة، أن يكون منصفًا محايدًا فى تناوله لعرض الموضوع، ويكون متحررًا عن الأمور الشخصية والعصبية، فلا تتحكم فيه عاطفة أو اعتقاد.

لكن هذا كله لم يكن موجودًا عند كثير من المستشرقين، فهم عندما درسوا الثقافة الإسلامية درسوها وفى قلوبهم كره عميق، وهو كره ليس عقليًا فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية، فالأوروبيون قد لا يتقبلون ثقافات الأمم الأخرى كالبوذية والهندية والصينية وغيرها، لكنهم دائما لا يحاولون مهاجمتها، لكن عندما يتعلق الأمر بالإسلام يختل هذا التوازن[3].

ومن هنا يتبين لنا أن هناك دوافع للاستشراق نابعة من حقد دفين، وكره عميق، ويأتى على رأس هذه الدوافع الدافع الدينى.

ونورد فيما يلى أهم دوافع الاستشراق:

١- **الدافع الدينى:** وهو أهم الدوافع، فالاستشراق دافعه الأساسى الطعن فى الإسلام، وتشويه صورته، وتحريف حقائقه، ليصرفوا أنظار الغربيين عن هذا

(١) الحركة الفكرية ضد الإسلام: دويدار، ص ٨١. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، ص ١٤٨.
(٢) الاستشراق والمستشرقون: د. مصطفى السباعى، ص ١٨.
(٣) الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستفزاز: عبدالحليم نمر، ص ١٧٦. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٨٩.

الدين، وليصرفوهم أيضًا- عن نقد ما عندهم من عقيدة فاسدة وكتب مقدسة محرفة، فأخذوا يوجهون سمومهم المسمومة إلى الإسلام، ويصفونه بأنه دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج وسفاكون للدماء وإرهابيون... وغير ذلك من الأوصاف التى لا يزالون يرددونها إلى اليوم(١).

٢- **الدافع الاستعمارى**: اتجه المستشرقون بعد انتهاء الحروب الصليبية إلى دراسة الدول العربية والإسلامية فى كل شئون حياتها، ليتعرفوا إلى مواطن الضعف والقوة فيها (مواطن القوة ليضعفوها، ومواطن الضعف ليغتنموها)، ولما تحقق لهم ما أرادوا باستعمارهم بلاد الإسلام قاموا بإضعاف المقاومة فى نفوسنا، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، وتم لهم ما أرادوا وخضع الكثير منا لحضارتهم وثقافتهم خضوعًا تامًا(٢).

٣- **الدافع السياسى**: وهو دافع وجد فى عصرنا الحاضر، يقوم على الاتصال المباشر بين سفارات هذه الدول التى يوجد فيها من يحسن اللغة العربية وبين المفكرين من مواطنى هذه الدول، ويستخدمون البعض منهم كأدوات لنشر أفكارهم، وهذا موجود فى كل الدول العربية والإسلامية للأسف، والهدف من ذلك بث دسائس الفرقة بين المواطنين والحكومات، وبين الدول العربية بعضها بعضًا(٣).

٤- **الدافع التجارى**: ويتمثل هذا الدافع فى رغبة الغربيين وغيرهم فى التعامل التجارى مع المسلمين لترويج بضائعهم وسلعهم، وشراء الموارد الطبيعية التى نمتلكها بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) معالم الثقافة الإسلامية: عبدالكريم عثمان، ص٩٩.

(٣) المرجع السابق. وانظر: شبهات التغريب فى الغزو الفكرى التنصيرى: أنور الجندى، ص١٣.

(٤) الوجيز فى الثقافة الإسلامية، ص٢٠١.

أهداف المستشرقين:

كان للمستشرقين من دراستهم للإسلام والثقافة الإسلامية أهداف يسعون إلى تحقيقها، وهي:

١- تشويه التاريخ الإسلامي والحقائق الدينية الثابتة:

والمراد بالتشويه إخفاء الحقائق وطمسها وتغييرها بالتبديل عن طريق الزيادة والنقصان، ويتمثل ذلك في عدة أمور هي:

الأمر الأول: إنكارهم للقرآن الكريم بأنه كتاب من عند الله، حيث قالوا إنه مجموعة قواعد أخذها محمد ﷺ من قانون الرومان، وصاغها بما يوافق إمبراطورية الشرق. وقد تكفل بعض علماء المسلمين بالرد على هذه الدعاوى في بحوث علمية راقية، وسيأتي الحديث عن شبهات المستشرقين، وعن هذه الشبهة، وكيفية الرد عليهم(١).

الأمر الثاني: إنكارهم لرسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، حيث ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ نبيًا من عند الله عز وجل.

الأمر الثالث: إنكارهم للدين الإسلامي بالكلية، وهذا نابع من إنكارهم للقرآن الكريم ونبوة الرسول، وادعاؤهم أن الإسلام ملفق من اليهودية والنصرانية، وليس لهم في ذلك سند أو دليل على ما يدعونه(٢).

الأمر الرابع: إنكارهم للحديث النبوي، حيث يشككون في صحته، وتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث من وضع، متجاهلين الجهود العظيمة التي بذلها علماء المسلمين لتنقية الحديث الصحيح من غيره.

الأمر الخامس: ادعاؤهم بأن الفقه الإسلامي ما هو إلا القانون الروماني في لباس عربي، وقد رد علماؤنا على هذه الدعوى التافهة.

---

(١) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص٢٩١. التفكير الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، ص٥٣٥.

(٢) الاستشراق والمستشرقون: مصطفى السباعي، ص٢٦.

الأمر السادس: قالوا: إن اللغة العربية لغة عقيمة لا تساير التطور العلمى، فهى عالة على اللغات الحية، وهم فى ذلك لا يهاجمون اللغة فى ذاتها، ولكنهم يهاجمونها لأنها اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ليكون للعالمين نذيراً[1].

٢- التمهيد للاستعمار والتنصير:

وهذا من أهم أهدافهم، حيث كان المستشرقون يشاركون قواتهم فى التخطيط لاستعمار دول الإسلام، ويدلونهم على الطريقة المثلى للتعامل مع المسلمين، وكيف يكفر المسلمون بدينهم، وكيف يؤثرون على حكام المسلمين وشبابهم ونسائهم، وكانوا هم الذين يخططون لهم للسيطرة على مقاليد الأمور، ليصلوا إلى ما يريدون وهو تنصير المسلمين ،وتركهم لعقيدتهم.

٣- الغزو العلمى الغربى: وهو من الأهداف التى لا تقل أهمية عن الأهداف السابقة إن لم يكن أقواها، فقد وصل تأثير المستشرقين إلى مناهج التعليم فى الدول الإسلامية، وإلى المجامع العلمية، حيث يوجد بعض المستشرقين فى جامعاتنا، ومخططون لمناهجنا التربوية، والتحق الكثير من شبابنا ليدرسوا على أيدى هؤلاء، وليتعلموا على أيديهم، فكانت النتيجة أن غرسوا فى قلوب هؤلاء الشباب أباطيلهم[2].

وسائل الاستشراق فى العالم الإسلامى:

ما ترك المستشرقون وسيلة لتحقيق أهدافهم المسمومة ضد الإسلام والمسلمين إلا وسلكوها، ويمكن تقسيم هذه الوسائل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وسائل فكرية مشوهة هدفها القضاء على الإسلام وهدمه:

واعتمدوا لتحقيق هذا القسم من الوسائل الأمور التالية[3]:

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: الشيخ محمد الغزالى، ص١٠٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) الاستشراق والمستشرقون ص٢٧، ٢٨. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص٢٨٩- ٢٩١.

١- أخذهم بالروايات الموضوعة والمكذوبة، واعتمادهم عليها وحدها، دون الالتفات إلى الروايات الصحيحة التى بذل علماء المسلمين الجهد فى تدوينها، ودحض هذه الروايات المكذوبة.

٢- تأويلهم الفاسد لنصوص القرآن والسنة، حيث اعتمدوا فى ذلك على ما أنتجته قرائحهم من ناحية، وأخذهم بالإسرائيليات الموجودة فى بعض التفاسير من ناحية أخرى.

٣- معرفتهم للحقائق وعرضها معكوسة، وهذا يظهر فى كثير من كتبهم، ولكن الحقد أعمى قلوبهم، فبدلوا الحق باطلاً، وغيروا الثوابت.

القسم الثانى: وسائل تتعلق بالمستوى الاجتماعى للمسلمين[١]:

حيث اتخذوا من واقع الأمة الإسلامية المتخلف وسيلة للطعن على الإسلام، فهم يصورون واقع المجتمعات المسلمة تصويراً يبرزها فى حالة من المهانة والتخلف، وحاولوا ترسيخ هذا المعنى فى الأذهان بتصوير السلبيات فى مجتمعنا وحجب الإيجابيات، فراحوا يروجون فكرة المساواة بين الرجل والمرأة، وأن الإسلام ينقص من حقوق المرأة لحساب الرجل، وإن كنا سنتحدث عن هذه المسألة فيما بعد فإن ذلك لا يمنع من ذكرها هنا؛ لأن هدفهم إلصاق تهمة الظلم وعدم العدل بالإسلام، وأن العقوبات فى الإسلام قاسية لا تتفق وكرامة الإنسان، وأن الإسلام قائم على السيف، وغير ذلك من الوسائل التى اتخذها المستشرقون على المستوى الاجتماعى للأمة الإسلامية.

القسم الثالث: الوسائل العلمية[٢]:

حيث قاموا بتأليف الكتب فى موضوعات مختلفة عن الإسلام، وقاموا بإلقاء المحاضرات، وعقد المؤتمرات، وإصدار المجلات، ونشر المقالات فى الصحف، وهى وسائل الهدف منها طمس صورة الإسلام الحقيقية.

(١) المرجعان السابقان. وانظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٤٣.

(٢) المرجع السابق.

بعض شبهات المستشرقين حول الإسلام والرد عليها:

أثار المستشرقون بعض الشبهات ضد الإسلام فى محاولة منهم لتشويه صورته، وفى سبيل نشر هذه الشبهات اتبعوا وسائل كثيرة -ذكرناها منذ قليل- وسنذكر بعض هذه الشبهات التى زعمها المستشرقون، وسنقوم بالرد عليها:

الشبهة الأولى: شبهات حول القرآن الكريم:

من أوائل الشبهات التى أثارها المستشرقون فى دراساتهم: الطعن فى القرآن الكريم.

حيث قالوا: إن القرآن الكريم ليس وحيًا من الله، بل هو مجرد أقاويل جمعها محمد ﷺ من نصوص التوراة والإنجيل، ومن تأليفه، كما أنه أخذ بعضًا منه من بحيرا الراهب(١).

الرد على هذه الشبهة:

ونرد على هذه الشبهة بما يلى:

١- الادعاء بأن القرآن ليس وحيًا: هذا الادعاء لم يقله المستشرقون فقط بل ذكره أقرانهم من اليهود والنصارى منذ عهد النبوة حيث زعموا أن رسول الله ﷺ هو الذى اختلق القرآن، وأن الشياطين كانت تنزل على محمد ﷺ فتعلمه، وقد حكى القرآن هذه الشبهات وكذبهم ورد عليهم، يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣]. ويقول عز وجل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠- ٢١٢]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(١) الإسلام فى مواجهة التحديات: د. محمد رأفت سعيد، ص٥٢ وما بعدها.

٢- الادعاء بأن القرآن مأخوذ من نصوص التوراة والإنجيل: والرد على ذلك سهل وميسر، ويكون فى صورة سؤال نوجهه للمستشرقين وهو: أى توراة أخذ منها، وأى إنجيل أخذ منه محمد ﷺ؟ لقد علم المستشرقون أن التوراة محرفة، وعلموا أن الإنجيل الصحيح غير موجود بدليل تعدد الأناجيل(١).

٣- الادعاء بأن بعض آيات القرآن من تأليف محمد ﷺ: وهو ادعاء لا ينبئ إلا عن جهل، فمحمد ﷺ أمى لا يجيد القراءة والكتابة، فكيف تكون بعض آيات القرآن من عنده، وهو الذى لم يجلس إلى معلم قط؟!(٢).

٤- القول بأن الرسول ﷺ قد أخذ القرآن وتعلمه من بحيرا الراهب خلال رحلته بالتجارة، فهذه دعوى لا تثبت أمام التمحيص، فالتقاء الرسول ﷺ ببحيرا رواية مطعون فى صحتها وإن رويت فى كتب الأخبار، وعلى فرض صحتها، فقد وقعت للرسول ﷺ وهو صغير، ولا يقبل من الناحية العقلية أن يأخذ الرسول ﷺ القرآن من بحيرا فى دقائق معدودة وهو النبى الأمى، ثم يكتمه عن قومه مدة تزيد على خمسة وعشرين عامًا(٣).

٥- إن القرآن الكريم معجز فى نظمه، معجز فى أسلوبه، معجز فى أحكامه، لقد تحدى رسول الله ﷺ به العرب على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فعجزوا، فهل يحق بعد ذلك الطعن فيه، يكفى أنه لم يلحقه تغيير ولا تبديل، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الشبهة الثانية: الطعن على رسول الله ﷺ:

وهذه الشبهة من أغلظ وأحط الشبهات، حيث راح المستشرقون وغلمانهم يشوهون صورة رسول الله ﷺ، وهم يريدون بذلك هدم شخصيته، وهدم

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٤٣، ١٤٤.

(٢) الإسلام فى مواجهة التحديات: د. محمد رأفت سعيد، ص٥٦.

(٣) المرجع السابق.

شخصيته ﷺ يتبعه بالضرورة هدم الدين كله، لأنه هو الواسطة بين الله وبين البشر، ومما قالوه عن الرسول ﷺ: إنه كثير الطعام والشراب وإنه مات بالبطنة، وإنه مشهور بالجبن والهلع فى الغزوات، وإنه مزواج منكاح محب للنساء[1]، وغير ذلك من الشبهات التى أثاروها حول خير البرية ﷺ، ولقد تطاولوا على الرسول وما زالوا، فها هو (الدانماركى الكافر) الذى صور رسول الله بصور بذيئة مسيئة لرسول الله ﷺ، وهى إن دلت على شىء فإنها تدل على مدى الحقد للرسول وللإسلام، وما هى إلا إفلاس فكرى من هذه الفئة الكافرة.

الرد على هذه الشبهة:

وللرد على هذه الشبهة نقول:

١- قولهم إن رسول الله ﷺ كان كثير الطعام والشراب مسترسلاً فى الملذات البدنية، وأنه مات بالبطنة، نقول:

يا للعجب! من أين أتيتم بهذه الفرية؟! إن هذا القول يخالف الثوابت المعروفة من آدابه ﷺ فى الطعام والشراب، فقد «خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»[2]. وكثيراً ما كان قوته التمر والماء، وكان من هديه ﷺ أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى أنه ليربط الحجر على بطنه من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد فى بيته نار[3] وهو الذى يقول: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[4].

٢- قولهم إن محمداً ﷺ مشهور عنه الجبن والهلع فى الحروب:

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: عبد الرحمن حبنكة، ص٤٢٧ وما بعدها. الرسول فى كتابات المستشرقين: نذير حمدان، ص١٢٥ وما بعدها. الإسلام فى مواجهة التحديات: محمد رأفت سعيد، ص٥٧.

(٢) حديث صحيح.

(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد: ابن القيم ١/ ٣٧.

(٤) رواه النسائى، وابن ماجة، والترمذى وصححه، وصححه الحاكم فى المستدرك. انظر: فتح البارى ٩/ ٥٢٩.

فيرد عليه: بأنكم مخطئون ضالون، فقد كان ﷺ يقود الجيوش فى الغزوات، وينتصر فيها، وكان أشجع الناس، فعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: «كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبى ﷺ أسبقهم على فرس، فقالوا: وجدناه بحرًا»[1].

أى: كثير الجرى.

٣- أما تصويرهم لرسول الله ﷺ بالرجل الشهوانى الغارق فى الملذات حيث تزوج بأكثر من امرأة..

فيرد على هذه الفرية: بأن موضوع زواجه ﷺ بأكثر من واحدة هو على عكس ما يروج له المستشرقون من أنه ﷺ شهوانى غارق فى ملذاته وبيان ذلك:

أ- لو كان رسول الله ﷺ شهوانيًا لما عاش إلى الخامسة والعشرين فى بيئة ينتشر فيها الفساد والانحلال الخلقى من غير زواج، ومع ذلك يبقى عفيف النفس، مشهودًا له بالصدق والحياء والعفة من أعدائه آنذاك[2].

ب- لو كان شهوانيًا لما أقدم على الزواج من امرأة ثيب (السيدة خديجة) لها ما يقارب ضعفى عمره، ثم يعيش دون أن تمتد عينه إلى غيرها[3].

ج- وأما زواجه بعد ذلك من نساء المؤمنين، فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان من إيمان المسلم بعظمة محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه، فزواجه كان إما لغرض دعوته مثل زواجه من جويرية بنت الحارث، وإما تنفيذًا لأمر الله كما فى زواجه من زينب بنت جحش، أو لتدعيم أواصر النسب حتى يؤلف قلوب نفر من الناس حول الإسلام، وإما مواساة لامرأة فقدت عائلها[4].

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الجهاد، باب: الشجاعة فى الحرب، حديث رقم ٢٦٦٥.

(٢) تفسير الطبرى ١/ ٢٩٦. الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة: أبو الأعلى المودودى، ص٨٢.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) الإسلام فى مواجهة التحديات ص٥٧.

إن المتأمل البصير حين يعرف أحوال زواجه ﷺ من كل واحدة سيدرك على الفور أنه لم يكن ناتجًا عن رغبة أو شراهة أو هوى فى نفسه، إذ لو كان الأمر كذلك لتزوج بالأبكار، ومن المعلوم أن معظم أمهات المؤمنين كن ثيبات.

الشبهة الثالثة: الطعن فى بعض الأحكام الشرعية:

أثار المستشرقون شبهات كثيرة حول أحكام الشريعة الإسلامية كقضية تعدد الزوجات، والطلاق، والعقوبات، والجهاد، وغير ذلك من الشبهات، وأما عن قضية التعدد والطلاق فسنتناولها عند الحديث عن مكانة المرأة فى الإسلام.

وسنحاول هنا الحديث عن بعض الشبهات الأخرى المتعلقة بالأحكام الشرعية.

أ- حد السرقة:

تعرض حد السرقة فى الشريعة الإسلامية إلى هجوم عنيف من المستشرقين أعداء الإسلام، حيث قالوا: إن هذا الحد فيه قسوة وامتهان لكرامة الإنسان، وتشويه لخلقته وسمعته، وإن هذه العقوبة لا تتفق وحقوق الإنسان والمدنية التى يشهدها هذا العصر(١).

الرد على هذه الشبهة:

للرد عليهم نقول:

١- إن الذى فرض حد السرقة هو الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وهو سبحانه أرحم بعباده من العباد بأنفسهم، ولو لم يكن السارق مستحقًا لهذه العقوبة لما عاقبه بها، وهو العليم الخبير.

٢- إن الشريعة الإسلامية عندما قررت عقوبة القطع على السارق لم تكن قاسية، فهى لا تعرف القسوة ولا تقرها، ولو سلمنا بقسوة هذه العقوبة، فإن القسوة مطلوبة فى العقوبة حتى تكون رادعة وزاجرة، حيث لو فقدت لما تحققت الغاية منها.

(١) الجريمة والعقوبة: الشيخ أبو زهرة، ص١١. الإسلام وثقافة الإنسان: سميح الزين، ص٣٧٢.

٣- ثم نقول لهم -أيضًا- هل أفلحت عقوباتكم فى القضاء على جريمة السرقة، وأنتم الذين سرقتم ثروات الشعوب، ونهبتم خيراتهم؟[١].

ب- حد الزنى:

هذا الحد من العقوبات المقدرة فى الشريعة الإسلامية، فمن ثبت أنه زنى أقيم عليه الحد رجلاً كان أو امرأة، فإذا كان غير محصن (غير متزوج أو غير متزوجة) فالعقوبة هى الجلد مائة جلدة، وهذا ثابت بقوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ [النور: ٢]، وإذا كان محصنا فالعقوبة هى الرجم، وقد ضاق أعداء الإسلام بهذا الحكم ووصفوه بالقسوة والاعتداء على الحرية والحياة.

الرد على هذه الشبهة:

والرد على هذه الشبهة سهل وميسر، ويتمثل فيما يلى:

١- إن حد الزنى ثابت شرعًا بالكتاب والسنة والإجماع فهو واجب شرعى ولا يستطيع أحد تعطيله بحال من الأحوال.

٢- إن فى إعمال حد الزنى صيانة للأعراض وحفظها من التلوث والانحلال، فالأمم التى ينتشر فيها الزنى ويفشو يسرع إليها الخراب والدمار، وينتشر فيها الفساد الخلقى، ويصبح أهلها سفلة لا ترابط بينهم ولا تراحم، يقول رسول الله ﷺ: «**لاتزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم الزنى، فإذا فشا فيهم ولد الزنى أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»[٢].

٣- إن الزنى من الأسباب التى تهدم مجد الأمم، وتجلب لها الذل، لأنه معطل للنسل الصالح، وقاتل للنخوة والشهامة.

٤- إن الزنى سبب رئيسى للأمراض الخطيرة الفتاكة، كمرض فقد المناعة (الإيدز) ومرض السيلان، ومرض الهربس وغيرها.

فلهذه الردود ولغيرها كان لزاما أن توضع عقوبة رادعة تمنع ارتكاب هذه الفاحشة التى يهتز لها عرش الرحمن[٣].

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٤٩.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٢/٢٤٩.

(٣) حقوق الإنسان فى الإسلام والرد على الشبهات المثارة: سليمان الحقيل ص١٤٧.

ج- حد السُّكْر:

الخمر -قليلها وكثيرها- حرام، وكل ما يذهب العقل فهو حرام قياسًا على الخمر، كالمخدرات ونحوها.

وحد السكر ثابت بالسنة وعمل الصحابة وقولهم، وهذا الحكم لم يُرض المستشرقين، فقالوا: إن هذا الحكم الشرعى لشارب الخمر فيه اعتداء على الحق الشخصى للإنسان، فالإنسان حر يشرب ما يشاء ويأكل ما يشاء، فكيف إذا شرب تقيمون عليه الحد؟[1]

الرد على هذه الشبهة:

ونرد على هذه الشبهة فنقول:

١- حفظ العقل من مقاصد الشريعة الغراء، فهو إحدى الكليات الخمس التى يجب المحافظة عليها، فأى اعتداء على عقل الإنسان قرر له الشارع العقاب، ومنه الشرب أو السكر، فهو يذهب العقل، ولذلك شرعت العقوبة له.

٢- إن الخمر تدفع الإنسان إلى ارتكاب المعاصى، وتسبب العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله، وتدمر الأسر.

٣- إن الخمر تضر بالصحة، وتجعل شاربها مفسدا لعقله، مضيعًا لماله، مدمرًا لنفسه.

لهذا كان الحد ضروريا لمنع كل ذلك، ولينظر هؤلاء كيف هو الحال فى مجتمعاتهم عندما أباحوا شرب الخمر[2].

د- الجهاد:

قال المستشرقون: إن الجهاد فى الإسلام قتال وإخضاع، وإنه هو السيف الذى لم ينتشر الإسلام إلا به، وهم فى ذلك يشوهون صورة الإسلام، كما أن فى ذلك تشويهًا لأهداف الجهاد.

(١) آثار تطبيق الشريعة الإسلامية فى منع الجريمة: محمد عبد الله الزاحم، ص١٢٠.

(٢) رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، ص٢٠٨.

الرد على هذه الشبهة:

هذه شبهة رددها أسلافهم من قبلهم، والإسلام والجهاد بريئان من هذا الاتهام، فدعوة الإسلام لا إكراه فيها: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إن أهداف الجهاد إعلاء كلمة الله، ودفع الاعتداء، ورده بالقوة، سواء كان هذا الاعتداء واقعا على الدين أم على الوطن.

إن الإسلام لم ينتشر بالسيف -كما يدعون- وإنما انتشر بالحكمة والموعظة الحسنة واليقين، وإلا كيف يفسر المستشرقون انتشاره فى دول وسط وشرق أفريقيا وغيرها وهى دول لم يصلها الفتح الإسلامى؟

المبحث الثانى

التبشير (الغزو التنصيرى)

من التحديات التى تواجه العالم الإسلامى والثقافة الإسلامية، التبشير (الغزو التنصيرى). وهو عبارة عن جهود يبذلها المبشرون من النصارى لإدخال المسلمين فى النصرانية بجميع الوسائل.

وفى هذا المبحث سنتحدث عن التبشير وأهدافه، ووسائله، وأساليبه، وحقائقه، ومؤتمرات التبشيريين، وكيف يواجه المسلمون حملات التبشير، وذلك فى النقاط التالية:

مفهوم التبشير:

التبشير فى لغة العرب: يقصد به الخبر السار، ولا يقصد به هنا هذا المعنى، فالمقصود به هنا: الدعوة إلى ترك الإسلام والدخول فى النصرانية.

والتبشير الذى استخدمه النصارى لتحويل المسلمين عن دينهم هو (التنصير) فالكلمتان مترادفتان، فالتنصير يعنى: الدخول فى النصرانية[1].

(١) التبشير والاستعمار: مصطفى الخالدى وزميله، ص ١١٧. حقيقة التبشير: أحمد عبدالوهاب، ص ١٧٥.

تعريف التنصير:

يعرف التنصير بأنه: (حركة دينية استعمارية سياسية تهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة فى دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين خاصة، بهدف إحكام السيطرة على الشعوب)[1].

وقد بدأ التفكير بهذه الطريقة بعد هزيمة الصليبيين وردهم على أعقابهم فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى[2].

أهداف التبشير والمبشرين:

أكدت التجربة المؤلمة أن جميع القوى المعادية للإسلام (من تبشيرية، واستشراقية، وعلمانية، وتغريبية) تجمعها وحدة الهدف وفق خطط موحدة وغايات مرسومة تستهدف فى نهاية المطاف أمة محمد ﷺ.

وأما عن أهداف التبشير (التنصير) فيمكن حصرها فى النقاط التالية:

١- إدخال المسلمين فى النصرانية بأى طريقة، فجميع مؤتمراتهم تجعل إدخال المسلمين فى النصرانية فى طليعة أهدافها[3] وهذا الهدف أخبرنا عنه رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]

٢- القضاء على الإسلام فى نفوس المسلمين وتكفيرهم به، إن لم يستطع المبشرون إدخالهم فى النصرانية، فالمهم إخراج المسلمين من دينهم، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾[4]، وها هو أحد أعمدة التنصير (زويمر) يقول للمنصرين فى

(١) التنصير ومحاولاته فى بلاد الخليج: عبدالعزيز العسكر، ص ١٣. الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. على جريشة، ص ٢٧.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) الغزو الفكرى -أهدافه ووسائله-: د. عبدالصبور مرزوق، ص ١٥. نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٢٦.

(٤) نقلا عن: د. عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٢٦.

خطاب له ألقاه فى أوائل القرن العشرين: «إن مهمة التنصير ليست إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله»[١].

٣- محاصرة الإسلام ومنع انتشاره فى العالم كله عامة، وفى الغرب خاصة، لأنهم يعلمون أن الإسلام قوة غالبة يؤثر فى الناس متى عُرض عليهم، فأخذوا يشوهون صورته بطريق مباشر أو غير مباشر.

٤- بث الفتن الطائفية داخل الدول الإسلامية، وبين أفرادها، فالفتن الموجودة فى العالم الإسلامى اليوم من صنع المبشرين الذين احتلوا دول الإسلام بالمال والسلطة والقوة!!

٥- بث روح الهزيمة فى نفوس المسلمين عن طريق تشويه الحضارة الإسلامية، والحط من شأنها فى نفوس المسلمين حتى يخلقوا نوعًا من الهزيمة النفسية فى وجداننا[٢].

واتخذوا لتحقيق ذلك كل الوسائل فراحوا يحاربون ثقافتنا وشريعتنا، ويعقدون مقارنة بينها وبين ما عندهم، وبالطبع يفضلون ما عندهم على ما هو من عند الله تعالى.

٦- طمس الهوية الإسلامية بإخضاع المسلمين للنفوذ غير الإسلامى فى كل مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية، ذلك أنهم أدخلوا قلة من المسلمين فى دينهم، أو تأثر بعض المسلمين بثقافتهم، فأصبح هؤلاء -للأسف- جنودًا لهم ينقلون أفكارهم ويدافعون عنها[٣].

٧- خدمة الصهيونية العالمية ونصرتها: وهذا واضح، فهم الذين مهدوا لاغتصاب فلسطين وتسليمها لليهود، فالتقت أهدافهم مع أهداف اليهود فى العمل على

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ٢٥. الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٢.

(٢) ملامح عن النشاط التنصيرى فى الوطن العربى: إبراهيم عكاشة على، ص٢٦.

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٢٨. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٨٣.

تمزيق العالم الإسلامى، فاليهود يريدون إقامة دولتهم المزعومة، والمبشرون يريدون تمزيق العالم الإسلامى[1].

٨- يبذل المبشرون جهودًا جبارة من أجل إنشاء جيل جديد من المسلمين يحمل أفكارهم وثقافتهم حتى يسهل الاتصال بهم والتفاهم معهم، وهذا واضح، فها هم المستغربون يفعلون ذلك، حيث يوجهون أولادهم إلى تعلم ثقافة الغرب ويبذلون فى ذلك الغالى والرخيص، وهم فى المقابل لا يعرفون شيئا عن ثقافتهم الإسلامية[2].

* هذه أهداف المبشرين، ومن خلالها يتضح لنا أن التبشير فى حقيقته حرب صليبية جديدة، ولا أدل على ذلك من هذا الذى تفعله أمريكا ودول الغرب فى الدول الإسلامية، ولا أدل على ذلك من هذا الهجوم المسعور من رئيس أمريكا (بوش) الذى صرح بحرب صليبية ضد الإسلام، ومن قادة الدول الغربية ومفكريها، فها هو وزير إيطالى يرتدى قميصًا عليه صورة مسيئة للرسول ﷺ من ضمن الصور التى نشرها أحد كُتاب (الدنمارك)، بالإضافة إلى خنوع كثير من حكام المسلمين حول هذه الأهداف.

وسائل التبشير وأساليبه لتحقيق أهدافه:

بعد أن درس المبشرون أحوال المسلمين ونقاط الضعف فيهم استخدموا وسائل وأساليب كثيرة فى معركتهم لتنصير المسلمين، وهى:

١- استغلال حاجة المسلمين إلى العلاج والدواء:

وهى من أهم الوسائل التى سلكها التنصيريون، حيث حرصت مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة على استخدام العلاج فى التبشير، فتقول: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية، لأن رجالها يحتكون دائمًا بالجمهور،

(١) الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام: سعد الدين السيد صالح، ص ٥٣. التبشير والاستعمار فى البلاد العربية: عمر فروخ، مصطفى الخالدى، ص ١٨٣.

(٢) المراجع السابقة، وانظر: حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر: أحمد عبدالوهاب، ص ١٦٢.

ويكون لهم تأثير على المسلمين، ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولو لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك[١].

وفى جميع الأحوال فإنهم لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذى يشفيه هو المسيح[٢].

وهكذا حول المبشرون الطب إلى وسيلة خداع تفتن فقراء المسلمين فى دينهم بعد أن وقعوا فريسة فى أيدى ذئاب فى جلود نعاج[٣].

٢- استغلال حاجة المسلمين للغذاء:

وهذه الوسيلة هى أقوى الوسائل فعالية، لأن المسلمين اليوم توالت عليهم الحروب والكوارث، وأقام لهم أعداؤهم مذابح هائلة، وقد خلفت هذه الحروب وتلك الكوارث فى هذه الدول التشريد والجوع، فاستغل التنصيريون ذلك وقدموا المساعدات الغذائية لسكان هذه الدول ومعها دعاية وإعلان عن النصرانية، ولا أدل على ذلك من هذا الذى فعلوه فى «أندونيسيا» حيث شرد إعصار «تسونامى» آلاف السكان هناك، فكانوا يقدمون لهم الأطعمة والمشروبات وعليها صورة المسيح، أو صورة الصليب.

٣- إنشاء المراكز التنصيرية والجامعات، وبناء الكنائس:

من الوسائل التى اتخذها المبشرون لتحقيق أهدافهم بمساعدة حكوماتهم وسفاراتهم فى الدول الإسلامية: إنشاء المراكز التنصيرية والمدارس والجامعات التى تقدم النصرانية فى ديار الإسلام[٤].

وقد صرح كثير من المنصرين بأهدافهم من وراء إقامة المدارس والجامعات على النمط الغربى، يقول (تاكلى): «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى

(١) التبشير والاستعمار: عمر فروخ، ص ٦١. نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٢٨.

(٢) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٤.

(٣) المرجع السابق، وانظر: التنصير فى البلاد الإسلامية: محمد ناصر الشترى، ص ٢٢ وما بعدها.

(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٢٩. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: عبدالرحمن الميدانى، ص ١٠٥.

العلمانى، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية»[1].

ويقول (هنرى جب): «إن التعليم فى مدارس الإرساليات النصرانية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، وإن تلك الغاية هى تنصير الناس»[2].

إن من أشهر مراكز التنصير فى العالم العربى: جامعة القديس يوسف فى لبنان، وهى جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف باسم (الجامعة اليسوعية)، ومنها ما يسمى بالجامعات الأمريكية الموجودة فى بعض الدول العربية.

إن مما يؤكد كلامنا أن بعض الطلاب المسلمين فى الجامعة الأمريكية ببيروت احتجوا على إجبارهم على دخول الكنيسة كل يوم، فما كان من رئاسة الجامعة إلا أن أصدرت منشوراً تقول فيه: إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحى... ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يساعدها هؤلاء، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده[3].

٤- هدم الأخلاق الإسلامية:

اكتشف المبشرون طريقتين للوصول إلى هدم الأخلاق الإسلامية وإفسادها والهبوط بها إلى النقص والرذيلة:

الطريقة الأولى: العبث بالمفاهيم الخلقية، عن طريق تمجيد اللذة الفردية وإباحة كل ما يحققها مهما أخذ ذلك بصحة الفرد، أو مجتمعه، أو خالف أوامر الله تعالى، ومنها الضلالات التى تدس بين الشعوب الإسلامية بأن الأخلاق أمر اعتبارى، ولا ترى فى العرى والزنى بأسًا[4].

الطريقة الثانية: غمس المجتمع المسلم فى الأخلاق الفاسدة، والقيم المنحطة مثل الدعوة إلى تحرير المرأة، والاختلاط، كما استخدم المبشرون عنصر النساء للاستيلاء

(١) التبشير والاستعمار ص ٨٤.
(٢) التبشير والاستعمار ص٦٦.
(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٣١. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٨٧.
(٤) المرجعان السابقان.

على أصحاب النفوس الضعيفة، وعنصر الخمر الذى يجعل الإنسان تابعًا لشهوته، وعنصر المادة لغمس المسلمين فى المتعة واللذة الجسدية، وكانت وسيلتهم فى ذلك: إنشاء الأندية، وتشجيع الاختلاط، وإنشاء بيوت للطلبة والطالبات، وغير ذلك من الوسائل التى تهدم بناء الأسرة المسلمة القائمة على الأخلاق الإسلامية الكريمة(١).

٥- الحملات الإعلامية:

استخدم المبشرون الإعلام كوسيلة تبشيرية فعالة من خلال وسائله المتعددة المقروءة والمسموعة والمرئية.

فبالنسبة للحملات الإعلامية المقروءة: فقد تولت صحافتهم وكتبهم الهجوم على الإسلام والدعوة إلى النصرانية، فقاموا بإنشاء المطابع لطبع ونشر الكتب والمؤلفات عن الإسلام، وكانت هذه الكتب توزع مجانًا.

وبالنسبة للحملات الإعلامية المسموعة: فقد أنشئوا إذاعات خاصة تدعو إلى النصرانية، وهذه الإذاعات تبث إلى الدول الإسلامية، ولديهم أساليب مختلفة لاجتذاب المسلمين.

وبالنسبة للحملات الإعلامية المرئية: فقد خصصوا محطات تلفاز للتبشير موجهة إلى الدول الإسلامية، بالإضافة إلى الأفلام السينمائية التى خصصت أهدافها للتبشير(٢).

٦- الدعوة إلى التسامح المشبوه:

وهذا التسامح الذى ينادى به النصارى اليوم هو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت(٣).

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٤.

(٢) ملامح عن النشاط التنصيرى ص ٣٣. المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٩١.

(٣) المرجعان السابقان.

٧- الدعوة إلى اللهجات العامية فى الدول العربية:

وهى دعوة خطيرة، الهدف منها قتل اللغة العربية التى هى لغة القرآن[١].

هذه هى أهم وسائل التبشير، وجميعها وسائل هدامة يقصد منها القضاء على الإسلام ومناصبة المسلمين العداء.

العلاقة القائمة بين التبشير والاستشراق:

من خلال ما عرضناه من أهداف المبشرين، ومن وسائل وأساليب يستعملونها لتحقيق هذه الأهداف، نجد أن هناك عناصر يلتقيان فيها، وهى:

١- يلتقى التبشير والاستشراق فى محاربة الإسلام والمسلمين، ويستخدمون لذلك جميع الوسائل لتحقيق هذا الهدف فى جميع المجالات: الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية[٢].

٢- يلتقيان فى الكراهية والحقد لكل ما هو إسلامى أو ينتمى إلى الإسلام، فآفة الحقد والكراهية موجودة فيهم منذ عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

٣- يلتقيان فى العمل على نهب ثروات المسلمين، وهذا ظاهر وواضح من الحروب الصليبية حيث نقلوا ثرواتنا إلى بلادهم، وفى العصر الحديث يعملون على الاستيلاء على ثروات النفط والمعادن الخام وغيرها.

٤- يلتقيان فى محاولات الفصل بين تعاليم الإسلام وثقافته وبين المسلمين، سواء أكان هذا الفصل كليًا أم جزئيًا[٣].

مواجهة الحملات التبشيرية:

مبدأ المواجهة هو خير وسيلة لمقاومة هذه الحملات التبشيرية المسعورة.

وقد قامت فى كل الدول الإسلامية نهضات إصلاحية تظهر حقيقة الإسلام

(١) التنصير ومحاولاته فى بلاد الخليج العربى: عبدالعزيز العسكر، ص ٤٨.
(٢) نظرات فى الثقافة الإسلامية: عز الدين الخطيب وزملاؤه، ص ٤٧.
(٣) التنصير ومحاولاته فى بلاد الخليج العربى: عبدالعزيز العسكر، ص ١٩.

والدعوة إليه، والعمل على نشر تعاليمه، ولتوضيح قيمة الثقافة الإسلامية المفترى عليها من أجنحة المكر[1].

وقد بدأ المثقفون فى ديار الإسلام ينحازون إلى الإسلام، ويرفضون الكفر، وبدأت تنكشف لهم عورات حضارات الغرب وثقافتهم، وفاض سيل من الكتب والمجلات والصحف يوضح مبادئ الإسلام.

وقامت المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية فى كل أرجاء الدنيا لتقدم الإسلام لكل الراغبين فى دراسته، وأقبل على دراسته الأذكياء من الطلبة، وأخذ المفكرون والعلماء يبذلون جهودًا هائلة لرد دعاوى الغربيين، فقد ظهر فى العالم الإسلامى علماء كان لهم أثر باهر فى الوقوف أمام هذا السيل الجارف من الحملات التبشيرية التى جاء بها المبشرون، وقاموا بتوجيه الأمة إلى السبيل الأقوم مما كان له أكبر الأثر فى رد أباطيل الكفر[2].

ولا يخفى أن العمل الإسلامى الحق فى مواجهة الحملات التبشيرية وغيرها يتطلب توافر جهود المسلمين جميعهم -حكامًا وعلماء ومفكرين- لصد حركات التنصير من ناحية، ولنشر مبادئ الإسلام وقيمه الأخلاقية من ناحية أخرى.

ويمكن أن نجمل هذه المواجهة ضد الحملات التبشيرية فى النقاط التالية:

١- توجيه الشباب إلى المنهج الإسلامى، والحماس للإسلام والدعوة إليه، وعمارتهم للمساجد، ومحاولتهم الالتزام بشعائر الإسلام، وشعاراته.

وهذه المهمة تقع على عاتق العلماء، والوعاظ، وأئمة المساجد، والمدارس، والجامعات، والأسرة.

٢- الدعوة إلى تطوير مناهج التعليم فى مراحل التعليم المختلفة، بما يجعلها تتلاءم مع طبيعة الثقافة والعلوم الإسلامية، وليس العكس كما ينادون الآن، حيث

(١) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٢٩٥، نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٣٤، الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٧.

(٢) المراجع السابقة.

يردد الغرب الآن فكرة تطوير المناهج فى الدول الإسلامية، وبالطبع يكون هذا التطوير متفقًا مع سياستهم وثقافتهم[١].

٣- العمل على عدم إخضاع الحقائق الإسلامية للتطورات العصرية الغربية التى يتغنون بها فى كل وقت وحين، لأن هذه الحقائق الدينية أساس الإسلام، وأصله الذى منه البداية وإليه النهاية[٢].

٤- الدعوة إلى إصدار تشريعات وقوانين مستوحاة من الشريعة الإسلامية أو مستمدة منها، فأحكام شريعتنا الغراء صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان لأنها من عند خالق البشر، الذى يعلم أحوال عباده[٣].

٥- تردد أصداء الدعوة إلى الإسلام فى مختلف أنحاء المعمورة، وهذا ما هو حادث بالفعل حيث الإذاعات والقنوات الفضائية والصحف والمجلات المتخصصة فى أمور الدين تغطى جزءًا كبير من العالم، وهل من مزيد[٤].

٦- العمل على توحيد صفوف الأمة الإسلامية التى تفرقت، وصارت أحزابًا مختلفة، ومذاهب شتى، وهذا العمل من أهم العوامل التى يغتاظ منها المبشرون والاستشراقيون على السواء.

٧- إنشاء المنظمات الإسلامية المختلفة التى تخدم الإسلام، وقد أنشىء الكثير من هذه المنظمات فى بعض الدول الإسلامية، حيث تدافع عن الإسلام وتعاليمه، وتكشف أساليب التبشير ومؤامرات المبشرين والمستشرقين وترد عليهم وعلى افتراءاتهم وأضاليلهم حول الإسلام[٥].

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢١٢.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة: حسن حبنكة ص ٦١١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ترشيد الصحوة الإسلامية: أبو الحسن الندوى ص ٨٩.

(٥) التنصير فى البلاد الإسلامية: محمد ناصر الشترى، ص ٩٩ وما بعدها.

٨- العمل على عودة النساء إلى الالتزام بالإسلام فكرًا وسلوكًا، وعدم تقليدهن لكل ما هو غربى أو شرقى.

إن الإسلام بدأ يحيا من جديد فى النفوس، فها هى طلائع المد الإسلامى بدأت تطل هنا وهناك، وبدأت الأصوات تتعالى منادية بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وكما نما الإسلام أول مرة سينمو مرة أخرى، وسيكتمل بناؤه على الرغم من كيد أعداء الإسلام، وكيد أذنابهم فى ديار الإسلام، فبالرغم من الحملات المسعورة من المبشرين والمستشرقين حول الإسلام والمسلمين، فها هو الإسلام يدخل بيوتات الغربيين، ويؤمن به نفر ولو قليلاً، لأنهم وجدوا فيه وفى تعاليمه وسماحته وثقافته ضالتهم.

الفصل الخامس

المرأة فى الإسلام

تمهيد:

شهدت المجتمعات البشرية، باتساع الكرة الأرضية، وعلى مر عصور التاريخ محاولات من البشر لإصلاح عيوب فى مجتمعاتهم ظنوا يومًا أنهم قادرون على إصلاحها، ولكن خابت جهودهم وقصرت مساعيهم، ولم يستطيعوا التوصل إلى فهم روح الإنسان، ومن ثم لم يعرفوا كيفية التعامل معها، بينما الحق تبارك وتعالى هو القادر على أن يتعامل مع هذا الإنسان، لأنه هو الخالق له، العالم بأمره ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك ١٤] إلا أن أعداء الإسلام يحاولون- بعد أن فشلوا فى إصلاح أنفسهم -التعرض للإسلام وتراثه، ومن هذه المحاولات ما قالوه حول موقف الإسلام من المرأة، واتهامهم له بأنه لم يعط المرأة حقها، وأن الرجل مفضل عليها، وأن المرأة فى الإسلام كسقط المتاع، ليس لها دور ولا وظيفة، ولا أدنى مسئولية، وقد ساعدهم على ذلك بعض التنويريين فى الدول الإسلامية الذين هم أشد عداء للإسلام من غيرهم، وها هى بعض وسائل الإعلام تنادى بذلك، تريد أن تخرج المرأة من كينونتها، وما أعطاه الله لها من حقوق.

لقد كثر الهجوم من أعداء الإسلام على موقف الإسلام من المرأة، وكان من الواجب على كل غيور على دينه أن يصحح المفاهيم الخطأ التى تعلقت بهذا الموضوع، عن طريق حالة المرأة قبل الإسلام، ومكانتها فى الإسلام. وسنتناول ذلك فى عدة مباحث:

المبحث الأول

وضع المرأة ومكانتها قبل الإسلام

لكى تعرف البشرية ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق، فعليها أن تعرف أحوالها التى كانت عليها قبل الإسلام وفى الحضارات العريقة، ثم يعقد مقارنة بينهما، إذ الحكم على الشىء فرع عن تصوره.

إن المرأة قبل الإسلام لم تنل شيئًا من الحقوق، بل على العكس كانت مسلوبة الإرادة، لا رأى لها، ولا كلمة، ولا مكانة.

وها هو وضع المرأة قبل الإسلام:

عند اليونان:

لم يكن للمرأة حق يذكر فى الحضارة اليونانية، ليس لها الحق فى الكلام، ليس لها الحق فى الميراث، هى وما تملك ملك للرجل، بل انحدرت الحضارة اليونانية بالمرأة، فقد اعترفت أثينا بالبغاء رسميًا، وفرضت ضرائب على ممارسيه، وأصبح العهر فى معظم مدن اليونان هو السبيل الميسر أمام المرأة، كان فى وسع الرجل أن يتخذ له فضلاً عن زوجته خليلة يعاشرها معاشرة الأزواج، وكان فى وسعه طرد امرأته متى شاء، ووصل الفجور ذروته عندهم فى حالة ما إذا كان الرجل عقيمًا فإنه يستعين بأحد الناس للقيام بهذه المهمة[1].

لقد اختفت المرأة فى الحضارة اليونانية من الإسهام فى حضارتها، حتى كتب بعضهم: (يجب على المرأة أن تحبس فى بيتها) ونتيجة لحبسها تدهورت مكانتها بشكل خطير حتى كتب بعضهم: (إن العمل الذى يقوم به أى إنسان تحت تأثير المرأة عمل باطل قانونا)[2]. هذه مكانة المرأة عند اليونان !!!

عند الرومان:

لم تكن المرأة عند الرومان أحسن حالاً، فقد كانت سلطة الرجل مطلقة، فكان هو وحده صاحب الحقوق، وكانت المرأة فى كل أدوار حياتها تحت رقابة رجل، هو أبوها أو أخوها أو زوجها، أو حتى ابنها، وهى لا تستطيع أن تتصرف فى مالها، أو حتى تتزوج بغير رضاه، وكان الزنى من الأمور العادية [3].

(١) قصة الحضارة: ول ديورانت [حياة اليونان] -ترجمة / محمد بدران - المجلد ٧ ص ٦٩

(٢) المرجع السابق، المجلد ٧ ص ١١٦

(٣) قصة الحضارة: (الحضارة الرومانية) المجلد ٩ ص ١١٩

عند المصريين القدماء:

احتلت المرأة عند المصريين القدماء مكانة مرموقة، وصلت فى مفهوم المصريين آنذاك إلى درجة الألوهيه، ولم يكن آلهة مصر إلا رجالاً متفوقين أو نساء متفوقات، وكان الرجل فى الحضارة المصرية القديمة يتزوج أخته، مما هو شاذ عن نواميس الحياة[١].

عند الصينيين:

انحدرت مكانة المرأة عند الصينيين، حيث لا قيمة لها، ويجب أن تعطى أحقر الأعمال[٢].

عند الهنود:

الموت والوباء والجحيم والسم والنار خير عند الهنود القدامى من المرأة، حيث يرون أنه لا حق للمرأة فى الحياة بعد موت زوجها فتحرق معه وهى حية[٣].

عند اليهود:

بعض طوائف اليهود يعتبرون البنت خادمة، ولأبيها الحق فى بيعها، وهى لعنة، لأنها أغوت آدم [٤].

عند النصارى:

المرأة عند النصارى محتقرة، محرومة من جميع الحقوق طيلة القرون الوسطى. لم يعترف الفرنسيون بالمرأة كإنسان إلا فى عام ٥٨٦م، وفى إنجلترا حرم (هنرى الثامن) على المرأة قراءة الكتاب المقدس[٥].

---

(١) قصة الحضارة (نشأة الحضارة) ترجمة د/ زكى نجيب محمود - الجزء ٢ ص٥٦

(٢) المرجع السابق - المجلد الخامس ص٦٣

(٣) المرجع السابق - المجلد الثالث ص١٧٤

(٤) مقارنة الأديان: د. أحمد شلبى، ٤/ ٧٤

(٥) المرجع السابق.

عند العرب فى الجاهلية:

لم تكن المرأة أحسن حالاً عند العرب فى الجاهلية، بل كانت أشد سوءًا، باستثناء نساء قليلات أخذن مكانهن بين الصفوة، أمثال: السيدة خديجة بنت خويلد التى كانت ذات مكانة مرموقة فى المجتمع، والخنساء الشاعرة المخضرمة، وبنات عبد المطلب(صفية، وعاتكة، وأم حكيم) . . . وغيرهن[1]، نقول باستثناء هذا كانت المرأة فى المجتمع الجاهلى تباع وتشترى كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج، وعلى البغاء، وكانت تورث ولا ترث، وكانت تحبس إذا هلك زوجها، وكانت توأد وهى طفلة، وتسبى فى الحروب، وكانت تمنع من الزواج[2]، وقد نعى القرآن الكريم على ذلك كله فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل٥٨، ٥٩].

تلك هى حالة المرأة قبل الإسلام -عند العرب وغيرهم- ذكرناها باختصار، فما حالها وما هى مكانتها فى الإسلام؟

المبحث الثانى

مكانة المرأة فى الإسلام

بزغت شمس الإسلام، وانبثق النور المحمدى، ليعطى للإنسان حقه وليضع الأمور فى موضعها الصحيح، بعد أن كانت البشرية تعيش فى ظلام تام، فلا نظم صحيحة، ولا أخلاق كريمة فى جميع ضروب الحياة.

وإذا كنا نتحدث عن المرأة المسلمة ومكانتها فى الإسلام، فها هو الإسلام يكرمها، ويمنحها الحقوق الكثيرة فى جميع الجوانب: الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والسياسية.

---

(١) المرأة فى الإسلام: كمال أحمد عون، ص٣٧.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوى، ص٤٣.

وسنحاول -فيما يلى- أن نوضح مكانة المرأة الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والثقافية فى الإسلام.

مكانة المرأة الاجتماعية فى الإسلام:

لقد تبوأت المرأة مكانًا ساميًا فى ظل تعاليم الإسلام، من خلال التربية الإسلامية الرائعة، التى أنزل منهجها رب العزة سبحانه وتعالى، ورعاها خير رعاية سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام[1].

إن الإسلام ارتفع بالمرأة مكانة اجتماعية، حيث فرض لها حقوقًا ثابتة عند الزواج، وأثناء معيشتها مع زوجها، وعند الطلاق، وكذلك عند وفاة الزوج، بالإضافة لحقوق الحب والرعاية والحنان والعطف والمودة التى ضرب فيها رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى حياته مع زوجاته أمهات المؤمنين، وفيما أمر به أصحابه الكرام، كل ذلك رفع مكانة المرأة الاجتماعية عاليًا، كما لم يحدث من قبل فى تاريخ البشرية[2].

لقد جاء الإسلام ليعلن المساواة الكاملة فى الإنسانية بين الرجل والمرأة، فالخلق من ذكر وأنثى، بل إن المرأة جزء من الرجل، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. ولعلك تلاحظ أن القرآن الكريم يشير دائمًا إلى كل من الرجل والمرأة، مع أن سياق الكلام يفيد الطرفين من غير تفصيل، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥]. ومثال ذلك أيضًا تكراره عبارة ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لقد ظهرت مكانة المرأة الاجتماعية فى الإسلام وهى أم، وبنت، وزوجة.

أ- مكانتها الاجتماعية وهى أم: فقد رفع الإسلام الأم لدرجة لم يعطها لها تشريع من قبل، فأمر ببر الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف حتى ولو كانا كافرين،

(١) حقوق المرأة فى الإسلام: كوثر المنياوى، ص٣٧. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة: الشيخ البهى الخولى، ص٣٧.

(٢) المرجعان السابقان، وانظر: الإسلام والطاقات المعطلة: الشيخ الغزالى، ص١٤٠.

يقول تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

كما أوصى النبى ﷺ ببرهما، وخص الأم بالوصية، ومن ذلك ما روى عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الصلاة لوقتها» قلت: ثم أى؟ قال: «بر الوالدين»(١). وأكد ﷺ على الوصية بالأم خاصة، فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك»(٢).

فمن الحديث اتضح لنا أن رسول الله ﷺ جعل للأم ثلاثة أرباع البر، والأب الربع، ولعل الحكمة فى ذلك أن الأم تحملت ما لم يتحمله الأب من حمل، ووضع، ورضاع(٣).

ب- وأما مكانتها الاجتماعية وهى بنت: فقد أمر الإسلام الوالدين برعاية البنات والعطف عليهن، والإحسان إليهن(٤)، ولا أدل من منزلة البنات أنهن سيكن سترًا للوالدين من النار يوم القيامة إذا أحسنا تربيتهن، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار»(٥)، ولو علم الذين يضيقون بالبنات ذرعًا الثواب الذى ينتظرهم ما ضاقوا بهن بل تمنوهن.

---

(١) صحيح البخارى: كتاب التوحيد- حديث رقم ٧٥٣٤.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الأدب- باب: من أحق الناس بحسن الصحبة-.
صحيح مسلم: كتاب البر- باب: بر الوالدين- حديث رقم ٢٥٤٨.

(٣) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة: عبد الغنى عبود، ص٨٧. تنظيم الإسلام للمجتمع: الشيخ أبو زهرة، ص٥ حقوق المرأة فى الزواج: محمد عمر الغروى، ص٨.

(٤) الإسلام والمرأة المعاصرة: البهى الخولى، ص٣٨ وما بعدها.

(٥) صحيح البخارى.

ج- وأما مكانتها الاجتماعية وهى زوجة: فقبل الزواج أعطاها الحق فى: المطالبة بالزواج، واستئذانها، والنظر إلى الزوج.

وبعد الزواج أعطاها الحق فى: الصداق، والنفقة، والعشرة، والكفاءة، والخلع. وبعد انتهاء الحياة الزوجية أعطاها الحق فى: المتعة، والحضانة، والميراث... إلخ.

هذه هى المكانة الاجتماعية للمرأة فى الإسلام، فهل يوجد تشريع أعطاها هذه الحقوق؟ لقد عرفنا كيف كان وضعها فى الشرائع القديمة، وما كانت فيه من ذل ومهانة.

ثانيا: مكانة المرأة الاقتصادية فى الإسلام:

ذكرنا حال المرأة الاقتصادى قبل الإسلام، فهى لم تكن تمتلك حرية التصرف فى مالها، بل إنها هى نفسها كانت سلعة تورث وتباع وتشترى وتنتقل ملكيتها من رجل إلى رجل(١).

أما مكانتها الاقتصادية والمالية فى ظل الإسلام فواضحة جلية، فقد كفل لها الإسلام هذا الحق من جميع صوره، يتحقق ذلك فى الآتى:

أ- المساواة الكاملة بينها وبين الرجل فى الشئون المالية والاقتصادية: فلها أن تتصرف فى أموالها بكل حرية، لاوصاية لأحد عليها مهما كان، فلها أن تتبرع، وتتصدق، وتوصى، وتبيع وتشترى، وتوقف... وهى فى هذا كله تماثل الرجل تماماً (٢).

ب- الميراث: حيث أثبت الإسلام تقديره للمرأة، ورعايته لحقوقها، بإعطائها حق الميراث، خلافا لما كان عليه الحال فى الجاهلية والشعوب القديمة، وبعض الشعوب فى العصر الحاضر. وقد ثبت هذا الحق لها من خلال نصوص القرآن الكريم(٣).

---

(١) عمل المرأة فى الميزان: محمد على البار، ص٥٧ وما بعدها. المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعى، ص١٠٧

(٢) مشكلة المرأة المسلمة المعاصرة وحلها فى ضوء القرآن والسنة: مكية ميرز، ص٢٨٤

(٣) الإسلام والطاقات المعطله: الشيخ محمد الغزالى، ص٣٣. المرأة فى الإسلام: محمد معروف الدواليبى، ص٤٧. عمل المرأة فى المنزل وخارجه: إبراهيم الجوير، ص ٧٢

ج- الحق فى العمل: أباح الإسلام للمرأة أن تسهم فى العمل بنصيب يتناسب مع قدرتها وكفاءتها، وبالشكل الذى يحفظ عليها كرامتها.

وأفضل العمل للمرأة قيامها على شئون بيتها، وتدبير أمور منزلها، وتربية أبنائها ورعايتهم.

وجهد المرأة فى عمل شريف من أجل كسب عيش حق لها، أما أداؤها لعمل من الأعمال الضرورية للنساء كالتطبيب والتوليد وتعليم بنات جنسها فهو فرض كفاية يجب على المرأة القيام به(١).

وللمرأة أن تبيع وتشترى وتتاجر وتجنى الثمار، وغير ذلك فى ضوء تعاليم الإسلام ومقرراته(٢).

ثالثاً: مكانة المرأة العلمية والثقافية فى الإسلام:

رفع الإسلام من قدر المرأة وأعلى مكانها بالعلم، فقد احتلت المرأة المسلمة مكانة علمية عالمية، فى العقيدة، والفقه، والحديث، والفتوى، والطب والتمريض، وغير ذلك من العلوم، وقامت برسالتها العلمية خير قيام(٣).

لقد انتشر التعليم وظهر أثره فى أجيال وراء أجيال من نساء المسلمين، فلقد وجد على مر العصور النساء المحدثات، والراويات الثقات(٤).

إن الإسلام عندما دعا إلى طلب العلم لم يخص به الرجال فقط بل جعل الحكم للرجال والنساء معاً.

لقد طلب النبى ﷺ من « الشفاء العدوية» رضى الله عنها أن تعلم زوجته السيدة حفصة القراءة والكتابة(٥).

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) معركة التقاليد: محمد قطب، ص ٩٠. المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعى، ص٣٣

(٣) الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوى، ص٥. الصديقة بنت الصديق: عباس محمود العقاد، ص٣٨ وما بعدها. الإسلام ومكانة المرأة: محمد عبد العليم مرسى، ص٢٤٦ وما بعدها.

(٤) روح الإسلام: محمد عطية الإبراشى. المجتمع الإسلامى الأول: محمد عبدالله الشبانى ص٢٠٧

(٥) المراجع السابقة، وانظر: المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص٣٢٩

ولا يمكن لباحث أن يغفل السيدة عائشة- رضى الله عنها- والتى قال عنها الزهرى: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل، ولقد شاع علم عائشة، وانتشر فى الأمصار، وسارت به الركبان»[1].

والخلاصه: أن السيدة عائشة -رضى الله عنها- كانت أفقه نساء المؤمنين، وأعلمهن بالدين والأدب، وحسبها أنها روت عن رسول الله ﷺ أكثر من ألفى حديث.

وإذا كان الإسلام يأمر بالعلم للرجال والنساء فهذا نابع من أن بالعلم يعرف المرء ما له وما عليه.

المبحث الثالث

أهمية الزواج فى الإسلام

اهتمت الشرائع السماوية كلها بالأسرة اهتماماً كبيراً، وأساس تكوين الأسرة هو الزواج الصحيح.

لذلك فقد أحاط الإسلام هذا العقد بسياج منيع، حيث اهتم به ووضع له الأركان والشروط، والسبب أن من خلاله تتكون الأسرة التى هى جزء من المجتمع على أسس وأصول ثابتة.

ونتناول الزواج فى الإسلام من حيث: التعريف به، والحكمة من مشروعيته، وكيفية اختيار الزوجة، وكيفية اختيار الزوج، والكفاءة فى الزواج، وحقوق كل من الزوجين تجاه الآخر، ثم نختم بالحديث عن أهم الشبهات التى أثارها أعداء الإسلام حول المرأة والرد عليها.

تعريف الزواج:

الزواج فى اللغة: يعنى الاقتران والارتباط، وهو يرادف النكاح، فالزواج والنكاح يدلان على معنى واحد، وهو الارتباط[2].

---

(١) السيدة عائشة أم المؤمنين: عبد الحميد محمود طهماز ص١٧٨

(٢) لسان العرب: مادة «زوج»، ومادة «نكح». مختار الصحاح: مادة «نكح».

والزواج فى الاصطلاح الشرعى: هو عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعًا[1].

الحكمة من مشروعية الزواج:

الزواج من الأمور المهمة التى يحشد لها الإسلام بالغ عنايته واهتمامه، والسبب أو الحكمة من مشروعية الزواج تتجلى فى الأمور التالية:

١- أنه سكن ومودة ورحمة: يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

فالزواج سكن، لأن زوج الإنسان جزء منه، فالرجل والمرأة متوافقان نفسياً وروحياً ولذلك فإن المشاعر الإنسانية تنمو من خلال المودة والرحمة[2].

٢- المحافظة على الأنساب: والزواج هو الوسيلة الوحيدة لحفظ النسب، والمنع من الانحلالية والسفاح والتى تكون ثمرتها أولادًا لقطاء، وهذا فيه ما فيه من التدمير، حيث لا أسرة، ولا أخلاق، ولا نظام[3].

٣- أنه السبيل الوحيد لتكاثر النوع الإنسانى على ظهر البسيطة: وقد بين ذلك رب العزة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وفى قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. ويقول ﷺ: **«النكاح من سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى، وتزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء»**[4].

---

(١) انظر فى تعريفه عند الفقهاء: المبسوط: السرخسى٣/ ١٩٢. مغنى المحتاج: الشربينى٣/ ١٢٣. الشرح الصغير: الدردير١/ ٣٧٤. المغنى: لابن قدامة ٦/ ٤٤٥

(٢) زاد المعاد: ابن القيم١/ ٣٠٧. تربية الأولاد فى الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١/ ٣٥.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) راوه ابن ماجة فى سننه١/ ٥٩٢.

٤- أنه يحمى المجتمع من الانحلال والأمراض: فالانحلال حيث لا أخلاق، حيث تشيع الفاحشة، وينتشر الزنى، والأمراض كثيرة: كالإيدز، والزهرى، والزواج يمنع من هذا كله[١].

٥- أنه الأساس فى التربية والتنشئة الصحيحة: فالأسرة القائمة على زواج صحيح، تتحمل مسئولية جيل جديد يتمثل فى الأولاد، هذه المسؤلية تتحقق من خلال التربية والتنشئة الإسلامية الصحيحة[٢].

٦- أنه يلبى الرغبة الجنسية لكلا الطرفين فى نطاق صحيح بعيداً عن الوقوع فى الفاحشة[٣].

كيفية الاختيار:

كى تتحقق الحكمة من مشروعية الزواج فقد وضعت الشريعة الإسلامية نظاماً متكاملا وشاملاً لإقامة هذا الزواج على قواعد وأصول صحيحة، تتمثل فى اختيار الزوجة واختيار الزوج.

كيفية اختيار الزوجة:

الزواج-كما ذكرنا- هو الأساس لتكوين الأسرة، والمرأة أحد شقى بناء هذه الأسرة، ولذلك وضع الشارع الحكيم القواعد العامة فى اختيار الزوجة، هذه القواعد وضعها لنا رسول الله ﷺ فقال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» [٤].

من خلال الحديث الشريف نجد أن القواعد التى وضعها الإسلام عند اختيار الزوجة أربع قواعد:

١- الغنى ٢- الحسب

٣- الجمال ٤- الدين

(١) الأمومة فى القرآن والسنة: محمد السيد الزعبلاوى، ص ١٣

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر الأشقر، ص٢٨٩

(٣) المرجع السابق

(٤) الحديث متفق عليه. انظر: مشكاة المصابيح ٢/١٥٨

ونحاول أن نوضح كل اختيار بادئين بالدين، لأنه هو الذى اهتم به الرسول ﷺ فى عجُز حديثه، ولأمور أخرى سنذكرها:

١- الدين: يقصد بالدين: الطاعة لله بالانقياد والخضوع لشريعته، وبعبارة أخرى: وجوب الاستسلام لتعاليم الله والانقياد لها(١).

إن أجمل ما فى الإنسان دينه وخلقه، فإذا كان فى المرأة هذه الصفات فهى الأولى والأفضل عند الاختيار، وهى الأحق بهذا الارتباط، لأنها سيكون لها تأثير على الأسرة، حيث تعيش الأسرة كلها فى ظل تعاليم الإسلام(٢)، ولذلك حث النبى ﷺ على اختيار من اتصفت بالتدين والأخلاق الكريمة فقال: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٣) يدعم ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة: من إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه**»(٤).

إن المرأة الصالحة ذات الدين تستطيع أن تربى أولادها على طاعة الله، ولا تنقص من حق زوجها(٥).

٢- الغنى: وهو البند الأول فى اختيار الزوجة فى هذا الزمن -للأسف- حيث ينشد الكثير من الشباب الغنى فيمن يطلبها زوجة له، تاركًا الصفات الأخرى، فلا يهم أن تكون هذه المرأة سيئة الخلق، وضيعة.. المهم المال، والمال... وهو لا يدرى أن المال زائل، وأن الزواج ليس مالاً فقط(٦)، ولا أدل على النهى عن الغنى وحده عند الاختيار من قوله ﷺ: «**ولا تزوجوهن (أى النساء) لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن**»(٧).

---

(١) الإسلام ومكانة المرأة: محمد عبد العليم مرسى، ص٢١١. نحو ثقافة إسلامية أصيلة: الأشقر، ص٢٩٣.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سنن ابن ماجة ١/ ٥٩٦.

(٥) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص٢٩٣.

(٦) الإسلام والمرأة المعاصرة: الشيخ البهى الخولى، ص٥٢.

(٧) رواه ابن ماجة فى سننه- حديث رقم ١٨٥٩.

٣- الحسب: أمر مطلوب فى اختيار الزوجة إذا ما قورن بالصفات الصالحة فيها، أما الحسب وحده فهو من عمل الجاهلية، حيث كانوا يتفاخرون بالآباء والأجداد[١]، ولقد حذر النبى ﷺ من الزواج بذات الحسب تاركًا الدين، ولذلك نجده ﷺ يقول: «**من تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة**»[٢].

٤- الجمال: من الناس من يعشق الجمال ويجعلونه أساسًا عند الاختيار، وهذا أمر مطلوب إذا كان يوجد فى ذات الجمال التقوى والصلاح، أما الجمال وحده فلا، فربما يكون الجمال وبالاً عليها وعليه[٣]، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يؤذيهن**»[٤].

ونخلص: إلى أن الأصل عند اختيار الزوجة هو دينها، فإذا ما اجتمع مع الجمال أو الغنى أو الحسب فلا بأس.

كيفية اختيار الزوج:

للمرأة كامل الحرية فى اختيار الزوج بكرًا كانت أم ثيبًا، ولا يجوز لوليها إجبارها على التزوج بإنسان لا تريده[٥]، تدل لذلك الأحاديث الصحاح:

روى عن خنساء بنت خذام: «أن أباها زوجها وهى ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ، فرد نكاحها»[٦].

وروى أبو هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**اليتيمة -أى البكر- تستأمر فى نفسها، فإن صمتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها**»[٧].

---

(١) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص٣٢٧ وما بعدها.

(٢) سنن ابن ماجة- حديث ١٨٥٩.

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية: نادية العمرى، ص١٩٥.

(٤) رواه ابن ماجة فى سننه- حديث رقم ١٨٥٨.

(٥) حماية الإسلام للمرأة: الشويعر، ص٢٢

(٦) رواه ابن ماجة فى سننه- كتاب النكاح -حديث رقم ١٨٧٣.

(٧) صحيح البخارى مع الفتح ٩/ ٣١٩١، صحيح مسلم بشرح النووى ٩/ ٢٠٧.

وإذا ما اختارت ورضى الولى، فليس ثمة شخص يكون هو الزوج، بل هناك أسس فى اختيار الزوج كما هو الحال بالنسبة للزوجة.

والأساس الأول والأخير يتمثل فى الإيمان والتقوى والصلاح بغض النظر عن الغنى والجاه، فهذا عرض زائل لا يلبث أن يزول، يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١]. فالمسألة لاتخضع للإعجاب ولا للهوى، ولكن المفاضلة تكون بالتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولقد جرى العرف فى هذا الزمان- وهو عرف فاسد- على اختيار الزوج الموسر بصرف النظر عن كونه متديناً أم لا، حتى إذا ما تقدم لخطبة ابنتهم رجل فقير تقى ورع ردوه، وقد حذر النبى ﷺ من ذلك فقال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**»[(١)]. وسبب الفساد يتمثل فى سوء العشرة إذا ما تزوجت من لا دين له ولا خلق[(٢)]. إن المعسر التقى أفضل حالاً حيث التربية الصحيحة للأولاد والمعاملة الحسنة للزوجة، يقول تعالى: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٢]

الكفاءة فى الزواج:

الكفاءة: هى المقاربة والمماثلة والمساواة، والكفء: المماثل، والكفىء -بالمد- النظير[(٣)].

والكفاءة فى الاصطلاح الشرعى: هى مساواة الرجل لزوجته، أو مقاربته لها فى أمور مخصوصة[(٤)].

---

(١) رواه الترمذى، وإسناده حسن. انظر: مشكاة المصابيح ٢/ ١٦٠

(٢) حماية الإسلام للمرأة: الشويعر، ص٢٤

(٣) لسان العرب: مادة (كفء). المصباح المنير: مادة (كفء)

(٤) بدائع الصنائع ٣/ ١٥٢٣. حاشية الدسوقى ٢/ ٢٤٩. روضة الطالبين ٧/ ٨٤.

والكفاءة: حق للنساء فى جانب الرجال، أى أن هذا الحق مخول لها دون الرجل، لأن النصوص وردت بالاعتبار فى جانب الرجال خاصة، وكذلك المعنى الذى شرعت له الكفاءة يوجب اختصاص اعتبارها بجانبهم، لأن المرأة هى التى تستنكف لا الرجل لأنها هى المستفرشة، أما الزوج فهو المستفرش فلا تلحقه الأنفة من قبلها[1].

وعلى ذلك فحق التكافؤ للزوجة وأوليائها لأنهم هم العرضة للتعيير والذم. ولذلك فإن التكافؤ بين الزوجين من الأسباب الرئيسة لاستمرار الزواج ودوامه[2].

وإذا كانت الكفاءة مطلوبة فهل هى شرط لصحة الزواج بحيث إذا لم تتوافر فى الزوج يكون العقد فاسداً؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى اعتبار الكفاءة من شروط الزواج، فإذا لم يتحقق التكافؤ كان العقد باطلاً.

ودليلهم: أن الهدف من الزواج هو قيام المصلحة المشتركة بين الزوجين، ولاتتحقق هذه المصلحة ولا تستقيم الحياة الزوجية إلا إذا تقارب الزوجان فى العادات والصفات التى يمتدح الناس بها أو يعيرون، وإذا كان الناس جميعا سواء إلا أنهم متفاضلون فى الدين، وفى الرزق، وفى العلم. . . إلخ، وهذا ترتيب الله ونظامه لعمارة الأرض واستقامة الحياة[3]، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]

فالتفاضل فطرة إلهية ولابد من تحققه فى الزواج حيث دوام العشرة والمودة والتراحم، وهذه تقتضى الكفاءة لوجودها واستمرارها[4].

(١) المراجع السابقة. وانظر: المغنى: لابن قدامة ٧/ ٣٩. كشاف القناع ٥/ ٥٢

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر الأشقر، ص٢٩٥.

(٣) بدائع الصنائع ٣/ ١٥٢٤ . حاشية الدسوقى ٢/ ٢٥٠. روضة الطالبين ٧/ ٨٥ المغنى ٧/ ٤٠ كشاف القناع ٥/ ٥٣

(٤) حقوق المرأة فى الزواج: محمد عمر الغروى، ص٣٣٠

وذهب بعض العلماء: إلى أن الكفاءة ليست شرطاً فى النكاح، لوجود المساواة المطلقة بين الناس، فلا تفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح[1].

ونرى أن الراجح هو أن الكفاءة ليست شرطاً فى النكاح، لكن لابد من وجودها لتحقيق المعانى التى من أجلها شرع النكاح، وعلى ذلك فالكفاءة معتبرة، لكن هل هى معتبرة فى كل الأمور، بمعنى أن يكون كفئاً لها فى الدين، والنسب، واليسار، والحرفة؟

هذا ما سنتحدث عنه..

الأمور التى تعتبر فيها الكفاءة:

تعتبر الكفاءة فى عدة أمور هى:

الأول: الدين: والمراد به هنا التقوى والصلاح، وليس المراد به الإسلام، لأن إسلام الزوج شرط لانعقاد الزواج، فلا ينعقد زواج المسلمة بغير المسلم.

وعلى ذلك فلا تزوج العفيفة بفاسق أوفاجر، فالبنت الصالحة لا يكافئها إلا مثلها، لأن التفاخر بالدين أولى من التفاخر بالنسب والحسب ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:١٨] ولأن الفاسق مردود الشهادة والرواية وغير مأمون الجانب، فلا يجوز أن يكون كفئاً ولا مساويا لها[2]، يقول ابن القيم: « الذى يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الكفاءة فى الدين أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر»[3].

الثانى: النسب: ونسب الرجل أصله وحسبه، وقد أسس بعض الفقهاء الكفاءة فى النسب، أى: أن يكون حسب ونسب الرجل كنسب المرأة وليس أقل منه- من قوله ﷺ «**قريش بعضهم أكفاء لبعض، والعرب بعضهم أكفاء بعض، حى بحى، وقبيلة بقبيلة، والموالى بعضهم أكفاء لبعض**»[4]، ويقول عمر -رضى الله عنه-:

---

(١) المحلى: لابن حزم، ٦/ ١١٥

(٢) حماية الإسلام للمرأة : محمد سعد الشويعر، ص٢٢

(٣) تحفة الأحوذى ٢/ ١٦٩

(٤) نيل الأوطار: للشوكانى ٦/ ١١٠. السنن الكبرى ٧/ ١٣٤

«لأمنعن تزوج ذات الأحساب إلا من الأكفاء، قال: قلت: وما الأكفاء؟ قال: فى الأحساب»[١]، ولأن التفاخر والتعيير يقعان بالأنساب فتلحق النقيصة بدناءة النسب فتعتبر فيه الكفاءة[٢]. ولكن لابد وأن يصحب هذا النسب التقوى والصلاح، فالنسب وحده لا يكفى[٣]، يقول رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذى أزال عنكم عبية الجاهلية وتفاخرها بآبائها، أيها الناس، إنما الناس رجلان: مؤمن تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣][٤].

الثالث: الحرية: فلا يكون العبد مكافئاً للحرة، لأن المرأة يلحقها العار بكونها تحت عبد[٥].

الرابع: اليسار: فلا يكون الفقير كفئاً لغنية، ولأن المال ضرورى للحياة وفى أمور الزواج، ولأن بالإعسار يلحق المرأة الضرر لعدم النفقة، ولذلك جاز لها فسخ العقد فى حالة إعسار الزوج[٦].

الخامس: الحرفة: والمراد بها العمل الذى يزاوله الشخص، فمن كان عمله ممتهناً فهو ليس بكفء لبنات ذوى المروءات، ودناءة الحرفة وشرفها تختلف باختلاف الظروف والأحوال، والزمان والمكان[٧].

حقوق كل من الزوجين على الآخر:[٨]

رتب الإسلام على عقد الزواج حقوقاً هى على ثلاثة أنواع:

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) حقوق النساء فى الإسلام: الشيخ محمد رشيد رضا، ص٢٠

(٣) حقوق المرأة فى الزواج: محمد الغروى، ص٣٣٥

(٤) سبل السلام ٣/١٩٨

(٥) حقوق المرأة فى الزواج: الغروى ص٣٣٤.

(٦) المرجع السابق

(٧) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ص١٤٧

(٨) انظرحقوق الزوجين مبسوطة فى كتب الفقهاء

١- حقوق مشتركة بين الزوجين: لحل الحياة والعشرة الزوجية، إذ إنها لاتحل فى الإسلام إلا بالزواج، ومنها حرمة المصاهرة، ومنها التوارث، وهذه حقوق مشتركة بين الزوجين.

٢-حقوق للزوج على زوجته: وهى حق الطاعة لزوجها،والقرار فى البيت فلا تخرج إلا بإذنه، وثبوت النسب.... إلخ.

٣- حقوق الزوجة على زوجها : كحق المهر، وحق النفقة، والسكنى، والعدل...إلخ.

شبهات حول مكانة المرأة فى الإسلام والرد عليها:

للإسلام أعداؤه فى الداخل والخارج، يوجهون سهامهم المسمومة إليه ويثيرون حوله الشبهات فى كثير من القضايا، خاصة تلك القضايا المتعلقة بنظام الأسرة، وبالمرأة خاصة، ومن الشبهات التى أثاروها وما زالوا يرددونها فى وسائل الإعلام زاعمين أنهم مدافعون عن المرأة: قضية تعدد الزوجات، والطلاق، وشهادة المرأة،والقوامة، والميراث، وغير ذلك مما هو متعلق بالمرأة.

وسنذكر -فيما يلى- هذه الشبهات التى أثيرت حول المرأة فى الإسلام، والرد على هذه الشبهات.

الشبهة الأولى: شهادة المرأة:

قال أعداء الإسلام: إن الشريعة الإسلامية جعلت شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، وهذا يحط من قدرها، ويهدد كرامتها، ويتنافى مع المساواة[١].

الرد على هذه الشبهة:

نرد على هذه الشبهة فنقول: إن الإسلام وإن قرر أن شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل بقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ

(١) دراسات فى الثقافة الإسلامية: محمد عبد السلام وآخرون، ص٢٩٩. رسالة منهج الثقافة الإسلامية: محيى الدين الخطيب، ص١٦٤.

فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فذلك لحكمة أرادها الله سبحانه لا مساس لها بكرامة المرأة وقدرها[١]. وهذه الحكمة تتجلى فيما يلى:

١- أن المرأة تغلب عليها العاطفة، وربما مالت عاطفتها لصالح أحد الفرقاء فتشفق عليه، فتغير شهادتها أو تكتمها.

٢- أن المرأة يغلب عليها النسيان فى هذه الأمور بالخصوص، لأن هذه الأمور تحصل عادة خارج البيت، وهى لا تعنيها لأنها خارجة عن اختصاصها، ولأن المرأة مشغولة بتربية أولادها، وهذا لا يعطيها الفرصة للإلمام بالشهادة[٢].

٣- أن المقصود من الشهادة تحقيق العدالة، والوصول إلى الحق، وما دامت المرأة ليس لها هذا الاختصاص، كان لابد من الأخذ بمبدأ الاحتياط وهو شهادة امرأتين، وهذا المبدأ يجرى على الرجال أيضاً، حيث لا تقبل شهادته فيما يخص النساء كالرضاع وعيوب النساء، وما لا يطلع عليه الرجال[٣].

الشبهة الثانية: ميراث المرأة:

ركز أعداء الإسلام على نصيب المرأة فى الميراث، ووجهوا اتهاماتهم حول هذه المسألة، فقالوا: إن الإسلام جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، وفى هذا إجحاف وعدم مساواة للمرأة[٤].

الرد على هذه الشبهة:

هذه شبهة واهية كسابقتها، فحكمة الشرع فى جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل واضحة لكل صاحب عقل، وهذه الحكمة تتجلى فى أمرين:

---

(١) مجمع الأنهر ٢/ ١٨٠. تبصرة الحكام ١/ ١٩٩. مواهب الجليل ٦/ ١٤٧. نهاية المحتاج ٨/ ١٢٦. كشاف القناع ٩/ ٣٨٩

(٢) بدائع الصنائع ٦/ ٢١٢. معين الحكام ص٢٦. المهذب ٢/ ٢٢٦. الفروق ٤/ ٨٨. الطرق الحكمية ص ١٣٠.

(٣) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص ٢٩٠.

(٤) أحكام المواريث فى الفقة الإسلامى: د. محمد أحمد سراج، ص٢٣.

أحدهما: أن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة، بينما المرأة لاتنفق شيئاً بل ينفق عليها سواء كانت أما أو بنتاً أو أختا أو زوجة، فهل من العدل والمساواة أن أساويها بمن ينفق عليها؟ (١)

الثانى: أن الزوج هو الذى يتحمل نفقات الزواج وحده، والمرأة غير ملزمة بشئ، بل تأخذ المهر، فهل من الأعدل أن نساويها به؟ فاذا قيل: إن المرأة -فى عصرنا الحاضر- تشارك الزوج فى تأثيث منزل الزوجية وفى النفقة على البيت عن طريق عملها، قلنا: إن هذا التصرف ليس من الإسلام فى شىء، فالرجل هو المسئول الأول عن ذلك، وإذا كانت بعض النساء تفعل ذلك فهذا من قبيل التطوع وليس من قبيل الإلزام(٢).

الشبهة الثالثة: الولاية العامة:

أعداء الإسلام يتهمون الإسلام بأنه لايقرر أن تتولى المرأة الحكم وغيره من الولايات العامة كالقضاء وغيره، وفى هذا من النقص من حق المرأة الكثير(٣).

الرد على هذه الشبهة:

ونرد على هذه الشبهة فنقول: إن الولاية فى الإسلام ليست تشريفاً، وإنما هى تكليف ومسئولية، والمرأة بما حباها الله به من تكوين نفسى وعاطفى لا يتناسب معها القيام بهذه المهمة الشاقة التى تقتضى قيادة الجيوش وإعلان الحرب، ومخالطة الرجال، وتطبيق الحدود والقصاص والتعازير، ثم إن هذه الوظيفة تخل بوظيفتها الأساسية وهى الأمومة وتربية الأطفال، وكل هذه الأمور تحتاج إلى تفرغ كامل من المرأة، هذا عدا ما يعتريها من عوارض الولادة والحيض والنفاس، مما يحول دون تفرغها لهذه الأعمال الشاقة(٤).

---

(١) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص٢٩٠

(٢) المرجع السابق. وانظر: نظام الاسرة فى الإسلام: محمود حمودة وزملاؤه، ص٥٦

(٣) نظرات فى الثقافة الإسلامية: عز الدين الخطيب التميمى، ص١٦٠. نظام الأسرة فى الإسلام: محمود حمودة ص٦١

(٤) المرجعان السابقان.

واذا وجد فى التاريخ من تولت الحكم من النساء، فإن هذا لا يعنى المشروعية، لأن حديث النبى ﷺ عندما قال: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»(١). كان تعقيبا على حالة واقعية أنكرها النبى ﷺ.

ومع ذلك فإن للمرأة المسلمة الحق فى إبداء المشورة فى أمور السياسة، فقد أبدت أم سلمة -رضى الله عنها- رأيها فى صلح الحديبية وعمل به النبى ﷺ(٢).

الشبهة الرابعة: تعدد الزوجات:

أثار أعداء الإسلام شبهة حول تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية، وقالوا: إن التعدد فيه ظلم للمرأة وإهدار لكرامتها، ووسيلة لتحقيق متع الرجل ومآربه على حساب المرأة(٣).

الرد على هذه الشبهة:

ونرد على هذه الشبهة الواهية من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الإسلام وإن أباح التعدد بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء: ٣] إلا أن الإباحة مقيدة بقيدين:

١- العدل بين زوجاته، وهذا واضح من قوله سبحانه: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾ وقد أكد ذلك النبى ﷺ بقوله: «**من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**»(٤). ومعنى ذلك أنه من الظلم(٥).

٢- القدرة على الإنفاق على أكثر من زوجة، ويفسره قوله سبحانه فى آخر آية

(١) صحيح البخارى - حديث رقم ٤٤٢٥. مسند أحمد ٥/ ٤٣. سنن النسائى ٨/ ٢٢٧. سنن الترمذى- حديث رقم ٢٢٦٣.

(٢) الإسلام والمرأة: إبراهيم على النشار، ص٣٢. فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالى، ص١٤٣.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: الأشقر، ص١٥٠

(٤) سنن الترمذى ٢/ ٢٧٥. سنن ابن ماجة ٢/ ٥٩٥

(٥) دراسات فى الثقافة الإسلامية: هارون، ص٢٧٩. تربية الطفل فى الإسلام: أحمد عطا وآخرون، ص٢٩.

التعدد ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أى فى حالة عدم القدرة على الإنفاق على أكثر من واحدة، فيجب الاقتصار على واحدة خشية الظلم(١).

الوجه الثانى: أن التعدد علاج أمثل لإصلاح التوازن الاجتماعى: وبيان ذلك أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، فحين يختل توازن الأمة بسبب قلة الرجال الطالبين للزواج مقارنة بالنساء، يكون السؤال: ما هو الحل؟ والجواب لا يخرج عن الآتى: إما أن يقتصر كل رجل على امرأة واحدة، وهذا يؤدى إلى العنوسة، وإما أن يتزوج امرأة واحدة، ويميل إلى أخريات بالطريق الحرام، وفى هذا ما فيه من انحلال خلقى وفساد اجتماعى، وإما أن يتزوج بأكثر من واحدة، فيرفعها إلى شرف الزوجية، ويؤمن لها المستقر والنفقة وحق الطفولة داخل الأسرة(٢).

الوجه الثالث: قد تكون الزوجة عقيمًا، أو أن الزوج كثير الأسفار أو التنقل، أو تكون الزوجة مصابة بمرض منفر، ففى هذه الحالات ولوجود الضرورة، أباح الشارع تعدد الزوجات بالشروط السابقة.

الشبهة الخامسة: الطلاق:

قالوا: إن الإسلام جعل الطلاق بيد الرجل وحده دون المرأة، بالرغم أن الزواج عقد مشترك بينهما، فلم لم تعط المرأة هذا الحق؟ فإذا منح حق الطلاق لأحدهما دون الآخر فإن هذا يتعارض مع أصول التعاقد، ومع ما ينبغى أن تكون عليه المساواة بين الطرفين(٣).

الرد على هذه الشبهة:

هذه الشبهة تدل على جهل قائليها بتعاليم الإسلام، فإن الإسلام لم يقصر حق المطالبة بالانفصال على الرجل وحده، بل أعطاه للمرأة عن طريق فسخ العقد للضرر، وعن طريق الخلع(٤).

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت، ص١٩٣.

(٢) فقه السيرة: د. سعيد البوطى، ص٥٣. الإسلام والرسول: أحمد بن حجر، ص٦٣.

(٣) فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ١/ ٢٤٢. المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد العيادى ص٣٣٣.

(٤) الوجيز فى الثقافة الإسلامية ص٢٨٠. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان، ص٢٩.

كما أن الإسلام لم يكن المقرر الأول للطلاق، فقد كان موجوداً عند اليهود، وعند النصارى عن طريق الكنيسة.

إن الإسلام عندما أحل الطلاق لم يقصد تشتيت الأسرة، والتفريق بين أفرادها، وإنما أحله ليكون المرحلة الأخيرة إذا ما سدت كل المنافذ لعلاج ما وصلت إليه حالة الأسرة(١).

إن كون الطلاق بيد الرجل له مبرراته التى تتفق مع العقل والمنطق، ومنها:

١- إن الرجل هو الأحرص على بقاء الزوجية لكونه الغارم الذى تكلف المهر وسائر النفقات(٢).

٢- أن الرجل أضبط لأعصابه من المرأة، فلو جعل الطلاق بيدها لارتفعت نسبته، وازدادت حدة المشاكل، كما هو حاصل فى بلاد الغرب.

الشبهة السادسة: القوامة:

القوامة: تعنى الرئاسة والقيام على شئون الغير، ولابد من وجود رئيس ومسئول يدير شئون الهيئة سواء كانت تلك الهيئة مجتمعًا كبيرًا أم مجتمعًا صغيرًا وهو الأسرة(٣).

وقد جعل الإسلام القوامة فى الأسرة للرجل، وقد جعل هذا الأمر أعداء الإسلام يلقون سمومهم حول هذه المسألة كغيرها من المسائل، حيث تساءلوا: لماذا أعطى الإسلام حق القوامة للرجل فى بيته ولما لا يكون للمرأة؟ أليس فى هذا إنقاص لحق المرأة وإهدار لعقلها وتحمل مسئوليتها؟

الرد على هذه الشبهة:

نقول: وردت القوامة فى حق الرجال بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ

(١) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة: عبد الغنى عبود، ص١٣٢ وما بعدها. الأسرة فى الإسلام: مصطفى عبد الواحد، ص٥١.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعى، ص١٤٩

بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] . من خلال هذه الآية الكريمة تتضح لنا عدة أمور هى:

١- أن قوة الإرادة، والإقدام على التنفيذ، والبعد عن العواطف متوافرة فى حق الرجل، فكانت له القوامة -أى الرئاسة وتحمل المسئولية- ، بخلاف المرأة التى تتصف طبيعتها بالرقة والحنان وسرعة الانفعال، وهذه الصفات لا تصلح فى مضمار الرئاسة والقيادة.

٢- أن القوامة للرجل قوامة تكليف ومسئولية لا قوامة تشريف، فهى قائمة على تحمل مسئوليات جسام تتمثل فى الإنفاق واتخاذ القرارات ومراعاة مصالح الأسرة، والرجل أهل لهذا كله، بخلاف المرأة[١].

٣- أن هذه القوامة للرجل لا تمنع المرأة من سلطانها، ولا تمنع إبداء رأيها، بل وتحملها المسئولية، فهى لها جانب مهم يتمثل فى تربية أولادها تربية صالحة، ومراعاة شئون بيتها، ولذلك جعل الإسلام المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها[٢]. يقول النبى ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ..**»[٣]. إن الإسلام لم يجعل القوامة للرجل قوامة مطلقة بلا حدود، بل هى قوامة مقيدة بقيود متينة، فعليه أن يأمر أهله بأداء العبادات، وعليه أن يتكفل بالنفقة والكسوة والسكنى لهم، وعليه حمايتهم من أى اعتداء، وعليه أن يعاشر بالمعروف، وأن يكون خيراً مع أهله، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**»[٤].

---

(١) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة: عبد الغنى عبود، ص١٣٣ وما بعدها

(٢) الأسرة فى الإسلام: مصطفى عبد الواحد، ص٥٠.

(٣) صحيح البخارى: ١/ ٢١٤. صحيح مسلم ٢/ ٢١١.

(٤) سنن ابن ماجة ٢/ ٦٢٩.

خلاصه:

هذه بعض الشبهات التى أثارها أعداء الإسلام حول مكانة المرأة المسلمة، رددنا عليها شبهة شبهة، إننا نقول لهؤلاء الذين أطلقوا ألسنتهم وأقلامهم للنيل من الإسلام متسترين وراء ادعاء حماية المرأة، والدفاع عن حريتها وحقوقها، نقول لهم: قبل أن تدافعوا عن حق المرأة المسلمة دافعوا عن حق المرأة فى بلادكم، فكم من انسات عندكم أصبحن أمهات بغير زواج، وكم من أطفال عندكم لا يعرفون لهم أبًا، ألم تعيشوا فى انحلالية وسوء أخلاق، ألم تنتشر الفاحشة فى بلادكم وتمارسو الزنا والفجور مثل الحيوانات أو أشد[1]. أصلحوا أنفسكم أولاً ثم نادوا بإصلاح الآخرين !!

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية: عبد المنعم خفاجى، ص١١٦. الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب، ص٦٥. الإسلام فى حياة المسلم: د. محمد البهى، ص٢٩٨.

الفصل السادس

طلب العلم وآدابه فى الإسلام

تمهيد:

ليس هناك دين على وجه الأرض ارتبط بالعلم وطلبه، وتعليمه وتعلمه، كما هو الحال بالنسبة للإسلام.

لقد اهتم الإسلام بالعلم وحارب الجهل، وبيَّن أن بالعلم تنمو مدارك الإنسان، وتُبنى الحضارات والأمم، وبالعلم يُقاوم الفقر والمرض، ويكفى أن تكون أول كلمة فى دستور الحياة -القرآن الكريم- هى «اقرأ».

وفى هذا الفصل سنتحدث عن تعريف العلم، واهتمام الإسلام به، والحث على طلبه، وآداب العالم، وآداب المتعلم.. إلخ. وذلك فى عدة مباحث:

المبحث الأول

فى تعريف العلم، ومدى اهتمام الإسلام به، وفضله

أولاً: تعريف العلم:

العلم فى اللغة: نقيض الجهل[1].

وفى الاصطلاح: يعرف بأنه: (المعرفة والخروج من الجهل به)[2] وقيل: هو (إدراك حقائق الأشياء)[3]. وقيل: هو (نور يقذفه الله فى قلب من يحب، وهو يطلق على مجموعة مسائل وأصول كلية تجمعها وحدة واحدة، كالعلم الشرعى، وعلم اللغة، وعلم الهندسة، وعلم الطب.. إلخ)[4].

ثانيا: اهتمام الإسلام بالعلم:

بالنظر إلى العلم من حيث مكانته وأهميته، نجد أن الإسلام -كما ذكرنا- اهتم به وحث عليه، ويظهر ذلك فى النقاط التالية:

---

(١) المصباح المنير: مادة (علم). مختار الصحاح: مادة (علم).

(٢) الثقافة والثقافة الإسلامية: سميح عاطف الزين، ص ٣١.

(٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ: السمين الحلبى ٣/ ١٣٤.

(٤) الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوى، ص ٤.

١- حث الإسلام على العلم: لو تأملنا الآيات والأحاديث التى تتناول العلم لعرفنا كيف حث الإسلام على العلم والتعلم، وعليك أن تعلم أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ هو الحث على القراءة، وهى تعنى التعلم، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فهذه الآية تبين ما للعلم من مكانة ترتبط بخلق الإنسان، وأن واهب الحياة هو الذى علم هذا الإنسان.

وبجانب اهتمام القرآن بالعلم والحث على التعلم فقد حض الرسول ﷺ على طلبه فقال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١).

٢- أن الإسلام قرن الإيمان بالعلم: فقد ذكر القرآن الكريم الحاجة إلى العلم بعد الكلام عن خلق آدم مباشرة فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] والعلم فى الإسلام يسبق العمل، ولا يكون العمل إلا بعد العلم قال الإمام البخارى: «العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم(٢).

٣- أن العلم طريق إلى خشية الله: فهو الباب إلى معرفة الله تعالى وحسن عبادته، وبه تصلح الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٤- أن العلم فرض على المسلمين جميعا رجالاً ونساء، يقول رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»(٣).

٥- بالعلم يرتقى الإنسان فى درجات الإيمان، فهناك فرق بين العالم والجاهل يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ويقول سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه ١/ ١٢، وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجة ١/ ١٨٣. الترغيب والترهيب.

(٢) صحيح البخارى: كتاب العلم.

(٣) سبق تخريجه.

٦- أن العلم هو السبيل إلى القوة، فلا قوة إلا بعلم، أيا كان هذا العلم ما دام يوصل إلى الصواب والاستقرار والتقدم، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

المبحث الثانى

حكم طلب العلم وفضله

حكم طلب العلم:

العلوم كثيرة يأتى على رأسها العلم الشرعى، ونحاول -هنا- بيان الحكم لطلب العلوم وتعلمها بإيجاز.

أولاً: حكم طلب العلم الشرعى:

طلب العلوم الشرعية وتعلمها، منها ما هو فرض عين يلزم جميع المسلمين تعلمه، ومنه ما هو فرض كفاية(١).

- **أما فرض العين:** والذى يجب على كل مسلم ومسلمة العلم به، فهو العلم بأصول الإيمان، وهى الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره(٢).

وكذلك أمور العبادات من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج(٣).

وكذلك العلم بالمحرمات الخمس التى اتفقت عليها الرسل والشرائع السماوية(٤)، وهى مذكورة فى قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا

(١) أصول المنهج الإسلامى: عبد الرحمن عبد الكريم العبيد، ص ٣٨٥.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص ٣٠٥. جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر، ٢/ ٤٥.

(٤) المرجعان السابقان. وانظر: أصول المنهج الإسلامى ص ٣٨٧. الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه: محمد السيد الوكيل، ص ١٤.

عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] كما أنه يجب على المسلم أن يعرف الأمور المحرمة الوارد ذكرها في الكتاب والسنة مثل: الزنى، والربا، والخمر، والميتة، وتحريم نكاح غير الأجنبية، وتحريم قتل النفس بغير حق(١).

- أما فرض الكفاية: فهو العلم بما يتوقف على تعلمه عيش البشر من معاملات واختراعات، وبيع ورهن... إلخ، وتعلم مثل هذا النوع من العلوم يعد من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الحكم عن الباقين(٢).

ثانياً: حكم طلب العلوم الأخرى وتعلمها:

عن طلب العلوم الأخرى وتعلمها نفرق بين حالتين:

الحالة الأولى: العلوم التي يترتب عليها جلب الخير والمنفعة للناس، فإن طلبها فرض كفاية، وذلك كتعلم الطب، والهندسة، والصيدلة، والفلك، والرياضيات، والكيمياء... وغيرها من العلوم النافعة، فهي تدخل في نطاق العدة التي أمرنا الله بها في قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]

الحالة الثانية: العلوم التي تؤدي إلى الانحراف واللهو وعدم النفع، فإن تعلمها حرام، وطلب تعليمها حرام كالسحر، والكهانة وغير ذلك(٣).

فضل العلم والعلماء:

أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجدَّ فيه الطالب هو العلم، وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل.

إن فضل العلم لعظيم، وإن شرفه لرفيع، فكم من وضيع رفعه إلى مصاف الشرفاء، وكم من حقير نظمه العلم في سلك العظماء(٤).

لقد حفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بالآيات والأحاديث الدالة على فضل العلم والعلماء.

---

(١) أصول المنهج الإسلامي ص٣٨٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) أصول المنهج الإسلامي ص٣٨٩، ٣٩٠.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ص٤٧.

فمن الآيات الدالة على فضل العلم والعلماء:

١- قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]

٢- قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]

٣- قوله تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]

٤- قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]

٥- قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١- ٥]

٦- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]

والآيات الدالة على فضل العلم والعلماء كثيرة، ومن خلال ما ذكرنا من آيات نخلص إلى أنه لم يكن دين يعرف قدر العلم، ويهتم بالتعليم، ويحترم العلماء كالإسلام، حيث جعل الله العلم هو الميزة التى يفضل بها بعض الناس على بعض، وهو الميزان الذى يوزن به الناس، فيرفع به أقواماً، ويخفض بفقده آخرين.

أما الأحاديث الدالة على فضل العلم والعلماء فهى كثيرة، نذكر منها:

١- ما رُوى عن معاوية- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**»(١).

(١) رواه ابن ماجة فى سننه-حديث رقم ٢٢٦.

٢- ما رُوى عن أبى أمامة- رضى الله عنه- قال: ذُكر رسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال: «**إن فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير**»(١).

٣- ما رُوى عن أبى الدرداء- رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يبتغى فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات والأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**»(٢).

٤- عن زيد بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادى- رضى الله عنه- فقال: ما جاء بك؟ قلت: أنبط العلم «أى أطلبه» قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع**»(٣).

وأحاديث الباب كثيرة، وكلها تبين فضل العلم والعلماء.

هذا ولقد وعى الصحابة- رضى الله عنهما- قيمة العلم، فانطلقوا بكل ما أوتوا من قوة ليعلموا العالم كله، وقد تحقق لهم ذلك فصار منهم المئات والمئات ممن يشار له بالبنان فى مجال العلم، وقد حفزهم النبى ﷺ على ذلك فقال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت**

(١) المرجع السابق رقم ٢٢٦.

(٢) رواه ابن ماجة فى سننه- حديث رقم ٢٢٩.

(٣) المرجع السابق حديث- رقم٢٢٣.

عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[1].

يكفى أن نفهم عمق الإحساس بقيمة العلم وأهميته من خلال الآيات والأحاديث التى ذكرناها، ومن خلال أقوال الصحابة وأعمالهم وطلبهم للعلم، فها هو معاذ- رضى الله عنه- يقول: « تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين، والنصير على السراء والضراء... يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الجنة قادة...به يطاع الله، وبه يوحد، وبه يمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، ،وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»[2].

يكفى المسلم أن يتفكر جيداً فى السطور السابقة، فهى تدل على مدى وعى وفهم ذلك الجيل العظيم من السلف الصالح لرسالة العلم.

نخلص مما سبق بالنتائج الآتية:

١- أن الله تعالى استشهد بالعلماء دون غيرهم من البشر.

٢- أنه سبحانه لا يستشهد من خلقه إلا بالعدول، وهم العلماء.

٣- إنه سبحانه استشهد بالعلماء على أجلّ مشهود به وأعظمه وهو: شهادة أن لا إله إلا الله.

٤- أنه سبحانه قرن شهادة العلماء بشهادته، وهذا يدل على عظيم فضلهم.

٥- أنه سبحانه جعل شهادة أهل العلم حجة وبرهانًا على المنكرين[3].

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢/ ٦٢٧

(٢) الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوى، ص١٠

(٣) المرجع السابق

المبحث الثالث

آداب العالم والمتعلم

آداب العالم:

ذكرنا ما أعده الله تعالى للعلماء من درجة رفيعة، ومنزلة سامية شريفة، وعرضنا لذلك من خلال الآيات والأحاديث.

ولذلك فإنه ينبغى لمن تعلم علماً أن يبلغه للناس ولايكتمه، وتزداد درجة العالم رفعة ومنزلة وسموًا إذا هو تحلى بالآداب الرفيعة، والأخلاق الكريمة، وسنذكر فيما يلى جملة الآداب التى ينبغى للعالم أن يتحلى بها، وهى:

١- الإخلاص: ويقصد بالإخلاص هنا أن يكون علمه وعمله به خالص الله تعالى، والتقرب إليه، ولا يريد بعلمه المباهاة والمفاخرة والرياء، فهذه محبطة للعمل، ومفسدة له بكل حال، وعلى هذا فلا يريد معلم الناس الخير بتعليمه دنيا، ولا شهرة، ولا جاهًا عند الناس، وإنما يريد بتعليمه أداء ما وجب عليه من البيان(١).

٢- دوام المراقبة لله تعالى: فعلى العالم أن يراقب الله تعالى فى سره وعلانيته، مفوضًا أمره إلى الله تعالى فى كل أمره، معتمدًا عليه.

٣- التحلى بالأخلاق الكريمة: فيكون متواضعًا لعلمه، غير متكبر، متواضعًا مع الناس، لا يحتقرهم، ولا يستخف بهم، فالكبر يصرفه عن التفكر والاستبصار، فيبقى فى ظلمة الجهل فيمتنع عن الانقياد إلى الحق ظنًا منه أنه على حق(٢).

إن العلم الحقيقى هو الذى يورث صاحبه الخشية والخوف والتواضع، فيكون صاحبه مثالاً حسنا وقدوة صالحة، يقول رسول الله ﷺ: «**من يتواضع لله درجة**

(١) أصول المنهج الإسلامى ص٣٨٦.

(٢) المرجع السابق.

يرفعه الله بها درجة، ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله بها درجة، حتى يجعله فى أسفل السافلين»[١].

٤- النصح للناس كافة ولتلامذته خاصة: والنصيحة من العالم واجبة لأنه هو القدوة، وباب النصيحة واسع، وفى كل أمور الحياة، يقول النبى ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»[٢].

٥- الترغيب فى العلم: ومن آداب العالم مداومته فى ترغيب تلامذته فى العلم، وحثهم على طلبه وتحصيله، وذلك بأن يبين لهم أن العلم هو الأساس للمعرفة، وبه تستنفر الهمم، وتتقدم الأمم.

٦- المداومة على تحصيل العلم: فعلى العالم أن يظل مجتهداً فى الاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة، ومذاكرة وتصنيفاً، ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، ولو كان أقل منه، ولا يستحيى من السؤال[٣].

٧- رعاية طلابه، والتعرف على أحوالهم، وبذل ما فى استطاعته من الخير لهم، ومساعدتهم متى احتاج أحدهم إلى مساعدة.

٨- ألا يذل العلم، فلا يذهب إلى مكان لا يتناسب وقدر العلم والعلماء، ولا يجالس أهل السوء، ولايلبس الرث من الثياب، بل عليه أن يتزين ويحسن الصحبة، ويحسن اختيار المكان، فهذه كلها من علامات المروءة، وعكسها من خوارم المروءة[٤].

---

(١) سنن ابن ماجة- باب البراءة من الكبر والتواضع- حديث رقم ٤١٧٦

(٢) سبق تخريجه

(٣) أصول المنهج الإسلامى ص٣٨٦. العلم والعلماء: أبوبكر الجزائرى، ص١٠٧

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص١٥ وما بعدها

آداب المتعلم:

آداب المتعلم فى نفسه كـآداب العالم، وعلى طالب العلم أن يعلم أن عليه آداباً جمة يجب أن يلتزم بها، ولا يتخلى عنها بحال، وهذه الآداب يمكن إجمالها فيما يلى:

١- أن يريد بطلبه العلم معرفة الله تعالى، وأن يحفظ لأمة الإسلام العلم الذى هو قوام حياتها، وأن يعلمه غيره[١].

ولا يطلب العلم لتحصيل مال أو شهرة أو منصب، فإن هذا يتنافى مع فضل العلم ومقامه، يقول رسول الله ﷺ: « **من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف(ريح) الجنة يوم القيامة**»[٢]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من طلب العلم ليمارى به السفهاء، أو ليباهى به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو فى النار**» [٣].

٢- أن يطيع الله فلا يعصيه، لأن المعاصى تذهب بالعلم، وطاعة الله بأن يؤدى فرائضه، ويتجنب نواهيه.

٣- على طالب العلم أن يواظب على العلم، وأن يبكر بالخروج فى طلبه، فيكون على أتم استعداد له [٤].

٤- أن يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يتخطى رقاب الناس، ولا يجلس وسط الحلقة، ولا يفصل بين صاحبين إلا برضاهما.

٥- أن يجلس بأدب وتواضع جلوس المتعلمين، ولا يرفع صوته.

٦- أن يتحلى بالزهد والورع والتقوى، وأن يكون ذا سكينة ووقار، وأن يكون صابراً صادقاً حليماً، نظيف الثياب، طاهر الظاهر والباطن[٥].

(١) آداب طالب العلم: ابن رسلان، ص٨٩

(٢) سنن أبى داود-حديث رقم ٣٦٦٤. سنن ابن ماجة حديث رقم ٢٥٢.

(٣) سنن ابن ماجة-باب الانتفاع بالعلم والعمل به- حديث رقم٢٥٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٥.

(٥) العلم والعلماء ص ٣٣.

٧- أن يتحرى رضا المعلم، ولا يغتاب عنده أحداً، ولا يفشى له سراً، وأن يرد غيبته إذا سمعها، فإن لم يستطع فارق المجلس.

٨- وينبغى لطالب العلم ألا يدخل على المعلم إلا بإذنه، وأن يدخل وهو كامل الهيبة، فارغ القلب من الشواغل، وأن يسلم على الحضور كلهم بصوت يسمعه الجميع(١).

٩- أن يتجنب الحسد والرياء والكبر، لأن طالب العلم إذا تلبس بهذه النقائص ذهب منه نور العلم، وهبط إلى مستوى الجاهلين، وبذلك يخسر دنياه وأخراه(٢).

١٠- أن يأخذ العلم شيئاً فشيئاً حتى لا يمل، وأن يطلب من العلم آكده وأوجبه، وأحسنه نفعاً، وأقربه طريقاً إلى رضا ربه(٣).

١١-عليه أن يسأل معلمه فيما لايعلم، فلا حياء فى هذا، إذ الحياء مانع من اكتساب العلم، ثبت عن عائشة- رضى الله عنها- أنها قالت: « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»(٤).

١٢- لا يجادل العلماء بما لا يفيد، فقد رُوى عن لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه بقوله: **«لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك فى العلم، ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم، واقتبس من علمهم فى رفق»**(٥).

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادى، ص٤٤

(٣) المرجع السابق.

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى- كتاب العلم ١/٢٢٨

(٥) العلم والعلماء: أبو بكر الجزائرى، ص٣٣

الفصل السابع

البناء الاجتماعى فى الإسلام وعلاقة المسلمين بغيرهم

تمهيد:

الشريعة الإسلامية هدفها تحقيق بناء مجتمع مثالى صالح، يخدم الأمة فى ضوء الكتاب والسنة.

وهذا المجتمع يوجد فيه المسلمون وغيرالمسلمين، وقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولةلإسلامية، وعلاقاتهم بغيرهم من الدول الأخرى، وما هى الدوافع التى أدت إلى الحرب والقتال، وأخلاق القتال فى الإسلام، ثم الوفاء بالعهود والمواثيق، والتسامح بين المسلمين وغيرهم.

هذا ما سنتحدث عنه فى هذا الفصل.

المبحث الأول

البناء الاجتماعى فى الإسلام

المجتمع عبارة عن: تجمع بشرى نشأ تلقائيًا، ويتميز بالاستقرار والاستمرار مع ضرورة وجود سلطة حاكمة[1].

وعلى هذا فإن أهم خصائص المجتمع هو وجود الأفراد فى مكان جغرافى مستقل لفترة زمنية طويلة تسمح بقيام علاقات اجتماعية بينهم تتبلور فى شكل تنظيم اجتماعى يحكمه نظام متعارف عليه وسلطة اجتماعية متفق عليها. فإذا تحقق ذلك تم البناء الاجتماعى لهؤلاء الأفراد.

والمجتمع المسلم شأنه فى ذلك شأن سائر المجتمعات التى تربطها وحدة المكان، ووحدة الهدف، وقبل كل هذا وحدة الدين.

وبناء المجتمع الإسلامى المثالى يتحقق من توافر الأسس الثابتة له، ومن خلال عدة عناصر تضمن له الوحدة والقوة، والاستمرار، والإسهام فى البناء الحضارى السليم للإنسانية كلها.

(١) المعجم الوسيط: مادة (جمع). أسس علم الاجتماع: محمود عودة، ص٧١

أسس البناء الاجتماعى فى الإسلام:

يعتمد المجتمع المسلم لتحقيق بنائه الاجتماعى على مجموعة من الأسس والثوابت تتمثل فى التالى[١]:

١- وحدة العقيدة الصحيحة: التى تؤدى إلى طاعة الله وإلى واقع إنسانى أسمى وأعظم، ولن يحافظ المجتمع المسلم على التشريع إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل، وإمكانيات عملية تؤيده من الخارج.

٢- تحقيق العبادة على أتم وجه: وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فعندما يؤدى أفراد المجتمع العبادة التى أمرهم الله بها فإن لحمة التعاضد والتماسك تتحقق فى جميع أمور الحياة.

فعندما يصلى المسلم ما فُرض عليه يجد روحًا مشرقة، ونفسًا مطهرة، وقلبًا مطمئنا، وهو بالتالى يؤثر بالإيجاب على المجتمع كله.

وعندما يؤدى فريضة الزكاة فإنه يطهر نفسه من رذيلة الأثرة والأنانية والشح والبخل، ويشعر بالرضا والقناعة، وفى إخراجها أيضًا تحقيق لمعنى التكافل الاجتماعى والتعاون على الخير، وهذا يؤثر بالإيجاب على المجتمع كله[٢].

وكذلك الحال بالنسبة للصيام والحج[٣].

٣- الأخلاق الكريمة: فهى من أهم الأسس لبناء المجتمع المسلم المثالى لأنها من عند الله تعالى، ولأنها تؤثر فى سلوك الفرد والمجتمع معًا، فهى تؤثر فى الفرد لما تزرعه فى نفس صاحبها من الرحمة والعدل والصدق والبر والعفة والتعاون... إلخ[٤].

---

(١) فى ظلال القرآن: سيد قطب، ص٩٨٧.

(٢) المرجع السابق، وانظر: فقه الزكاة للقرضاوى، ص٢٨.

(٣) أصول المنهج الإسلامى ص٧٦.

(٤) القيم الخلقية فى الإسلام ص١٢.

وهى تؤثر فى المجتمع كله، فهى تسهم فى بناء مجتمع واحد بعيدًا عن التمزق، مجتمع تسوده روح المحبة والألفة، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول ﷺ: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(١).

٤- التعارف والتآخى: فالأخوة فى الإسلام لها وضع خاص ومميز، حيث فاقت أخوة النسب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، أخوة تجمعها وحدة العقيدة، أخوة فى السراء والضراء، فمتى اجتمعت أخوة الإسلام بين شخصين يكونان كالشخص الواحد فى تعاونهما، وللإخاء بين المسلمين صور كثيرة لا يتسع المجال لذكرها -هنا- ولكن هذا الأساس من أهم الأسس فى بناء المجتمع المسلم المثالى(٢).

٥- التكافل الاجتماعى: ويقصد به أن يكون أفراد الشعب فى كفالة الجماعة، والعكس.

فى التكافل نجد المحافظة على بناء المجتمع وإقامته على أسس سليمة، وهو ما يعبر عنه الحديث الشريف: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»(٣).

والهدف والمغزى للتكافل الاجتماعى أن يحس كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يتعين عليه أداؤها، وأن يحس أولو الأمر أن للأفراد حقوقًا يتوجب عليهم إعطاؤها(٤).

إن للتكافل الاجتماعى مظاهر متعددة فى الإسلام تؤدى إلى بناء مجتمع مسلم مثالى، ومن أهمها:

---

(١) صحيح مسلم- كتاب البر والصلة- باب فضل إزالة الأذى من الطريق ٤/ ٢٠٢١.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت، ص٤٤٣.

(٣) الحديث متفق عليه.

(٤) العدالة الاجتماعية: سيد قطب، ص٦٢. فى المجتمع الإسلامى: الشيخ أبو زهرة، ص٤٠.

- هناك تكافل في البناء العام للمجتمع: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

- وهناك تكافل الترابط بين أفراد المجتمع: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وهناك تكافل في تسوية الخلافات: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

- وهناك تكافل في الدعوة إلى الإصلاح والنهي عن الإفساد: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

- وهناك تكافل بين الفرد والجماعة، فلكل منهما حقوق وعليه واجبات: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أهم أسس النظام الاجتماعي في الإسلام العمل على إيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والصلاح، تأمر فيه الجماعة بالمعروف وتنهى عن المنكر لحماية المصالح المعتبرة في الشريعة، وأول مظهر لهذا المجتمع هو وجود رأي عام يتعاون على الخير ويدفع الشر، وهو لا يتكون إلا من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فالإسلام يعتبر المجتمع مسئولا عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها، ولا يعتبر ذلك تدخلا في الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يقضيان على بنيان المجتمع من أساسه، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا بديعًا للنظام الأخلاقي والاجتماعي في الأمة فقال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع**

(١) إحياء علوم الدين: الإمام الغزالي، ٢/ ٣٢٠.

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم (أى منعوهم من خرق السفينة) نجوا ونجوا جميعًا»[1].

ولهذا يقول النبى ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

عناصر بناء المجتمع المسلم:

من خلال الأسس التى تكون البناء الاجتماعى فى المجتمع المسلم -والتى تحدثنا عنها منذ قليل- نجد أن هذا المجتمع يقوم على عناصر ثابتة لا تتغير، وهى:

١- تكوين شخصية الفرد فى المجتمع: ويكون ذلك فى رحاب الشريعة وتعاليمها، فيعيش فردًا سويًا، نافعًا لنفسه ولمجتمعه على السواء.

٢- قيام المجتمع على جملة من المبادئ والغايات والروابط الأخلاقية المنبثقة من تعاليم الإسلام.

٣- تحقيق التوازن بين الفرد والجماعة على أساس من حقائق المنهج الإسلامى الذى لا يقيم وزنًا للعصبيات العنصرية، أو الفروق اللونية، أو الامتيازات الطبقية.

٤- أن تكون تعاليم الإسلام وتشريعاته هى الأساس فى كل مجالات المجتمع: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية.

المبحث الثانى

علاقة المسلمين بغيرهم

يرتبط الإنسان بغيره من أفراد الوطن الواحد بكثير من الروابط الاجتماعية، حيث إن الإنسان مدنى بطبعه وفطرته.

(١)، (٢) حديث صحيح.

ولقد أقام الإسلام هذه العلاقات على أساس من العدالة والمودة التى أوجدها بين المخلوقات، فأوجب البر والتعاون على الخير بناء على التعددية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

لهذا فإن أول دستور وضعه النبى ﷺ فى المدينة والذى يسمى بـ(الصحيفة) أو (الوثيقة)، والذى تضمن تحديد العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون فى المدينة وهم اليهود والذى جاء فيه[1]:

- «أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».
- «أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من دهم يثرب -أى المدينة-».
- «أن لليهود فى أموالهم وأنفسهم ما للمؤمنين مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة».

لهذا كانت القاعدة فى التعامل بين المسلمين وغيرهم من رعايا الدولة الإسلامية هى: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

لقد وضع الإسلام تنظيمًا دقيقًا فى معاملته مع الناس جميعًا، ومنهم غير المسلمين[2].

وفى هذا المبحث سنتحدث عن موقف الإسلام من الأديان الأخرى، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين فى الدولة الإسلامية، وعلاقتهم بالدولة المحاربة، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتسامح مع غير المسلمين، وسيكون الحديث عن ذلك فى عدة مطالب.

(١) أحكام أهل الذمة: لابن القيم ص٤٨. بدائع الصنائع ٧/ ١٠٠ رسالة القتال: لابن تيمية ص١١٨.

(٢) منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية: مجاهد محمد هريدى، ص٢٢٦. معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان ص٢٢٩ وما بعدها.

المطلب الأول

موقف الإسلام من الأديان الأخرى

للإسلام موقف واضح وصريح من الأديان والملل والنحل والفرق الموجودة على هذا الكون.

أولا: موقف الإسلام من الأديان والشرائع السماوية:

يقف الإسلام من الأديان الصحيحة والشرائع السماوية الصادقة موقف التصديق بها.

فالإسلام يؤمن برسالات كل الرسل السابقين، والتصديق بما جاءوا به، وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم، وقاموا به، وأدوا الرسالة، والهدف من ذلك: عبادة إله واحد لا شريك له[1]، يدل لذلك ما ورد على لسان الرسل في القرآن الكريم:

- يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]

- ويقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

- ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وغير ذلك من آيات وردت في كتاب الله على لسان الرسل وكلها تدعو إلى عبادة الله وحده.

وإذا ما دخل هذه الأديان تحريف أو تغيير -كما هو الحال في التوراة والإنجيل- فإن الإسلام يقف منها موقفًا حازمًا لتقويمه ودحض مفترياته[2].

---

(١) أصول المنهج الإسلامي ص٣٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٦٠. تاريخ ابن عساكر ١/ ١٤٠. السيرة النبوية ٣/ ٦٥.

ثانيا: موقف الإسلام من النحل الفاسدة والشرائع الباطلة:

يسارع الإسلام إلى إقامة الحجة والبرهان على النحل والشرائع الباطلة كالتى تعبد النار أو المخلوقات[1].

ثالثا: موقف الإسلام من الفرق الضالة:

من الفرق الضالة فى هذا العصر (البهرة) و (البهائية) و (القاديانية) و (البابية) وغيرها، وكلها معاول هدم مدمرة للإسلام وأهله، ولذلك يجب على المسلم أن يفشى أخبارها، ويحذر من ضلالها، فإن هذا من أعظم الجهاد فى هذا العصر[2].

الحرية الدينية لأصحاب الأديان الأخرى:

جاء الإسلام ليضمن الحرية للإنسان، لأن الحرية دعامة لجميع ما سنه الإسلام من عقائد، ولأنها أساس أى مجتمع إنسانى سليم.

إن الحرية الدينية لأصحاب الديانات الأخرى كفلها الإسلام فى عدة أمور:

١- عدم إكراه أحد على ترك دينه: فلم يحدث فى تاريخ الإسلام أن أكره أحد على ترك دينه واتباع الإسلام، فالمبدأ واضح: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٢- ترك الحرية لأصحاب هذه الديانات من اليهود والنصارى ليمارسوا شعائرهم وعباداتهم فى المجتمع الإسلامى، فلا تهدم لهم كنيسة، ولا يكسر لهم صليب[3].

لقد دخلت جيوش المسلمين معظم الأقطار بعد سنوات قليلة من ظهور الإسلام، وكان بإمكان هذه الجيوش أن تهدم الكنائس والصوامع، وتمنع الناس من العبادة فيها، إلا أن المسلمين لم يفكروا أبدًا فى أن يفعلوا ذلك، لأن الإسلام

(١) أصول المنهج الإسلامى ص٤٣٨.

(٢) أصول المنهج الإسلامى ص٤٤٠.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية: عبد الكريم عثمان، ص٥٩، ٦٠.

يمنعهم من ذلك ويأمرهم بترك الحرية للناس فى أديانهم وعباداتهم، بينما يعرف تاريخ الحكومات الأخرى أمثلة كثيرة مُنع فيها المسلمون من ممارسة شعائرهم، فلقد هدمت المساجد فى الأندلس وحولت إلى كنائس، ومنع المسلمون فى بلاد كثيرة من الجهر بإسلامهم(١).

٣- ترك الحرية لهم فيما أباحت لهم أديانهم من الطعام وغيره: فقد بلغ الإسلام الذروة فى هذا المجال، حيث منع أن يقتل لهم خنزير لأنهم يأكلونه مع أن الإسلام يحرمه، ومنع أن تراق لهم خمر لأنهم يشربونها مع أن الإسلام يحرمها(٢).

٤- إعطاؤهم الحرية فى القضايا المتعلقة بنظام الأسرة من زواج وطلاق ونفقة وغيرها: فقد ترك الإسلام لأهل الأديان الأخرى أن يمارسوا ما يسمى بنظام الأسرة من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والمواريث دون أن يتعرض لهم فى ذلك، أو يجبرهم على اتباع شريعة المسلمين فيها.

٥- صيانة حقوقهم، وحماية كرامتهم، وترك حرية الجدل والمناقشة لهم ضمن حدود العقل والمنطق والأدب وعدم الخروج على النظام، بل لقد أمر المسلمين أن يبتعدوا عن العنف والخشونة فى مناقشتهم لهم، يتبين لنا ذلك فى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والإسلام بهذه المعاملة لأصحاب الديانات الأخرى يضرب أروع الأمثال فى السماحة والنبل، والعيش مع الآخرين. فهل وجدت دينًا يتخذ هذه المواقف مع الأديان الأخرى كما فعل الإسلام؟!!

(١) المرجع السابق ص٦١.

(٢) المرجع السابق ص٦١.

المطلب الثاني

علاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولة الإسلامية

ذكرنا فى المطلب السابق كيف كان موقف الإسلام من الأديان الأخرى، وكيف ضرب الإسلام أروع الأمثال فى السماحة والمودة مع أهل هذه الأديان، وبالطبع فهناك من غير المسلمين من يعيشون فى الديار الإسلامية، وهم من يعبر عنهم «بالأقليات» وأكثرهم من أهل الكتاب «اليهود والنصارى» ويمكن حصرهم فى طائفتين:

١- الذميون. ٢- المستأمنون.

الطائفة الأولى: الذميون وحقوقهم:

أهل الذمة: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يقيمون فى الدولة الإسلامية إقامة دائمة بموجب عقد الذمة.

وقد كان وضع أهل الذمة فى الدولة الإسلامية مجالاً لبحوث كثيرة وافتراءات ودس على الإسلام والمسلمين، وأكثر ما تنصب افتراءاتهم على واجب دفع الجزية الذى يرتبه عقد الذمة على الذمى، متناسين تلك الحقوق التى منحها الإسلام للذميين الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية[1].

وسنحاول- هنا- الحديث عن هذه الحقوق، ثم نتحدث عن السبب الذى بمقتضاه أوجب الإسلام على الذمى دفع الجزية.

أ- حقوق أهل الذمة:

لأهل الذمة داخل الدولة الإسلامية التى يعيشون فيها حقوق كثيرة، يمكن حصرها فى: حقوق عامة، وحقوق خاصة.

أولاً: الحقوق العامة:

كفل الإسلام لأهل الذمة حقوقاً عامة تتمثل فيما يلى:

(١) معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص٢٢٩.

١- الانتساب إلى الدولة: فهو موطن شأنه فى ذلك شأن المسلم، وهذا ما اتفق عليه العلماء، يقول البلاذرى: «والذمى من أهل دار الإسلام»(١).

ويقول السرخسى: «... لأن المسلمين حين أعطوهم الذمة فقد التزموا دفع الظلم عنهم، وهم صاروا من أهل دار الإسلام»(٢).

فأهل الذمة مرتبطون بالدولة الإسلامية بما يسمى رابطة الجنسية.

٢- حق تولى الوظائف العامة: فقد أعطى الإسلام الحق للذميين فى تولى الوظائف العامة، وتحمل أعباء الدولة، فقد استعان عمر- رضى الله عنه- ببعض أهل الذمة فى أعمال كتابية(٣)، وقد عهد الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك إلى نصرانى ببناء مسجد الجماعة فى بلدة الرملة بفلسطين(٤).

وتوسعت الدولة الإسلامية فى إسناد الوظائف العامة والهامة إلى الذميين، وقد أجاز الفقهاء تولى الذميين الكثير من الوظائف القيادية كالوزارات التنفيذية، وغيرها من الوظائف الهامة(٥).

٣- حق الانتخاب والترشيح: فلهم الحق فى الانتخاب والترشيح لبعض الوظائف النيابية، والوظائف القيادية، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين.

٤- حق التعليم: فلأهل الذمة الحق فى التعلم والتعليم فى جميع الفنون والعلوم، ولهم حق تعليم معتقداتهم بإنشاء المدارس الخاصة بهم، والدليل على ذلك: «أن المسلمين بعد فتح خيبر وانتصارهم على اليهود، جمعوا الغنائم، وكان فيها نسخ من التوراة، فأمر رسول الله ﷺ بردها إلى اليهود»(٦).

---

(١) فتوح البلدان: للبلاذرى ص١٣٦

(٢) شرح السير الكبير: السرخسى ١/ ٢٧٢.

(٣) صحيح البخارى ٣/ ٤٨

(٤) تاريخ البلاذرى ص ١٩٣.

(٥) الإسلام انطلاق لاجمود: مصطفى صادق الرافعى، ص ١٦

(٦) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال: المقريزى ص ٣٢٢

ويشترط فى هذه الحرية عدم الضرر بتعاليم الإسلام، فيُمنعون من الدعوة إلى حمل المسلمين على ترك دينهم، كما يمُنعون من نشر عقيدتهم داخل الدولة الإسلامية بحجة حرية التعليم.

٥- الحماية من الاعتداءات الخارجية: فيجب حماية أهل الذمة من كل عدوان خارجى، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين، وعلى الحاكم بما له من سلطة عسكرية أن يوفر لهم هذه الحماية. جاء فى «مطالب أولى النهى»: «يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم، وفك أسرهم»(١).

٦- حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم: فهذه الحماية مقررة لأهل الذمة، فدماؤهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة باتفاق المسلمين.

فقتلهم حرام بالإجماع، يقول رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً**» (٢).

والاعتداء على أموالهم حرام بالإجماع: يدل على ذلك ما جاء فى عهد النبى ﷺ لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبى رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»(٣).

والاعتداء على أعراضهم حرام: فلا يجوز سب الذمى أو اتهامه بالباطل أو التشنيع عليه، أو ذكره بما يكره فى نفسه أو نسبه، يقول ابن عابدين: «يجب كف الأذى عن الذمى، وتحرم غيبته كالمسلم»(٤).

٧- كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه عند العجز أو الشيخوخة أو الفقر، لأنهم رعية للدولة، وهى مسئولة عن كل رعاياها (٥).

وهكذا.. فإن الإسلام حقق للذميين حقوقاً عامة داخل الدولة الإسلامية لم تعطها القوانين الوضعية للدول الغربية للأقليات المسلمة التى تعيش فى ديارها.

---

(١) مطالب أولى النهى ٢/ ٦٠٣.

(٢) صحيح البخارى- كتاب الجزية والموادعة- باب: إثم من قتل معاهداً- حديث رقم ٣١٦٦.

(٣) الخراج: لأبى يوسف، ص١٤٢.

(٤) حاشية ابن عابدين ٤/ ١٧١.

(٥) الفروق: للقرافى ٣/ ١٥

ثانياً: الحقوق الخاصة بأهل الذمة:

يقصد بالحقوق الخاصة بأهل الذمة: تلك الحقوق التى تتعلق بأمور نظام الأسرة: من زواج، وطلاق، وغيرها من الحقوق الأسرية الخاصة بهم، وكذلك الحقوق الخاصة المتعلقة بعقيدتهم.

فاللذمى الحق فى الزواج وفق شريعته، وعلاقته بزوجته حسب شريعته، من منع التعدد، أو منع الطلاق، فلا يجبره الإسلام على مخالفة عقيدته فى ذلك.

وللذمى الحق فى أداء شعائر دينه داخل الكنيسة دون أن يمنع من ذلك، ولا يجوز هدم كنيسته أوتكسير صليبه(١)

ب- حقيقة الجزية وسبب أخذها من أهل الذمة:

الجزية: هى المال الموضوع على رقاب من دخل فى ذمة المسلمين من أهل الكتاب(٢).

وبالرغم من الحقوق التى أعطاها الإسلام لأهل الذمة إلا أن أعداء الإسلام من المستشرقين اتهم الإسلام بأنه وضع الجزية على غير المسلمين إذلالاً لهم، وأنه أخذ منهم أموالهم بغير حق، واتهموا الإسلام فى هذا المجال بالتمييز والعنصرية.

ونرد على ذلك ونقول: إن التاريخ لم يحفظ لأمة مثل ما حفظ للمسلمين فى معاملة غير المسلمين من اليهود والنصارى.

وإذا كان الإسلام قد قرر أخذ الجزية منهم بنصوص القرآن فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ومن الأحاديث: فقد روى أنس- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد- رضى الله عنه-

(١) المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد العيادى، ص٤٣٠. الرحيق المختوم: المباركفورى، ص٢٧٩.

(٢) الأحكام السلطانية: للماوردى، ص١٤٤. فتح القدير: للكمال، ٤/ ٣٦٩

«إلى أكيدر دومة، فأخذَ، فأتوه به، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية»[1]. فهناك أسباب فى أخذ الجزية منهم تتمثل فى الآتى: [2].

١- أنهم يدفعون الجزية لكى يتحملوا من الأعباء مثل ما يتحمل المسلم الذى يخرج الزكاة والصدقة والعشور وغير ذلك، والتى تحقق المصلحة العامة لجميع أفراد الدولة، والتى ينتفع بها الأفراد جميعا مثل: إنشاء المستشفيات، والمدارس، وتعبيد الطرق، والكهرباء... وغير ذلك.

٢- أنهم يدفعون الجزية فى مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، فهم لا يحملون السلاح، فإذا اشتركوا فى حمل السلاح والدفاع عن الوطن سقطت عنهم الجزية.

٣- أن الإسلام أعفى غير القادرين كالصغار وكبار السن منها، فهى لاتؤخذ إلا من الذكر البالغ العاقل الصحيح من الأمراض، الغنى فلا تؤخذ من فقير.

الطائفة الثانية: المستأمنون وحقوقهم:

المستأمن: هو الشخص الذى يدخل الدولة الإسلامية لمدة محددة، وليس فى نيته الإقامة الدائمة[3].

والمستأمنون هم من يسمون الآن « الأجانب» فى الدولة الإسلامية، يدخلونها للتجارة أو العمل أو السياحة، فهؤلاء لهم أمان مؤقت.

وقد قامت الأدلة على جواز الأمان لهم من الكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

وفى الآية الكريمة أمر بإجارة المشرك وإبلاغه مأمنه، والجوار هو ترك قتله وقتاله ومعاملته بالحسنى مدة الأمان، وإذا كان هذا جائزاً للكفار فمن باب أولى لمن يدخل الدولة بقصد العمل أو السياحة أو التعليم، فلا يجوز التعرض له بمقتضى هذا العقد.

(١) سنن أبى داود-حديث رقم ٣٠٣٧

(٢) أحكام أهل الذمة: ابن القيم، ص ٦٩١.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية: ص٢٣٢.

ومن السنة: ما رُوى عن على- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً**»(١).

ومن الإجماع: أجمع المسلمون على جواز الأمان (٢).

وللمستأمن حقوق فى الدولة التى دخلها بعقد الأمان، ومن هذه الحقوق(٣):

١- حق الإقامة والتنقل فى الدولة إلا فيما يتعلق بالحرمين الشريفين وعليه تقديم ما يثبت هويته إلى الجهة التى ينتقل إليها حماية له، وليكون تحت مراقبة الدولة وإشرافها.

٢- حق الخروج من الدولة فى أى وقت، ما لم يخل بشرط الاتفاق الذى منح على أساسه حق الدخول والأمان فى الدولة الإسلامية.

٣- الحق فى العمل وممارسة التجارة، وقد قال الفقهاء «إن المستأمن فى دارنا لا يمنع من أن يتجر فى دار الإسلام فى أى نواحيها شاء» ويقصد بذلك الأماكن التى حددتها له الدولة بناء على التأشيرة التى أعطيت له.

٤- حق التمتع والانتفاع بمرافق الدولة من: مستشفيات، ومياه شرب، وكهرباء، ومواصلات.. ونحوها.

٥- التمتع بحرية العقيدة، وممارسة شعائره الدينية فى مكان إقامته، ولايجبر على فعل شىء لا يتفق مع عقيدته.

٦- للمستأمن حق تملك المنقول كالسيارات والملابس والمعدات الصناعية وغيرها، وصيانة هذه الممتلكات والمحافظة عليها.

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٨/ ١٠. صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/ ١٥٠.

(٢) الإجماع: لابن المنذر، ص٢٧.

(٣) انظر هذه الحقوق فى: الدين والدولة: محمدالبهى، ص٣٨٢. أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام: عبد الكريم زيدان، ص٨٦. لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص ٢٧٠ وما بعدها.

المطلب الثالث

علاقة الدولة الإسلامية بالدول المحاربة

الدول المحاربة: هى تلك الدول التى تقرر الاعتداء على الدولة الإسلامية، أو تقاتلها بالفعل لأجل القضاء على دينها، والاستيلاء على أرضها وثرواتها وخيراتها.

وقد قرر الإسلام قتال الذين يقاتلون المسلمين، أى يبدأونهم بالقتال، على أن يكون قتالهم فى سبيل الله، وهذا هو الجهاد الذى فرضه الله تعالى على المسلمين(١).

وإذا كان القتال معروفًا منذ بدء الخليقة، لكونه غريزة أصيلة فى الإنسان كما قرر علماء النفس، إلا أن للإسلام فضلاً فى هذا المجال لا ينكره إلا جاهل به أو حاقد عليه، يتمثل فى تهذيب غريزة القتال فى نفس المسلم، وتنظيم طرائق استخدامه عند الضرورة، وتحديد بواعثه وأهدافه، وتشريع أحكامه وآدابه، بما يحفظ للبشرية كرامتها وحريتها وأمنها(٢).

إن القتال شرع فى الإسلام اضطرارًا، فالأصل فى الإسلام حب السلام والوئام(٣).

أما كون القتال شُرع اضطرارًا، فهذا ثابت فى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وأما أن الأصل فى الإسلام حب السلام والوئام، فهذا ثابت فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقوله تعالى:

---

(١) منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية: مجاهد محمد هريد، ص٢٥٦.

(٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص٢٦٧ وما بعدها.

(٣) المرجعان السابقان.

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. بل إن الله تعالى هو السلام، واسم الإسلام نفسه هو السلام، وتحية المسلمين هى السلام.

وسنحاول -فيما يلى- الحديث عن القتال الذى هو الجهاد، ومبرراته، وأخلاق الحرب فى الإسلام.

أولاً: الجهاد:

تعريفه: فى اللغة: هو المبالغة واستفراغ الوسع فى الحرب أو اللسان، أو ما أطاق من شىء(١).

وفى الشرع: هو بذل الجهد فى قتل الكفار(٢).

وقد يطلق الجهاد فى لسان الشرع ويراد به:

- مجاهدة النفس: وذلك يتعلم أمور الدين، والعمل بها، وتعليمها.
- ومجاهدة الشيطان: وذلك بدفع ما يورده من الشبهات، وما يزينه من الشهوات.
- ومجاهدة الفساق: ويكون باليد وباللسان وبالقلب.
- وأما مجاهدة الأعداء (الكفار) فتكون باليد - وهو القتال - وهو المعنى الاصطلاحى الذى ذكرنا، وتكون بالمال والنفس واللسان والقلب.

والجهاد من أفضل الأعمال فى الإسلام، ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وكيف لا وهو بذل النفس -وهى أعز محبوب- فى سبيل إعلاء كلمة الله. وقد تضافرت النصوص الدالة على بيان فضل الجهاد، واستقصاؤها لايتسع له المجال هنا - ولكن حسبنا الإشارة إلى بعضها.

فمن فضله فى القرآن: آيات كثيرة، منها:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾

(١) لسان العرب: مادة (جهد).

(٢) فتح القدير: ابن الهمام ٤/ ٢٧٨. المغنى ٨/ ٣٤٤. مغنى المحتاج ٤/ ٢٠٦.

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

وعن فضله في السنة: فأحاديث كثيرة، منها:

١- ما روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(١).

٢- ما روى عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**»(٢).

(١) صحيح البخاري: كتاب الحج -باب: فضل الحج المبرور- حديث رقم ١٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحج -باب: درجات المجاهدين في سبيل الله- حديث رقم ٢٦٣٩.

٣- ما روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(١).

حكم الجهاد: الجهاد فى الأصل من فروض الكفاية، بحيث إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به من يكفى لزم الإثم الجميع(٢).

لا يتعين الجهاد -أى لا يكون فرض عين على جميع الناس- إلا فى أربعة أحوال(٣):

١- إذا لم تحصل الكفاية بالبعض فيجب على الكل عينًا.

٢- إذا التقى الزحفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه البقاء للقتال لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ [الأنفال: ١٥].

٣- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم.

٤- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم القتال، وكان عليهم فرض عين، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [التوبة: ٣٨].

ثانيًا: مبررات القتال والحرب فى الإسلام:

إذا كان الإسلام شرع الجهاد والحرب ضد الأعداء (الكفار) فإنه فى نفس الوقت نهى عن البدء بالعدوان عليهم، يقول تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**

(١) صحيح البخارى: كتاب الجهاد والسير -باب: درجات المجاهدين فى سبيل الله- حديث رقم ٢٦٣٧.

(٢) بداية المجتهد: ابن رشد ١/ ٥٢٠، فتح القدير: ابن الهمام ٤/ ٢٧٨. مغنى المحتاج ٤/ ٢٠٩، المغنى ٨/ ٣٤٦.

(٣) العناية على الهداية: للبابرتى ٤/ ٢٧٩.

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ويقول تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

إن الحرب والقتال فى الإسلام لم يكن لأجل التعطش للدماء، أو رغبة فى الاعتداء على الوجه الذى عرفناه فى الإمبراطوريات طوال التاريخ، حيث الرغبة احتلال أراضى الأخرين والطمع فى خيراتها ومنافعها الدنيوية ومكاسبها المادية(١). وإنما كان لمبررات أملتها عليه الظروف والأحوال، وعلى هذا يمكننا إجمال مبررات القتال فى الإسلام فى الأمور التالية:

١- رد الاعتداء: وهو من أول المبررات للقتال فى الإسلام، حيث دفع الاعتداء ورده بالقوة، سواء كان هذا الاعتداء واقعًا على الدين أم واقعًا على النفس والأهل والمال والوطن(٢).

فأما الاعتداء على الدين: فيتمثل فى فتنة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، أو الوقوف فى وجه الدعوه الإسلامية ومنعها والصد عنها، وهذا النوع من الاعتداء هو مبتغى غير المسلمين فى كل وقت، فقد تفننوا فى هذا النوع، وعلى هذا فإنه يجب على المسلمين قتالهم(٣).

وأما الاعتداء على النفس والمال والأهل والوطن فيجب رده بسيف القوة،وقوة السيف(٤).

فالأمر بالقتال هنا كان لرد الاعتداء الواقع من الكفار سواء كان على الدين أم على النفس والأهل والوطن، يدل لذلك أن أول آية نزلت لتشريع القتال والإذن به كانت عن دفع هذا الظلم، يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٢/ ٢١٥.

(٢) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى: د. وهبة الزحيلى، ص٨٤.

(٣) الجهاد: محمد هاشم، ص٢٥٤.

(٤) المراجع السابقة .

[الحج: ٣٩، ٤٠]. ويقول ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»(١).

٢- إنقاذ الضعفاء: وهذا مبرر هام لقتال الأعداء الجبارين المستكبرين فى الأرض بغير حق، الذين يستخفون بحرمات الضعفاء، ويسومونهم سوء العذاب، ويهددون إنسانيتهم(٢).

وعلى المسلمين فى مثل هذه الحالة أن يهبوا لتحرير هؤلاء المستضعفين وإنقاذهم سواء كانوا من الرجال أو النساء أو الولدان، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]. فقد جعل القرآن الكريم القتال فى سبيل المستضعفين قرين القتال فى سبيل الله(٣).

إن رفع الظلم والأذى عن الناس مطلوب من المسلم إذا كان قادرًا عليه، بل المسلم مطالب برفع الظلم والأذى عن الحيوان الأعجم إذا قدر عليه.

٣- منع الفتنة: إذا أراد غير المسلمين فتنة المسلمين فى دينهم، ومنعهم من نشر كلمة الله، والدعوة إلى الإسلام فى بلاد المسلمين أو بلاد هؤلاء الأعداء بالحجة والبرهان، فهم فى ذلك يحادون الله ورسوله، ويصدون الناس عن دين الله، وبذلك يجب قتالهم(٤).

إن الفتنة فى الدين أشد خطرًا على المسلم، ولهذا وردت النصوص الصريحة لمنع الفتنة فى الدين، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٩٣]. ويقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده، وانظر: نيل الأوطار ٥/ ٣٢٧.

(٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٧٠.

(٣) تفسير المنار: ٢/ ٢١٥.

(٤) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ص٨٥.

فقد حددت الآيتان غاية القتال بأنها: منع الفتنة، أى فتنة المسلمين فى دينهم.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى بقوله: «إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين»[1] ويقول الشيخ محمد أبو زهرة فى هذا الصدد: «إن الدعوة إلى الإسلام نور لا يحجب، وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعونه أن يصل إلى رعاياهم، فكان لابد من القتال لإزالة الحجزات التى تمنع النور أن يصل ولا تمنع الاضطهاد أن يقع حتى لا تكون فتنة فى الدين»[2].

٤- الخيانة للعهود والمواثيق: من مبررات القتال والحرب فى الإسلام، خيانة العهود والمواثيق التى عُقدت مع المسلمين.

إن بعض الناس يحافظون على العهود والاتفاقات ما دامت فى مصالحهم، فإذا رأوا أنها لم تعد تخدمهم، وكان بهم قوة نكثوها، وداسوها بأقدامهم[3].

وهذا النوع من البشر لا يجوز أن يترك ليعيث فى الأرض فسادًا، دون أن يسأله أحد، من أجل هذا شرع الإسلام مقاتلتهم تأديبًا لهم، وعقابًا على ما اقترفت أيديهم من نقضهم للمواثيق والعهود والاتفاقيات، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢، ١٣].

لقد ابتلى الإسلام بأصناف من هؤلاء الناقضين للعهود، الخائنين للأمانات، بعضهم من اليهود الذين عقدت معهم المعاهدات من زمن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وهذا ظاهر حيث إن نقضهم للاتفاقيات مع الفلسطينيين ظاهر وجلى[4].

(١) السياسة الشرعية: لابن تيمية ص٣١. (٢) العلاقات الدولية فى الإسلام: أبو زهرة، ص٥٠.
(٣) المرجع السابق، وانظر: أضواء على الثقافة الإسلامية ص٣٠١.
(٤) على مائدة القرآن دين ودولة ص٣٥٧.

وكما نقض اليهود عهودهم مع رسول الله ﷺ والمؤمنين، كذلك فعل المشركون فاشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً فاستحقوا التأديب عقوبة لهم على ما صنعوا[1].

وفى قتال هؤلاء الناكثين وتأديبهم نزلت سورة «براءة» تمهلهم أربعة أشهر يسيحون فى الأرض، ثم يختارون لأنفسهم الموقف الذى يحددونه مع رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا انسلخت الأشهر الحرم فعلى المسلمين محاربتهم حربًا لا هوادة فيها لنقضهم عهدهم.

خلاصة:

تلك هى مبررات القتال والحرب فى الإسلام: لا عدوان ولا اعتداء، وإنما: نصرة مظلوم، أو رد عدوان، أو تأمين حرية العقيدة، أو التأديب لناكثى العهود.

ثالثًا: أخلاق الحرب فى الإسلام:

جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى تزكية النفوس وتطهيرها حتى تكون كريمة الأخلاق، نبيلة السجايا، فلم تدع خلقًا كريمًا إلا رغّبت فيه، ولا خلقًا ذميمًا إلا حذرت منه.

وهذه الدعوة تكون فى جميع أمور الحياة، وفى كل الأوقات، مع الناس جميعًا، أصدقاء وأعداء.

لقد كان الإسلام صاحب مبادئ وقيم لم يسبقه إليها أحد فى الحرب ضد الأعداء، ولن يسبقه أحد إليها.

ومن هذه المبادئ الخلقية التى وضعها الإسلام فى الحرب والقتال ضد الأعداء ما يلى:

(١) المرجع السابق.

١- النهى عن قتل الصبيان، والنساء، والمرضى، والشيوخ من الأعداء:

اتفق أهل العلم على أنه لا يحل قتل الصبيان والنساء إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا قتلوا(١).

والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أ- ما روى عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: «وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى النبى ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»(٢).

ب- ما روى عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأة**»(٣).

جـ- ما روى عن الأسود بن سريع قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتلوا الذرية فى الحرب**» فقالوا: يا رسول الله، أو ليس هم أولاد المشركين؟ قال: «**أو ليس خياركم أولاد المشركين**»(٤).

د- إن الصبيان والنساء لا يقاتلون فى الغالب، والذى يُقتل هو المقاتل، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه العلة بقوله: «**ما كانت هذه لتقتل**»(٥).

يقول ابن حزم: (اتفقوا أنه لا يحل قتل صبيانهم ولا نسائهم الذين لا يقاتلون)(٦).

ويقول ابن رشد: (ولا خلاف بينهم فى أنه لا يجوز قتل صبيانهم ولا قتل نسائهم، ما لم تقاتل المرأة والصبى)(٧).

---

(١) مراتب الإجماع ص ١٣٩. فتح القدير ٤/ ٢٩١. بلغة السالك ١/ ٥٣٦. مغنى المحتاج ٤/ ٢٢٢، المغنى ٨/ ٤٧٥.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٣٥.

(٣) رواه الترمذى وأحمد والنسائى.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) مسند أحمد ٢/ ٢٦٣.

(٦) مراتب الإجماع: لابن حزم ص ١٣٩.

(٧) بداية المجتهد ١/ ٥٢٤.

أما الشيخ الفانى، والراهب الذى لا يخالط الناس، والأعمى، والمقعد، والزَّمِن فعلى الراجح من أقوال الفقهاء عدم قتل هؤلاء فى الحرب، يدل على ذلك ما يلى:

أ- ما روى عن أنس -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**انطلقوا باسم الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة**»(١).

ب- ما روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «**اخرجوا باسم الله تعالى، تقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع**»(٢).

جـ- إن هؤلاء لا رأى لهم فى الحرب ولا يقاتلون، فأشبهوا الصبيان والنساء فلا يُقتلون.

أرأيت الرحمة الإسلامية بالأعداء فى زمن الحرب، النهى المطلق عن قتال من ليس له دخل بالقتال، وعلى أعداء الإسلام من اليهود والنصارى أن يقرأوا ذلك حتى يتعلموا، ولكن هيهات.. هيهات.. فما نراه من أفعالهم فى أطفال ونساء فلسطين والشيشان والعراق وما حدث أخيرًا فى لبنان لتشيب له الولدان.

٢- النهى عن المثلة بالأعداء:

والمثلة: هى تقطيع أعضاء الرجل بعد الظفر به، كسمل عينيه، وجدع أنفه، ونحو ذلك(٣).

والمثلة حرام(٤)، وقد دلت على تحريمها أحاديث كثيرة، منها:

أ- حديث ابن عباس السابق: وفيه: «**ولا تمثلوا**»(٥).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده.

(٢) رواه ابن ماجة، وأحمد فى مسنده.

(٣) فتح القدير ٤/ ٢٩٠.

(٤) فتح القدير ٤/ ٢٩٠.

(٥) سبق تخريجه.

ب- ما روى عن صفوان بن عسال -رضى الله عنه- قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فقال: «**سيروا باسم الله وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا**»(١).

٣- النهى عن إتلاف أموال الأعداء فى الحرب:

من أخلاق الحرب فى الإسلام النهى عن إتلاف أموال الكفار، كقطع أشجارهم المثمرة، أو تخريب أماكنهم العامرة، أو حرق زراعاتهم، أو عقر سوائمهم فى غير حاجة لأكلها(٢) يدل لذلك ما يلى:

أ- أوصى رسول الله ﷺ جنده فى غزوة مؤتة: «**ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال، ولا المكفوفين، ولا الصبيان، ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار**»(٣).

ب- وصية أبى بكر: فعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر -رضى الله عنه- بعث جيوشًا إلى الشام فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان، وكان يزيد أمير رَبع من تلك الأرباع فقال: «إنى موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخرب عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لأكله، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه، ولا تغل، ولا تغبن»(٤).

٤- المعاملة الحسنة للأسرى:

من أخلاق الحرب فى الإسلام عدم إيذاء الأسرى من الكفار، وجواز المن عليهم -أى إطلاق سراحهم بدون مقابل- أو جواز إطلاق سراحهم بمقابل وهو الفداء، متى رأى الحاكم أن المصلحة فى ذلك(٥).

فقد استدل جمهور العلماء على جواز المن على الأسرى(٦) بالكتاب والسنة: فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) المغنى ٨/ ٤٥٣.
(٣) نيل الأوطار ٧/ ٢٥١.
(٤) رواه مالك فى الموطأ.
(٥) العناية على الهداية ٤/ ٣٠٦. المغنى ٨/ ٣٧٣. نيل الأوطار ٧/ ٣٠١
(٦) المراجع السابقة.

ومن السنة: ما روى عن أنس -رضى الله عنه- أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبى ﷺ من حيال التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤][١].

- وقد مَنَّ رسول الله ﷺ على أبى عزة الشاعر يوم بدر.

- أما جواز فداء أسرى الأعداء بأسرى من المسلمين أو بالمال فقد أجازه جمهور العلماء[٢] واستدلوا على ذلك بالكتاب السنة.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

ومن السنة:

١- ما روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة[٣].

٢- ما روى عن عمران بن حصين -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ «فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين من بنى عقيل»[٤].

خلاصة:

كان هذا هو منهج الإسلام فى معاملة المحاربين، فهو محاط بسياج من الأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة، فأين هذا من وحشية الحروب الصليبية والصهيونية، حيث القتل والنهب، وهتك الأعراض، والإبادة، وإذلال الخصوم، وتعذيب الأسرى، بل وقتلهم، وحسبك ما يفعله اليهود فى فلسطين، وما فعلته أمريكا فى سجن «أبو غريب» فى العراق، وما يفعلونه فى أفغانستان والشيشان وغيرها من دول الإسلام، أما الحرب فى الإسلام فهى دفاع عن الحرمات وعدم البدء بالعدوان ونشر الخير والعدل والسلام.

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى.
(٢) المغنى ٨/ ٣٧٣. نيل الأوطار ٧/ ١١٠.
(٣) سنن أبى داود - باب الأسرى.
(٤) رواه أحمد والترمذى وصححه.

المطلب الرابع

الوفاء بالعهود والمواثيق

الوفاء بالعهود: هو كل ما يتعهد به المرء ويلتزم به، وعلى هذا يجب حفظ ما يقتضيه العهد قيامًا بواجبه[1].

وقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهد وتنفيذه، يدل لذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].
- وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].
- فهاتان الآيتان توجبان الوفاء بالعهود والاتفاقيات بين الناس في معاملاتهم.
- ولمّا كنا بصدد الحديث عن علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول فقد تعقد مع هذه الدول عهودًا ومواثيق، سواء كانت في حالة سلم أم في حالة حرب معها.

والإسلام في كلٍّ أحرص ما يكون على رعاية العهد والوفاء بالميثاق، كما أنه يعتبر خلف العهد من صفات المنافقين، فعن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**»[2].

ويترتب على الوفاء بالعهود والمواثيق مع الدول التي عقدنا معها معاهدة الأمور التالية:

١- تحريم الاعتداء على المعاهدين: فقد حرَّم الإسلام أن يُقتل معاهد أو يؤذى، وفي ذلك حفظ لدمائهم، والمعاهد إذا ما قُتل فعلى من قتله العقوبة كما لو قتل مسلما[3].

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٢٩. لمحات في الثقافة الإسلامية ص ٢٣١.

(٢) متفق عليه. انظر: الترغيب والترهيب ٤/٧٨.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٢٩.

٢- تحريم الاعتداء على أراضى الدولة المعاهدة بمقتضى عقد العهد المبرم بين المسلمين وبين هذه الدولة.

٣- الوفاء بما التزم به الحكام فى العلاقات الدولية القائمة ما دامت لم تضر بالدولة الإسلامية(١).

٤- عدم نصرة الفئة الخارجة من أهل هذه الدولة على دولتهم بمقتضى المعاهدة المبرمة بيننا وبينهم، ولو كان فى ذلك نصرة للدين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

هذه أهم أخلاقيات الحرب والجهاد فى الإسلام: إيجاب الوفاء بالعهود لمن عاهدهم المسلمون، والالتزام بكل ما التزموا به، وتحريم الغدر والخيانة.

نقض المعاهدة من الدولة التى بيننا وبينها ميثاق:

إذا نقض المعاهدون العهد، وأرادوا التعدى على المسلمين، فعلى المسلمين أن يواجهوهم، ويعدوا لهم العدة بالقتال وغيره، جزاء نقضهم للعهد، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٨] ويقول عز وجل: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ

(١) أصول المنهج الإسلامى ص ٣٤٠.

عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢-١٥].

المطلب الخامس

التسامح مع غير المسلمين

التسامح: هو اللين والتساهل، والسماحة: المساهلة[١].

والتسامح: نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التى جبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدى إلى المحبة والتآلف وينبذ العنف والتنافر[٢].

والتسامح: هو القلب النابض حياة طيبة، ونفس زكية خالية من العنف والتطرف[٣].

إن فى هذا الدين من التسامح والسهولة واليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده، وهو ما يجعله صالحًا لكل زمان ومكان لسائر الأمم، فالسماحة تتواءم مع عالمية الإسلام[٤].

والتسامح لا يعنى الضعف، والإسلام يأبى الضيم ويرفض لأتباعه الذل والهوان، والمؤمن عزيز بإيمانه وإسلامه، قوى بهما، ومن يظنون التسامح والحلم والعفو ضعفًا لا يدركون عظمة هذا الدين[٥].

* لقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأعلى درجات التسامح، فقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] ومعنى العفو: ترك المؤاخذة بالذنب،

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (سمح). لسان العرب: مادة (سمح).
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٩٨.
(٣) المراجع السابقة.
(٤) فتح القدير: الشوكانى ١/ ٢٨.
(٥) سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين: عبدالله اللحيدان، ص ١١.

ومعنى الصفح: ترك أثره من النفس[1] وكونه لم يبق أثره فى النفس قمة فى التسامح.

ومن نعم الله علينا وعلى الإنسانية أن أرسل نبينا محمدًا ﷺ بالحنيفية السمحاء رحمة للعالمين، وهذه الرحمة لها صور من الود والتسامح فى شتى نواحى الحياة.

ومع هذا فإن بعض الذين لا يعرفون شيئًا عن هذا الدين يظن أن الإسلام لا يعرف العفو والصفح والتسامح، وإنما اكتفوا بسماع الشائعات من أرباب الإلحاد والكفر، والواقع غير هذا.

فإن الإسلام دين التسامح واليسر فى جميع مجالات الحياة، ومع جميع الناس بل ومع المخلوقات الأخرى[2].

التسامح مع غير المسلمين:

تتجلى الصورة العظيمة للتسامح فى مجال المعاملات مع غير المسلمين فيما يلى:

١- لم يضق الإسلام ذرعًا بالأديان السابقة، وبمعتنقى هذه الأديان، فلا إكراه ولا إجبار على دخولهم فى الإسلام، فهم وما يدينون[3]، يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

٢- مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة، فشرع للمسلم أن يعطيهم من صدقة التبرع، ويهدى إليهم، ويقبل هديتهم، ويواسيهم عند المصيبة، ويعود مريضهم، ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة، كالتهنئة بالمولود والزواج، ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفًا لهم[4].

---

(١) فتح القدير ١/ ٢٨.

(٢) محاسن التأويل: للقاسمى ٧/ ٢٩٨. من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعى، ص ١٣٣.

(٣) الموسوعة فى سماحة الإسلام: محمد الصادق عرجون ٢/ ٦٨٢.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام: عبدالله اللحيدان، ص ١٤٨ وما بعدها.

٣- العدل فى المعاملة معهم، وجعل ذلك دليلاً على التقوى التى رتب عليها أعظم الجزاء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

٤- العفو عن المخالفين ممن ناصبوا الإسلام والمسلمين العداء، وقد تحقق هذا من رسول الله ﷺ عام الفتح عندما ضرب المثل الأعلى فى التسامح والعفو والصفح عن الذين حاربوه وأخرجوه وآذوه[١] وقال مقولته المشهورة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٢].

٥- المعاملة الحسنة فى البيع والشراء، والأخذ والعطاء[٣].

صور من التسامح فى معاملة غير المسلمين

أولاً: صور من تسامح النبى ﷺ فى معاملة غير المسلمين:

بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وهو مثال للكمال البشرى فى حياته كلها، مثال للكمال فى علاقته بربه، وفى علاقته بالناس كلهم مسلمين وغير مسلمين، هذا هو النبى ﷺ.

وتتعدد صور التسامح فى هدى النبى ﷺ مع غير المسلمين، ولا نستطيع حصرها -هنا- ولكن سنذكر بعضها:

١- رحمته ﷺ بالخلق كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢- تجاوزه ﷺ عن مخالفيه ممن ناصبوه العداء، فلمّا فتح الله عليه مكة، وأظهره الله على أعدائه، وكانت له الشوكة والقوة، نظر إلى من آذوه وقاتلوه وأخرجوه، ووجه إليهم هذا السؤال: «**ما تظنون أنى فاعل بكم**»؟ وكانت

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٦١. الروض الأنف ٤/ ٢٩٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٦١.
(٣) المراجع السابقة.

الإجابة: «أخ كريم وابن أخ كريم» وكان هذا الرد من الذى أوتى جوامع الكلمة وتمثلت فيه الرحمة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

٣- كان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين، فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم فى خيبر، حين أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم(٢)، وقد قبل النبى ﷺ هدية المقوقس ملك مصر(٣).

٤- وكان من سماحته ﷺ أن يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفًا لقبولهم.

٥- وكان ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم، فقد أمر ﷺ أسماء بنت أبى بكر بصلة أمها وهى مشركة، فعن أسماء -رضى الله عنها- قالت: قدمت علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمى قدمت وهى راغبة، أفأصل أمى؟ قال: «**نعم، صلى أمك**»(٤).

٦- وكان ﷺ يتعامل مع غير المسلمين فى البيع والشراء، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين، يعنى صاعًا من شعير(٥).

٧- وقد بلغ التسامح من النبى ﷺ ذروته عندما نهى عن ظلم من يعيش بين ظهرانى المسلمين بعهد وبقى على عهده، وأن من يظلمهم فسيكون عليه الصلاة والسلام حجيجه يوم القيامة، يقول ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة**»(٦)، وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخارى -كتاب الهبة- باب: قبول الهدية من المشركين - حديث رقم ٢٦١٧

(٣) المغنى: لابن قدامة ١٣/ ٢٠٠.

(٤) صحيح البخارى - كتاب الهبة - باب: الهدية للمشركين - حديث رقم ٢٦٢٠

(٥) صحيح البخارى -كتاب المغازى - حديث رقم ٤٤٦٧.

(٦) سنن أبى داود - كتاب الخراج والإمارة والفىء - حديث رقم ٣٠٥٢ وصححه الألبانى، انظر: صحيح سنن أبى داود ٥٩١٢.

فقال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»(١).

٨- وقد بلغ تسامحه مع الأعداء حتى فى وقت الحرب ذروته، فمن سماحته مع اليهود: فعندما قتل أحد الصحابة فى أحد أحياء اليهود فى خيبر فقد رضى وقبل ﷺ يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله.

كما نجد تسامحه مع لبيد بن الأعصم الذى سحر النبى ﷺ فى مشط ومشاطة وجف طلع نخل ذكر فى بئر روان، وحينما أخبر عائشة بذلك قالت: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافانى، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا، فأمر بها فدفنت»(٢).

وكان تسامحه ﷺ مع بعض المنافقين، فقد تحمل المنافق عبدالله بن أبى بن سلول قصة الإفك، ومع ذلك فقد عفا عنه ﷺ(٣) بل حينما مات عبدالله بن أبى غطاه بقميصه واستغفر له حتى نزل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

- هذه بعض الومضات من تسامحه ﷺ مع غير المسلمين، ولا نستطيع أن نصفك يا رسول الله، فأنت أدب السماحة، وأنت سماحة الأدب.

ثانيًا: صور من تسامح الصحابة والتابعين فى معاملة غير المسلمين:

تاريخ الإسلام شاهد حى على أن المسلمين لم يُكرهوا أحدًا فى أى فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، ولا اضطهاده أو إذلاله.

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادًا لعهد النبى ﷺ، وشهد صورًا من سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال، ومن كفالة العاجز

(١) صحيح البخارى - كتاب الجزية والموادعة - باب: إثم من قتل معاهدًا - حديث رقم ٣١٦٦.
(٢) صحيح البخارى -كتاب الطب - باب: السحر - حديث رقم ٥٧٦٣.
(٣) صحيح البخارى - كتاب التفسير - سورة آل عمران ٨/ ٧٨. حديث ٤٥٦٦.

منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك، وكذلك الحال بالنسبة للسلف الصالح من التابعين وتابعيهم.

وهذه بعض الصور التى تبين سماحة الصحابة والسلف الصالح فى معاملة غير المسلمين:

١- فى عهد أبى بكر -رضى الله عنه- كتب إلى خالد بن الوليد -رضى الله عنه- فى عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق -وكانوا من النصارى: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»(١).

فالإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة وهو يعيش فى كنف الإسلام فيعيش على الصدقة، ولكن الإسلام يحميه ويكرمه ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله(٢).

٢- وأوصى عمر -رضى الله عنه- بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفوا فوق طاقاتهم(٣).

٣- ومر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أى أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودى، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشىء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه(٤).

٤- ومن السماحة أن يراعى فى معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن لقى عمر -رضى الله عنه- مع أبى عبيدة مقدمه

(١) الخراج: لأبى يوسف، ص ٣٠٦.

(٢) الموسوعة فى سماحة الإسلام: محمد الصادق عرجون، ١/ ٤٤٦.

(٣) صحيح البخارى - كتاب الجنائز - حديث رقم ١٣٩٢.

(٤) الخراج: لأبى يوسف، ص ١٢٦.

من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه المقلِّسون (وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدى الأمراء. إذا قدموا عليه بالسيوف والريحان)، فقال عمر -رضى الله عنه-: مه، ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم، وإنك إن تمنعهم منها سروا أن فى نفسك نقضًا لعهدهم، فقال: دعوهم، عمر وآل عمر فى طاعة أبى عبيدة(١).

٥- وفى خلافة عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- كتب إلى عدى بن أرطأة: «وانظر من قِبلَك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»(٢).

وهذا لون من التسامح فى المعاملة والعدل الذى لا يعرف له وجود إلا فى الإسلام، لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها(٣).

٦- وعندما أمر عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمى من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبدالملك اغتصب أرضى، والعباس جالس، فقال: يا عباس، ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لى بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم، كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته، فردها عليه(٤).

تسامح المسلمين مع غير المسلمين على ألسنة مفكرى الغرب

بمثل هذه المعاملة فى التسامح مع غير المسلمين ساد المسلمون الأوائل الدنيا، وكانت هذه المعاملة محط إعجاب مخالفيهم فشهدوا لهم بالسمو فى أخلاقهم والتسامح فى معاملتهم، وهذا بعض ما شهدوا به فى هذا المجال:

---

(١) كتاب الأموال: لأبى عبيد، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق ص٥٧.

(٣) الموسوعة فى سماحة الإسلام ١/ ٢١١. سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين ص ٣٢.

(٤) البداية والنهاية ابن كثير ٩/ ٢١٣.

٧- أن يتحرى رضا المعلم، ولا يغتاب عنده أحداً، ولا يفشى له سراً، وأن يرد غيبته إذا سمعها، فإن لم يستطع فارق المجلس.

٨- وينبغى لطالب العلم ألا يدخل على المعلم إلا بإذنه، وأن يدخل وهو كامل الهيبة، فارغ القلب من الشواغل، وأن يسلم على الحضور كلهم بصوت يسمعه الجميع(١).

٩- أن يتجنب الحسد والرياء والكبر، لأن طالب العلم إذا تلبس بهذه النقائص ذهب منه نور العلم، وهبط إلى مستوى الجاهلين، وبذلك يخسر دنياه وأخراه(٢).

١٠- أن يأخذ العلم شيئاً فشيئاً حتى لا يمل، وأن يطلب من العلم آكده وأوجبه، وأحسنه نفعاً، وأقربه طريقاً إلى رضا ربه(٣).

١١-عليه أن يسأل معلمه فيما لايعلم، فلا حياء فى هذا، إذ الحياء مانع من اكتساب العلم، ثبت عن عائشة- رضى الله عنها- أنها قالت: « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»(٤).

١٢- لا يجادل العلماء بما لا يفيد، فقد رُوى عن لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه بقوله: «لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك فى العلم، ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم، واقتبس من علمهم فى رفق»(٥).

****

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادى، ص٤٤

(٣) المرجع السابق.

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى- كتاب العلم ١/٢٢٨

(٥) العلم والعلماء: أبو بكر الجزائرى، ص٣٣

الفصل الثامن

العلاقات الاجتماعية والدولية في السلم والحرب

تمهيد:

الشريعة الإسلامية هدفها تحقيق بناء مجتمع مثالى صالح، يخدم الأمة فى ضوء الكتاب والسنة.

وهذا المجتمع يوجد فيه المسلمون وغيرالمسلمين، وقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولةالإسلامية، وعلاقاتهم بغيرهم من الدول الأخرى، وما هى الدوافع التى أدت إلى الحرب والقتال، وأخلاق القتال فى الإسلام، ثم الوفاء بالعهود والمواثيق، والتسامح بين المسلمين وغيرهم.

هذا ما سنتحدث عنه فى هذا الفصل.

المبحث الأول

البناء الاجتماعى فى الإسلام

المجتمع عبارة عن: تجمع بشرى نشأ تلقائيًا، ويتميز بالاستقرار والاستمرار مع ضرورة وجود سلطة حاكمة[1].

وعلى هذا فإن أهم خصائص المجتمع هو وجود الأفراد فى مكان جغرافى مستقل لفترة زمنية طويلة تسمح بقيام علاقات اجتماعية بينهم تتبلور فى شكل تنظيم اجتماعى يحكمه نظام متعارف عليه وسلطة اجتماعية متفق عليها. فإذا تحقق ذلك تم البناء الاجتماعى لهؤلاء الأفراد.

والمجتمع المسلم شأنه فى ذلك شأن سائر المجتمعات التى تربطها وحدة المكان، ووحدة الهدف، وقبل كل هذا وحدة الدين.

وبناء المجتمع الإسلامى المثالى يتحقق من توافر الأسس الثابتة له، ومن خلال عدة عناصر تضمن له الوحدة والقوة، والاستمرار، والإسهام فى البناء الحضارى السليم للإنسانية كلها.

(١) المعجم الوسيط: مادة (جمع). أسس علم الاجتماع: محمود عودة، ص٧١

أسس البناء الاجتماعي في الإسلام:

يعتمد المجتمع المسلم لتحقيق بنائه الاجتماعي على مجموعة من الأسس والثوابت تتمثل في التالي[1]:

١- وحدة العقيدة الصحيحة: التي تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى وأعظم، ولن يحافظ المجتمع المسلم على التشريع إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل، وإمكانيات عملية تؤيده من الخارج.

٢- تحقيق العبادة على أتم وجه: وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فعندما يؤدي أفراد المجتمع العبادة التي أمرهم الله بها فإن لحمة التعاضد والتماسك تتحقق في جميع أمور الحياة.

فعندما يصلي المسلم ما فُرض عليه يجد روحًا مشرقة، ونفسًا مطهرة، وقلبًا مطمئنا، وهو بالتالي يؤثر بالإيجاب على المجتمع كله.

وعندما يؤدي فريضة الزكاة فإنه يطهر نفسه من رذيلة الأثرة والأنانية والشح والبخل، ويشعر بالرضا والقناعة، وفي إخراجها أيضًا تحقيق لمعنى التكافل الاجتماعي والتعاون على الخير، وهذا يؤثر بالإيجاب على المجتمع كله[2].

وكذلك الحال بالنسبة للصيام والحج[3].

٣- الأخلاق الكريمة: فهي من أهم الأسس لبناء المجتمع المسلم المثالي لأنها من عند الله تعالى، ولأنها تؤثر في سلوك الفرد والمجتمع معًا، فهي تؤثر في الفرد لما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة والعدل والصدق والبر والعفة والتعاون... إلخ[4].

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، ص٩٨٧.

(٢) المرجع السابق، وانظر: فقه الزكاة للقرضاوي، ص٢٨.

(٣) أصول المنهج الإسلامي ص٧٦.

(٤) القيم الخلقية في الإسلام ص١٢.

وهى تؤثر فى المجتمع كله، فهى تسهم فى بناء مجتمع واحد بعيدًا عن التمزق، مجتمع تسوده روح المحبة والألفة، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(١).

٤- التعارف والتآخى: فالأخوة فى الإسلام لها وضع خاص ومميز، حيث فاقت أخوة النسب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، أخوة تجمعها وحدة العقيدة، أخوة فى السراء والضراء، فمتى اجتمعت أخوة الإسلام بين شخصين يكونان كالشخص الواحد فى تعاونهما، وللإخاء بين المسلمين صور كثيرة لا يتسع المجال لذكرها -هنا- ولكن هذا الأساس من أهم الأسس فى بناء المجتمع المسلم المثالى(٢).

٥- التكافل الاجتماعى: ويقصد به أن يكون أفراد الشعب فى كفالة الجماعة، والعكس.

فى التكافل نجد المحافظة على بناء المجتمع وإقامته على أسس سليمة، وهو ما يعبر عنه الحديث الشريف: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٣).

والهدف والمغزى للتكافل الاجتماعى أن يحس كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يتعين عليه أداؤها، وأن يحس أولو الأمر أن للأفراد حقوقًا يتوجب عليهم إعطاؤها(٤).

إن للتكافل الاجتماعى مظاهر متعددة فى الإسلام تؤدى إلى بناء مجتمع مسلم مثالى، ومن أهمها:

---

(١) صحيح مسلم- كتاب البر والصلة- باب فضل إزالة الأذى من الطريق ٤/ ٢٠٢١.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت، ص٤٤٣.

(٣) الحديث متفق عليه.

(٤) العدالة الاجتماعية: سيد قطب، ص٦٢. فى المجتمع الإسلامى: الشيخ أبو زهرة، ص٤٠.

- هناك تكافل في البناء العام للمجتمع: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

- وهناك تكافل الترابط بين أفراد المجتمع: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وهناك تكافل في تسوية الخلافات: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

- وهناك تكافل في الدعوة إلى الإصلاح والنهي عن الإفساد: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- وهناك تكافل بين الفرد والجماعة، فلكل منهما حقوق وعليه واجبات: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أهم أسس النظام الاجتماعي في الإسلام العمل على إيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والصلاح، تأمر فيه الجماعة بالمعروف وتنهى عن المنكر لحماية المصالح المعتبرة في الشريعة، وأول مظهر لهذا المجتمع هو وجود رأي عام يتعاون على الخير ويدفع الشر، وهو لا يتكون إلا من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فالإسلام يعتبر المجتمع مسئولا عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها، ولا يعتبر ذلك تدخلا في الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يقضيان على بنيان المجتمع من أساسه، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا بديعًا للنظام الأخلاقي والاجتماعي في الأمة فقال: «مثل القائم على حدود الله والواقع

(١) إحياء علوم الدين: الإمام الغزالي، ٢/ ٣٢٠.

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم (أي منعوهم من خرق السفينة) نجوا ونجوا جميعًا»[1].

ولهذا يقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

عناصر بناء المجتمع المسلم:

من خلال الأسس التي تكون البناء الاجتماعي في المجتمع المسلم -والتي تحدثنا عنها منذ قليل- نجد أن هذا المجتمع يقوم على عناصر ثابتة لا تتغير، وهي:

١- تكوين شخصية الفرد في المجتمع: ويكون ذلك في رحاب الشريعة وتعاليمها، فيعيش فردًا سويًا، نافعًا لنفسه ولمجتمعه على السواء.

٢- قيام المجتمع على جملة من المبادئ والغايات والروابط الأخلاقية المنبثقة من تعاليم الإسلام.

٣- تحقيق التوازن بين الفرد والجماعة على أساس من حقائق المنهج الإسلامي الذي لا يقيم وزنًا للعصبيات العنصرية، أو الفروق اللونية، أو الامتيازات الطبقية.

٤- أن تكون تعاليم الإسلام وتشريعاته هي الأساس في كل مجالات المجتمع: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية.

المبحث الثاني

علاقة المسلمين بغيرهم

يرتبط الإنسان بغيره من أفراد الوطن الواحد بكثير من الروابط الاجتماعية، حيث إن الإنسان مدني بطبعه وفطرته.

---

(١)، (٢) حديث صحيح.

ولقد أقام الإسلام هذه العلاقات على أساس من العدالة والمودة التى أوجدها بين المخلوقات، فأوجب البر والتعاون على الخير بناء على التعددية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

لهذا فإن أول دستور وضعه النبى ﷺ فى المدينة والذى يسمى بـ(الصحيفة) أو (الوثيقة)، والذى تضمن تحديد العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون فى المدينة وهم اليهود والذى جاء فيه[1]:

- «أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».
- «أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من دهم يثرب -أى المدينة-».
- «أن لليهود فى أموالهم وأنفسهم ما للمؤمنين مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة».

لهذا كانت القاعدة فى التعامل بين المسلمين وغيرهم من رعايا الدولة الإسلامية هى: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

لقد وضع الإسلام تنظيمًا دقيقًا فى معاملته مع الناس جميعًا، ومنهم غير المسلمين[2].

وفى هذا المبحث سنتحدث عن موقف الإسلام من الأديان الأخرى، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين فى الدولة الإسلامية، وعلاقتهم بالدولة المحاربة، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتسامح مع غير المسلمين، وسيكون الحديث عن ذلك فى عدة مطالب.

---

(١) أحكام أهل الذمة: لابن القيم ص٤٨. بدائع الصنائع ٧/ ١٠٠ رسالة القتال: لابن تيمية ص١١٨.

(٢) منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية: مجاهد محمد هريدى، ص٢٢٦. معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان ص٢٢٩ وما بعدها.

المطلب الأول

موقف الإسلام من الأديان الأخرى

للإسلام موقف واضح وصريح من الأديان والملل والنحل والفرق الموجودة على هذا الكون.

أولا: موقف الإسلام من الأديان والشرائع السماوية:

يقف الإسلام من الأديان الصحيحة والشرائع السماوية الصادقة موقف التصديق بها.

فالإسلام يؤمن برسالات كل الرسل السابقين، والتصديق بما جاءوا به، وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم، وقاموا به، وأدوا الرسالة، والهدف من ذلك: عبادة إله واحد لا شريك له[1]، يدل لذلك ما ورد على لسان الرسل في القرآن الكريم:

- يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]

- ويقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

- ويقول سبحانه: ﴿وإلىٰ مدْيَن أخاهُمْ شُعَيْبًا قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وغير ذلك من آيات وردت في كتاب الله على لسان الرسل وكلها تدعو إلى عبادة الله وحده.

وإذا ما دخل هذه الأديان تحريف أو تغيير -كما هو الحال في التوراة والإنجيل- فإن الإسلام يقف منها موقفًا حازمًا لتقويمه ودحض مفترياته[2].

---

(١) أصول المنهج الإسلامي ص٣٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٦٠. تاريخ ابن عساكر ١/ ١٤٠. السيرة النبوية ٣/ ٦٥.

ثانيا: موقف الإسلام من النحل الفاسدة والشرائع الباطلة:

يسارع الإسلام إلى إقامة الحجة والبرهان على النحل والشرائع الباطلة كالتى تعبد النار أو المخلوقات[1].

ثالثا: موقف الإسلام من الفرق الضالة:

من الفرق الضالة فى هذا العصر (البهرة) و (البهائية) و (القاديانية) و (البابية) وغيرها، وكلها معاول هدم مدمرة للإسلام وأهله، ولذلك يجب على المسلم أن يفشى أخبارها، ويحذر من ضلالها، فإن هذا من أعظم الجهاد فى هذا العصر[2].

الحرية الدينية لأصحاب الأديان الأخرى:

جاء الإسلام ليضمن الحرية للإنسان، لأن الحرية دعامة لجميع ما سنه الإسلام من عقائد، ولأنها أساس أى مجتمع إنسانى سليم.

إن الحرية الدينية لأصحاب الديانات الأخرى كفلها الإسلام فى عدة أمور:

١- عدم إكراه أحد على ترك دينه: فلم يحدث فى تاريخ الإسلام أن أكره أحد على ترك دينه واتباع الإسلام، فالمبدأ واضح: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

٢- ترك الحرية لأصحاب هذه الديانات من اليهود والنصارى ليمارسوا شعائرهم وعباداتهم فى المجتمع الإسلامى، فلا تهدم لهم كنيسة، ولا يكسر لهم صليب[3].

لقد دخلت جيوش المسلمين معظم الأقطار بعد سنوات قليلة من ظهور الإسلام، وكان بإمكان هذه الجيوش أن تهدم الكنائس والصوامع، وتمنع الناس من العبادة فيها، إلا أن المسلمين لم يفكروا أبدًا فى أن يفعلوا ذلك، لأن الإسلام

(١) أصول المنهج الإسلامى ص٤٣٨.

(٢) أصول المنهج الإسلامى ص٤٤٠.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية: عبد الكريم عثمان، ص٥٩، ٦٠.

يمنعهم من ذلك ويأمرهم بترك الحرية للناس في أديانهم وعباداتهم، بينما يعرف تاريخ الحكومات الأخرى أمثلة كثيرة مُنع فيها المسلمون من ممارسة شعائرهم، فلقد هدمت المساجد في الأندلس وحولت إلى كنائس، ومنع المسلمون في بلاد كثيرة من الجهر بإسلامهم(١).

٣- ترك الحرية لهم فيما أباحت لهم أديانهم من الطعام وغيره: فقد بلغ الإسلام الذروة في هذا المجال، حيث منع أن يقتل لهم خنزير لأنهم يأكلونه مع أن الإسلام يحرمه، ومنع أن تراق لهم خمر لأنهم يشربونها مع أن الإسلام يحرمها(٢).

٤- إعطاؤهم الحرية في القضايا المتعلقة بنظام الأسرة من زواج وطلاق ونفقة وغيرها: فقد ترك الإسلام لأهل الأديان الأخرى أن يمارسوا ما يسمى بنظام الأسرة من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والمواريث دون أن يتعرض لهم في ذلك، أو يجبرهم على اتباع شريعة المسلمين فيها.

٥- صيانة حقوقهم، وحماية كرامتهم، وترك حرية الجدل والمناقشة لهم ضمن حدود العقل والمنطق والأدب وعدم الخروج على النظام، بل لقد أمر المسلمين أن يبتعدوا عن العنف والخشونة في مناقشتهم لهم، يتبين لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والإسلام بهذه المعاملة لأصحاب الديانات الأخرى يضرب أروع الأمثال في السماحة والنبل، والعيش مع الآخرين. فهل وجدت دينًا يتخذ هذه المواقف مع الأديان الأخرى كما فعل الإسلام؟!!

---

(١) المرجع السابق ص٦١.

(٢) المرجع السابق ص٦١.

المطلب الثاني

علاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولة الإسلامية

ذكرنا في المطلب السابق كيف كان موقف الإسلام من الأديان الأخرى، وكيف ضرب الإسلام أروع الأمثال في السماحة والمودة مع أهل هذه الأديان، وبالطبع فهناك من غير المسلمين من يعيشون في الديار الإسلامية، وهم من يعبر عنهم «بالأقليات» وأكثرهم من أهل الكتاب «اليهود والنصارى» ويمكن حصرهم في طائفتين:

١- الذميون.　　٢- المستأمنون.

الطائفة الأولى: الذميون وحقوقهم:

أهل الذمة: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يقيمون في الدولة الإسلامية إقامة دائمة بموجب عقد الذمة.

وقد كان وضع أهل الذمة في الدولة الإسلامية مجالاً لبحوث كثيرة وافتراءات ودس على الإسلام والمسلمين، وأكثر ما تنصب افتراءاتهم على واجب دفع الجزية الذي يرتبه عقد الذمة على الذمي، متناسين تلك الحقوق التي منحها الإسلام للذميين الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية[1].

وسنحاول- هنا- الحديث عن هذه الحقوق، ثم نتحدث عن السبب الذي بمقتضاه أوجب الإسلام على الذمي دفع الجزية.

أ- حقوق أهل الذمة:

لأهل الذمة داخل الدولة الإسلامية التي يعيشون فيها حقوق كثيرة، يمكن حصرها في: حقوق عامة، وحقوق خاصة.

أولاً: الحقوق العامة:

كفل الإسلام لأهل الذمة حقوقاً عامة تتمثل فيما يلي:

(١) معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص٢٢٩.

١- الانتساب إلى الدولة: فهو موطن شأنه فى ذلك شأن المسلم، وهذا ما اتفق عليه العلماء، يقول البلاذرى: «والذمى من أهل دار الإسلام» (١).

ويقول السرخسى: «... لأن المسلمين حين أعطوهم الذمة فقد التزموا دفع الظلم عنهم، وهم صاروا من أهل دار الإسلام» (٢).

فأهل الذمة مرتبطون بالدولة الإسلامية بما يسمى رابطة الجنسية.

٢- حق تولى الوظائف العامة: فقد أعطى الإسلام الحق للذميين فى تولى الوظائف العامة، وتحمل أعباء الدولة، فقد استعان عمر- رضى الله عنه- ببعض أهل الذمة فى أعمال كتابية(٣)، وقد عهد الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك إلى نصرانى ببناء مسجد الجماعة فى بلدة الرملة بفلسطين(٤).

وتوسعت الدولة الإسلامية فى إسناد الوظائف العامة والهامة إلى الذميين، وقد أجاز الفقهاء تولى الذميين الكثير من الوظائف القيادية كالوزارات التنفيذية، وغيرها من الوظائف الهامة (٥).

٣- حق الانتخاب والترشيح: فلهم الحق فى الانتخاب والترشيح لبعض الوظائف النيابية، والوظائف القيادية، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين.

٤- حق التعليم: فلأهل الذمة الحق فى التعلم والتعليم فى جميع الفنون والعلوم، ولهم حق تعليم معتقداتهم بإنشاء المدارس الخاصة بهم، والدليل على ذلك: «أن المسلمين بعد فتح خيبر وانتصارهم على اليهود، جمعوا الغنائم، وكان فيها نسخ من التوراة، فأمر رسول الله ﷺ بردها إلى اليهود»(٦).

---

(١) فتوح البلدان: للبلاذرى ص١٣٦

(٢) شرح السير الكبير: السرخسى ١/ ٢٧٢.

(٣) صحيح البخارى ٣/ ٤٨

(٤) تاريخ البلاذرى ص ١٩٣.

(٥) الإسلام انطلاق لاجمود: مصطفى صادق الرافعى، ص ١٦

(٦) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال: المقريزى ص ٣٢٢

ويشترط فى هذه الحرية عدم الضرر بتعاليم الإسلام، فيُمنعون من الدعوة إلى حمل المسلمين على ترك دينهم، كما يمُنعون من نشر عقيدتهم داخل الدولة الإسلامية بحجة حرية التعليم.

٥- الحماية من الاعتداءات الخارجية: فيجب حماية أهل الذمة من كل عدوان خارجي، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين، وعلى الحاكم بما له من سلطة عسكرية أن يوفر لهم هذه الحماية. جاء فى «مطالب أولى النهى»: «يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم، وفك أسرهم»(١).

٦- حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم: فهذه الحماية مقررة لأهل الذمة، فدماؤهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة باتفاق المسلمين.

فقتلهم حرام بالإجماع، يقول رسول الله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (٢).

والاعتداء على أموالهم حرام بالإجماع: يدل على ذلك ما جاء فى عهد النبى ﷺ لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبى رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»(٣).

والاعتداء على أعراضهم حرام: فلا يجوز سب الذمى أو اتهامه بالباطل أو التشنيع عليه، أو ذكره بما يكره فى نفسه أو نسبه، يقول ابن عابدين: «يجب كف الأذى عن الذمى، وتحرم غيبته كالمسلم»(٤).

٧- كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه عند العجز أو الشيخوخة أو الفقر، لأنهم رعية للدولة، وهى مسئولة عن كل رعاياها (٥).

وهكذا.. فإن الإسلام حقق للذميين حقوقاً عامة داخل الدولة الإسلامية لم تعطها القوانين الوضعية للدول الغربية للأقليات المسلمة التى تعيش فى ديارها.

---

(١) مطالب أولى النهى ٢/٦٠٣.

(٢) صحيح البخارى- كتاب الجزية والموادعة- باب: إثم من قتل معاهداً- حديث رقم ٣١٦٦.

(٣) الخراج: لأبى يوسف، ص١٤٢.

(٤) حاشية ابن عابدين ٤/١٧١.

(٥) الفروق: للقرافى ٣/١٥

ثانياً: الحقوق الخاصة بأهل الذمة:

يقصد بالحقوق الخاصة بأهل الذمة: تلك الحقوق التى تتعلق بأمور نظام الأسرة: من زواج، وطلاق، وغيرها من الحقوق الأسرية الخاصة بهم، وكذلك الحقوق الخاصة المتعلقة بعقيدتهم.

فللذمى الحق فى الزواج وفق شريعته، وعلاقته بزوجته حسب شريعته، من منع التعدد، أو منع الطلاق، فلا يجبره الإسلام على مخالفة عقيدته فى ذلك.

وللذمى الحق فى أداء شعائر دينه داخل الكنيسة دون أن يمنع من ذلك، ولا يجوز هدم كنيسته أوتكسير صليبه(١)

ب- حقيقة الجزية وسبب أخذها من أهل الذمة:

الجزية: هى المال الموضوع على رقاب من دخل فى ذمة المسلمين من أهل الكتاب(٢).

وبالرغم من الحقوق التى أعطاها الإسلام لأهل الذمة إلا أن أعداء الإسلام من المستشرقين اتهم الإسلام بأنه وضع الجزية على غير المسلمين إذلالاً لهم، وأنه أخذ منهم أموالهم بغير حق، واتهموا الإسلام فى هذا المجال بالتمييز والعنصرية.

ونرد على ذلك ونقول: إن التاريخ لم يحفظ لأمة مثل ما حفظ للمسلمين فى معاملة غير المسلمين من اليهود والنصارى.

وإذا كان الإسلام قد قرر أخذ الجزية منهم بنصوص القرآن فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ومن الأحاديث: فقد روى أنس- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد- رضى الله عنه-

(١) المرتكزات الأساسية فى الثقافة الإسلامية: أحمد العيادى، ص٤٣٠. الرحيق المختوم: المباركفورى، ص٢٧٩.

(٢) الأحكام السلطانية: للماوردى، ص١٤٤. فتح القدير: للكمال، ٤/٣٦٩

«إلى أكيدر دومة، فأخذَ، فأتوه به، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية»[1]. فهناك أسباب في أخذ الجزية منهم تتمثل في الآتي: [2].

١- أنهم يدفعون الجزية لكي يتحملوا من الأعباء مثل ما يتحمل المسلم الذي يخرج الزكاة والصدقة والعشور وغير ذلك، والتي تحقق المصلحة العامة لجميع أفراد الدولة، والتي ينتفع بها الأفراد جميعا مثل: إنشاء المستشفيات، والمدارس، وتعبيد الطرق، والكهرباء... وغير ذلك.

٢- أنهم يدفعون الجزية في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، فهم لا يحملون السلاح، فإذا اشتركوا في حمل السلاح والدفاع عن الوطن سقطت عنهم الجزية.

٣- أن الإسلام أعفى غير القادرين كالصغار وكبار السن منها، فهي لاتؤخذ إلا من الذكر البالغ العاقل الصحيح من الأمراض، الغني فلا تؤخذ من فقير.

الطائفة الثانية: المستأمنون وحقوقهم:

المستأمن: هو الشخص الذي يدخل الدولة الإسلامية لمدة محددة، وليس في نيته الإقامة الدائمة[3].

والمستأمنون هم من يسمون الآن « الأجانب» في الدولة الإسلامية، يدخلونها للتجارة أو العمل أو السياحة، فهؤلاء لهم أمان مؤقت.

وقد قامت الأدلة على جواز الأمان لهم من الكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

وفي الآية الكريمة أمر بإجارة المشرك وإبلاغه مأمنه، والجوار هو ترك قتله وقتاله ومعاملته بالحسنى مدة الأمان، وإذا كان هذا جائزاً للكفار فمن باب أولى لمن يدخل الدولة بقصد العمل أو السياحة أو التعليم، فلا يجوز التعرض له بمقتضى هذا العقد.

(١) سنن أبي داود-حديث رقم ٣٠٣٧

(٢) أحكام أهل الذمة: ابن القيم، ص ٦٩١

(٣) معالم الثقافة الإسلامية. ص٢٣٢.

ومن السنة: ما رُوى عن علي- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً»(١).

ومن الإجماع: أجمع المسلمون على جواز الأمان (٢).

وللمستأمن حقوق فى الدولة التى دخلها بعقد الأمان، ومن هذه الحقوق(٣):

١- حق الإقامة والتنقل فى الدولة إلا فيما يتعلق بالحرمين الشريفين وعليه تقديم ما يثبت هويته إلى الجهة التى ينتقل إليها حماية له، وليكون تحت مراقبة الدولة وإشرافها.

٢- حق الخروج من الدولة فى أى وقت، ما لم يخل بشرط الاتفاق الذى منح على أساسه حق الدخول والأمان فى الدولة الإسلامية.

٣- الحق فى العمل وممارسة التجارة، وقد قال الفقهاء «إن المستأمن فى دارنا لا يمنع من أن يتجر فى دار الإسلام فى أى نواحيها شاء» ويقصد بذلك الأماكن التى حددتها له الدولة بناء على التأشيرة التى أعطيت له.

٤- حق التمتع والانتفاع بمرافق الدولة من: مستشفيات، ومياه شرب، وكهرباء، ومواصلات.. ونحوها.

٥- التمتع بحرية العقيدة، وممارسة شعائره الدينية فى مكان إقامته، ولايجبر على فعل شىء لا يتفق مع عقيدته.

٦- للمستأمن حق تملك المنقول كالسيارات والملابس والمعدات الصناعية وغيرها، وصيانة هذه الممتلكات والمحافظة عليها.

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٨/ ١٠. صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/ ١٥٠.

(٢) الإجماع: لابن المنذر، ص٢٧.

(٣) انظر هذه الحقوق فى: الدين والدولة: محمدالبهى، ص٣٨٢. أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام: عبد الكريم زيدان، ص٨٦. لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص٢٧٠ وما بعدها.

المطلب الثالث

علاقة الدولة الإسلامية بالدول المحاربة

الدول المحاربة: هى تلك الدول التى تقرر الاعتداء على الدولة الإسلامية، أو تقاتلها بالفعل لأجل القضاء على دينها، والاستيلاء على أرضها وثرواتها وخيراتها.

وقد قرر الإسلام قتال الذين يقاتلون المسلمين، أى يبدأونهم بالقتال، على أن يكون قتالهم فى سبيل الله، وهذا هو الجهاد الذى فرضه الله تعالى على المسلمين(١).

وإذا كان القتال معروفًا منذ بدء الخليقة، لكونه غريزة أصيلة فى الإنسان كما قرر علماء النفس، إلا أن للإسلام فضلاً فى هذا المجال لا ينكره إلا جاهل به أو حاقد عليه، يتمثل فى تهذيب غريزة القتال فى نفس المسلم، وتنظيم طرائق استخدامه عند الضرورة، وتحديد بواعثه وأهدافه، وتشريع أحكامه وآدابه، بما يحفظ للبشرية كرامتها وحريتها وأمنها(٢).

إن القتال شرع فى الإسلام اضطرارًا، فالأصل فى الإسلام حب السلام والوئام(٣).

أما كون القتال شُرع اضطرارًا، فهذا ثابت فى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وأما أن الأصل فى الإسلام حب السلام والوئام، فهذا ثابت فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقوله تعالى:

---

(١) منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية: مجاهد محمد هريد، ص٢٥٦.

(٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص٢٦٧ وما بعدها.

(٣) المرجعان السابقان.

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. بل إن الله تعالى هو السلام، واسم الإسلام نفسه هو السلام، وتحية المسلمين هى السلام.

وسنحاول -فيما يلى- الحديث عن القتال الذى هو الجهاد، ومبرراته، وأخلاق الحرب فى الإسلام.

أولاً: الجهاد:

تعريفه فى اللغة: هو المبالغة واستفراغ الوسع فى الحرب أو اللسان، أو ما أطاق من شىء[١].

وفى الشرع: هو بذل الجهد فى قتل الكفار[٢].

وقد يطلق الجهاد فى لسان الشرع ويراد به:

- مجاهدة النفس: وذلك بتعلم أمور الدين، والعمل بها، وتعليمها.
- ومجاهدة الشيطان: وذلك بدفع ما يورده من الشبهات، وما يزينه من الشهوات.
- ومجاهدة الفساق: ويكون باليد وباللسان وبالقلب.
- وأما مجاهدة الأعداء (الكفار) فتكون باليد - وهو القتال - وهو المعنى الاصطلاحى الذى ذكرنا، وتكون بالمال والنفس واللسان والقلب.

والجهاد من أفضل الأعمال فى الإسلام، ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وكيف لا وهو بذل النفس -وهى أعز محبوب- فى سبيل إعلاء كلمة الله. وقد تضافرت النصوص الدالة على بيان فضل الجهاد، واستقصاؤها لايتسع له المجال هنا - ولكن حسبنا الإشارة إلى بعضها.

فمن فضله فى القرآن: آيات كثيرة، منها:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾

---

(١) لسان العرب: مادة (جهد).

(٢) فتح القدير: ابن الهمام ٤/٢٧٨. المغنى ٨/٣٤٤. مغنى المحتاج ٤/٢٠٦.

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

وعن فضله في السنة: فأحاديث كثيرة، منها:

١- ما روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»(١).

٢- ما روى عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»(٢).

(١) صحيح البخاري: كتاب الحج -باب: فضل الحج المبرور- حديث رقم ١٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحج -باب: درجات المجاهدين في سبيل الله- حديث رقم ٢٦٣٩.

٣- ما روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[١].

حكم الجهاد: الجهاد فى الأصل من فروض الكفاية، بحيث إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به من يكفى لزم الإثم الجميع[٢].

لا يتعين الجهاد -أى لا يكون فرض عين على جميع الناس- إلا فى أربعة أحوال[٣]:

١- إذا لم تحصل الكفاية بالبعض فيجب على الكل عينًا.

٢- إذا التقى الزحفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه البقاء للقتال لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

٣- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم.

٤- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم القتال، وكان عليهم فرض عين، لقوله تعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ثانيًا: مبررات القتال والحرب فى الإسلام:

إذا كان الإسلام شرع الجهاد والحرب ضد الأعداء (الكفار) فإنه فى نفس الوقت نهى عن البدء بالعدوان عليهم، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

(١) صحيح البخارى: كتاب الجهاد والسير -باب: درجات المجاهدين فى سبيل الله- حديث رقم ٢٦٣٧.

(٢) بداية المجتهد: ابن رشد ١/ ٥٢٠، فتح القدير: ابن الهمام ٤/ ٢٧٨. مغنى المحتاج ٤/ ٢٠٩، المغنى ٨/ ٣٤٦.

(٣) العناية على الهداية: للبابرتى ٤/ ٢٧٩.

وَلا تعْتدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الْمُعْتَدينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ويقول تعالى: ﴿فمن اعْتدى عليْكُمْ فاعْتدُوا عليْه بمثْل ما اعتدى عليْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

إن الحرب والقتال فى الإسلام لم يكن لأجل التعطش للدماء، أو رغبة فى الاعتداء على الوجه الذى عرفناه فى الإمبراطوريات طوال التاريخ، حيث الرغبة فى احتلال أراضى الأخرين والطمع فى خيراتها ومنافعها الدنيوية ومكاسبها المادية[١]. وإنما كان لمبررات أملتها عليه الظروف والأحوال، وعلى هذا يمكننا إجمال مبررات القتال فى الإسلام فى الأمور التالية:

١- رد الاعتداء: وهو من أول المبررات للقتال فى الإسلام، حيث دفع الاعتداء ورده بالقوة، سواء كان هذا الاعتداء واقعًا على الدين أم واقعًا على النفس والأهل والمال والوطن[٢].

فأما الاعتداء على الدين: فيتمثل فى فتنة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، أو الوقوف فى وجه الدعوه الإسلامية ومنعها والصد عنها، وهذا النوع من الاعتداء هو مبتغى غير المسلمين فى كل وقت، فقد تفننوا فى هذا النوع، وعلى هذا فإنه يجب على المسلمين قتالهم[٣].

وأما الاعتداء على النفس والمال والأهل والوطن فيجب رده بسيف القوة، وقوة السيف[٤].

فالأمر بالقتال هنا كان لرد الاعتداء الواقع من الكفار سواء كان على الدين أم على النفس والأهل والوطن، يدل لذلك أن أول آية نزلت لتشريع القتال والإذن به كانت عن دفع هذا الظلم، يقول تعالى: ﴿أُذنَ للَّذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلمُوا وَإنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرهمْ لَقَديرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذينَ أُخْرجُوا منْ دياركهم بغيْرِ حقٍّ إلاَّ أن يقُولُوا ربُّنا اللَّهُ﴾

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٢/ ٢١٥.

(٢) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى: د. وهبة الزحيلى، ص٨٤.

(٣) الجهاد: محمد هاشم، ص٢٥٤.

(٤) المراجع السابقة.

[الحج: ٣٩، ٤٠]. ويقول ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»(١).

٢- إنقاذ الضعفاء: وهذا مبرر هام لقتال الأعداء الجبارين المستكبرين فى الأرض بغير حق، الذين يستخفون بحرمات الضعفاء، ويسومونهم سوء العذاب، ويهددون إنسانيتهم(٢).

وعلى المسلمين فى مثل هذه الحالة أن يهبوا لتحرير هؤلاء المستضعفين وإنقاذهم سواء كانوا من الرجال أو النساء أو الولدان، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]. فقد جعل القرآن الكريم القتال فى سبيل المستضعفين قرين القتال فى سبيل الله(٣).

إن رفع الظلم والأذى عن الناس مطلوب من المسلم إذا كان قادرًا عليه، بل المسلم مطالب برفع الظلم والأذى عن الحيوان الأعجم إذا قدر عليه.

٣- منع الفتنة: إذا أراد غير المسلمين فتنة المسلمين فى دينهم، ومنعهم من نشر كلمة الله، والدعوة إلى الإسلام فى بلاد المسلمين أو بلاد هؤلاء الأعداء بالحجة والبرهان، فهم فى ذلك يحادون الله ورسوله، ويصدون الناس عن دين الله، وبذلك يجب قتالهم(٤).

إن الفتنة فى الدين أشد خطرًا على المسلم، ولهذا وردت النصوص الصريحة لمنع الفتنة فى الدين، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٩٣]. ويقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده، وانظر: نيل الأوطار ٥/ ٣٢٧.

(٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٧٠.

(٣) تفسير المنار: ٢/ ٢١٥.

(٤) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ص ٨٥.

فقد حددت الآيتان غاية القتال بأنها: منع الفتنة، أى فتنة المسلمين فى دينهم.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى بقوله: «إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين»[1] ويقول الشيخ محمد أبو زهرة فى هذا الصدد: «إن الدعوة إلى الإسلام نور لا يحجب، وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعونه أن يصل إلى رعاياهم، فكان لابد من القتال لإزالة الحجزات التى تمنع النور أن يصل ولا تمنع الاضطهاد أن يقع حتى لا تكون فتنة فى الدين»[2].

٤- الخيانة للعهود والمواثيق: من مبررات القتال والحرب فى الإسلام، خيانة العهود والمواثيق التى عُقدت مع المسلمين.

إن بعض الناس يحافظون على العهود والاتفاقات ما دامت فى مصالحهم، فإذا رأوا أنها لم تعد تخدمهم، وكان بهم قوة نكثوها، وداسوها بأقدامهم[3].

وهذا النوع من البشر لا يجوز أن يترك ليعيث فى الأرض فسادًا، دون أن يسأله أحد، من أجل هذا شرع الإسلام مقاتلتهم تأديبًا لهم، وعقابًا على ما اقترفت أيديهم من نقضهم للمواثيق والعهود والاتفاقيات، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢، ١٣].

لقد ابتلى الإسلام بأصناف من هؤلاء الناقضين للعهود، الخائنين للأمانات، بعضهم من اليهود الذين عقدت معهم المعاهدات من زمن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وهذا ظاهر حيث إن نقضهم للاتفاقيات مع الفلسطينيين ظاهر وجلى[4].

---

(١) السياسة الشرعية: لابن تيمية ص٣١.
(٢) العلاقات الدولية فى الإسلام: أبو زهرة، ص٥٠.
(٣) المرجع السابق، وانظر: أضواء على الثقافة الإسلامية ص٣٠١.
(٤) على مائدة القرآن دين ودولة ص٣٥٧.

وكما نقض اليهود عهودهم مع رسول الله ﷺ والمؤمنين، كذلك فعل المشركون فاشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً فاستحقوا التأديب عقوبة لهم على ما صنعوا[1].

وفى قتال هؤلاء الناكثين وتأديبهم نزلت سورة «براءة» تمهلهم أربعة أشهر يسيحون فى الأرض، ثم يختارون لأنفسهم الموقف الذى يحددونه مع رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا انسلخت الأشهر الحرم فعلى المسلمين محاربتهم حربًا لا هوادة فيها لنقضهم عهدهم.

خلاصة:

تلك هى مبررات القتال والحرب فى الإسلام: لا عدوان ولا اعتداء، وإنما: نصرة مظلوم. أو رد عدوان، أو تأمين حرية العقيدة، أو التأديب لناكثى العهود.

ثالثًا: أخلاق الحرب فى الإسلام:

جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى تزكية النفوس وتطهيرها حتى تكون كريمة الأخلاق، نبيلة السجايا، فلم تدع خلقًا كريمًا إلا رغّبت فيه، ولا خلقًا ذميمًا إلا حذرت منه.

وهذه الدعوة تكون فى جميع أمور الحياة، وفى كل الأوقات، مع الناس جميعًا، أصدقاء وأعداء.

لقد كان الإسلام صاحب مبادئ وقيم لم يسبقه إليها أحد فى الحرب ضد الأعداء، ولن يسبقه أحد إليها.

ومن هذه المبادئ الخلقية التى وضعها الإسلام فى الحرب والقتال ضد الأعداء ما يلى:

---

(١) المرجع السابق.

١ - النهى عن قتل الصبيان، والنساء، والمرضى، والشيوخ من الأعداء:

اتفق أهل العلم على أنه لا يحل قتل الصبيان والنساء إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا قتلوا(١).

والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أ- ما روى عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: «وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى النبى ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»(٢).

ب- ما روى عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة»(٣).

جـ- ما روى عن الأسود بن سريع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا الذرية فى الحرب» فقالوا: يا رسول الله، أو ليس هم أولاد المشركين؟ قال: «أو ليس خياركم أولاد المشركين»(٤).

د- إن الصبيان والنساء لا يقاتلون فى الغالب، والذى يُقتل هو المقاتل، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه العلة بقوله: «ما كانت هذه لتقتل»(٥).

يقول ابن حزم: (اتفقوا أنه لا يحل قتل صبيانهم ولا نسائهم الذين لا يقاتلون)(٦).

ويقول ابن رشد: (ولا خلاف بينهم فى أنه لا يجوز قتل صبيانهم ولا قتل نسائهم، ما لم تقاتل المرأة والصبى)(٧).

---

(١) مراتب الإجماع ص ١٣٩. فتح القدير ٤/ ٢٩١. بلغة السالك ١/ ٥٣٦. مغنى المحتاج ٤/ ٢٢٢، المغنى ٨/ ٤٧٥.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٣٥.

(٣) رواه الترمذى وأحمد والنسائى.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) مسند أحمد ٢/ ٢٦٣.

(٦) مراتب الإجماع: لابن حزم ص ١٣٩.

(٧) بداية المجتهد ١/ ٥٢٤.

أما الشيخ الفانى، والراهب الذى لا يخالط الناس، والأعمى، والمقعد، والزَّمِن فعلى الراجح من أقوال الفقهاء عدم قتل هؤلاء فى الحرب، يدل على ذلك ما يلى:

أ- ما روى عن أنس -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة»[1].

ب- ما روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا باسم الله تعالى، تقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»[2].

جـ- إن هؤلاء لا رأى لهم فى الحرب ولا يقاتلون، فأشبهوا الصبيان والنساء فلا يُقتلون.

أرأيت الرحمة الإسلامية بالأعداء فى زمن الحرب، النهى المطلق عن قتال من ليس له دخل بالقتال، وعلى أعداء الإسلام من اليهود والنصارى أن يقرأوا ذلك حتى يتعلموا، ولكن هيهات.. هيهات.. فما نراه من أفعالهم فى أطفال ونساء فلسطين والشيشان والعراق وما حدث أخيرًا فى لبنان لتشيب له الولدان.

٢- النهى عن المثلة بالأعداء:

والمثلة: هى تقطيع أعضاء الرجل بعد الظفر به، كسمل عينيه، وجدع أنفه، ونحو ذلك[3].

والمثلة حرام[4]، وقد دلت على تحريمها أحاديث كثيرة، منها:

أ- حديث ابن عباس السابق: وفيه: «ولا تمثلوا»[5].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده.

(٢) رواه ابن ماجة، وأحمد فى مسنده.

(٣) فتح القدير ٤/ ٢٩٠.

(٤) فتح القدير ٤/ ٢٩٠.

(٥) سبق تخريجه.

ب- ما روى عن صفوان بن عسال -رضى الله عنه- قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فقال: «سيروا باسم الله وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا»[1].

٣- النهى عن إتلاف أموال الأعداء فى الحرب:

من أخلاق الحرب فى الإسلام النهى عن إتلاف أموال الكفار، كقطع أشجارهم المثمرة، أو تخريب أماكنهم العامرة، أو حرق زراعاتهم، أو عقر سوائمهم فى غير حاجة لأكلها[2] يدل لذلك ما يلى:

أ- أوصى رسول الله ﷺ جنده فى غزوة مؤتة: «ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال، ولا المكفوفين، ولا الصبيان، ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار»[3].

ب- وصية أبى بكر: فعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر -رضى الله عنه- بعث جيوشًا إلى الشام فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان، وكان يزيد أمير رُبع من تلك الأرباع فقال: «إنى موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخرب عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لأكله، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه، ولا تغل، ولا تغبن»[4].

٤- المعاملة الحسنة للأسرى:

من أخلاق الحرب فى الإسلام عدم إيذاء الأسرى من الكفار، وجواز المن عليهم -أى إطلاق سراحهم بدون مقابل- أو جواز إطلاق سراحهم بمقابل وهو الفداء، متى رأى الحاكم أن المصلحة فى ذلك[5].

فقد استدل جمهور العلماء على جواز المن على الأسرى[6] بالكتاب والسنة: فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) المغنى ٨/ ٤٥٣.
(٣) نيل الأوطار ٧/ ٢٥١.
(٤) رواه مالك فى الموطأ.
(٥) العناية على الهداية ٤/ ٣٠٦. المغنى ٨/ ٤٧٣. نيل الأوطار ٧/ ٣٠١
(٦) المراجع السابقة.

ومن السنة: ما روى عن أنس -رضى الله عنه- أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبى ﷺ من حيال التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤][1].

- وقد مَنَّ رسول الله ﷺ على أبى عزة الشاعر يوم بدر.

- أما جواز فداء أسرى الأعداء بأسرى من المسلمين أو بالمال فقد أجازه جمهور العلماء[2] واستدلوا على ذلك بالكتاب السنة.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

ومن السنة:

١- ما روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة[3].

٢- ما روى عن عمران بن حصين -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ «فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين من بنى عقيل»[4].

خلاصة:

كان هذا هو منهج الإسلام فى معاملة المحاربين، فهو محاط بسياج من الأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة، فأين هذا من وحشية الحروب الصليبية والصهيونية، حيث القتل والنهب، وهتك الأعراض، والإبادة، وإذلال الخصوم، وتعذيب الأسرى، بل وقتلهم، وحسبك ما يفعله اليهود فى فلسطين، وما فعلته أمريكا فى سجن «أبو غريب» فى العراق، وما يفعلونه فى أفغانستان والشيشان وغيرها من دول الإسلام، أما الحرب فى الإسلام فهى دفاع عن الحرمات وعدم البدء بالعدوان ونشر الخير والعدل والسلام.

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) المغنى ٨/ ٣٧٣. نيل الأوطار ٧/ ١١٠.

(٣) سنن أبى داود - باب الأسرى.

(٤) رواه أحمد والترمذى وصححه.

المطلب الرابع

الوفاء بالعهود والمواثيق

الوفاء بالعهود: هو كل ما يتعهد به المرء ويلتزم به، وعلى هذا يجب حفظ ما يقتضيه العهد قيامًا بواجبه(١).

وقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهد وتنفيذه، يدل لذلك ما يلى:

- قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].
- وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].
- فهاتان الآيتان توجبان الوفاء بالعهود والاتفاقيات بين الناس فى معاملاتهم.
- ولما كنا بصدد الحديث عن علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول فقد تعقد مع هذه الدول عهودًا ومواثيق، سواء كانت فى حالة سلم أم فى حالة حرب معها.

والإسلام فى كلٍّ أحرص ما يكون على رعاية العهد والوفاء بالميثاق، كما أنه يعتبر خلف العهد من صفات المنافقين، فعن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»(٢).

ويترتب على الوفاء بالعهود والمواثيق مع الدول التى عقدنا معها معاهدة الأمور التالية:

١- تحريم الاعتداء على المعاهدين: فقد حرَّم الإسلام أن يُقتل معاهد أو يؤذى، وفى ذلك حفظ لدمائهم، والمعاهد إذا ما قُتل فعلى من قتله العقوبة كما لو قتل مسلما(٣).

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٢٩. لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٣١.

(٢) متفق عليه. انظر: الترغيب والترهيب ٤/ ٧٨.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٢٩.

٢- تحريم الاعتداء على أراضى الدولة المعاهدة بمقتضى عقد العهد المبرم بين المسلمين وبين هذه الدولة.

٣- الوفاء بما التزم به الحكام فى العلاقات الدولية القائمة ما دامت لم تضر بالدولة الإسلامية(١).

٤- عدم نصرة الفئة الخارجة من أهل هذه الدولة على دولتهم بمقتضى المعاهدة المبرمة بيننا وبينهم، ولو كان فى ذلك نصرة للدين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

هذه أهم أخلاقيات الحرب والجهاد فى الإسلام: إيجاب الوفاء بالعهود لمن عاهدهم المسلمون، والالتزام بكل ما التزموا به، وتحريم الغدر والخيانة.

نقض المعاهدة من الدولة التى بيننا وبينها ميثاق:

إذا نقض المعاهدون العهد، وأرادوا التعدى على المسلمين، فعلى المسلمين أن يواجهوهم، ويعدوا لهم العدة بالقتال وغيره، جزاء نقضهم للعهد، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٨] ويقول عز وجل: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ

(١) أصول المنهج الإسلامى ص ٣٤٠.

عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢-١٥].

المطلب الخامس

التسامح مع غير المسلمين

التسامح: هو اللين والتساهل، والسماحة: المساهلة[١].

والتسامح: نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدي إلى المحبة والتآلف وينبذ العنف والتنافر[٢].

والتسامح: هو القلب النابض حياة طيبة، ونفس زكية خالية من العنف والتطرف[٣].

إن في هذا الدين من التسامح والسهولة واليسر والرحمة ما يتواقق مع عالميته وخلوده، وهو ما يجعله صالحًا لكل زمان ومكان لسائر الأمم، فالسماحة تتواءم مع عالمية الإسلام[٤].

والتسامح لا يعني الضعف، والإسلام يأبى الضيم ويرفض لأتباعه الذل والهوان، والمؤمن عزيز بإيمانه وإسلامه، قوي بهما، ومن يظنون التسامح والحلم والعفو ضعفًا لا يدركون عظمة هذا الدين[٥].

* لقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأعلى درجات التسامح، فقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] ومعنى العفو: ترك المؤاخذة بالذنب،

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (سمح). لسان العرب: مادة (سمح).
(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٩٨.
(٣) المراجع السابقة.
(٤) فتح القدير: الشوكاني ١/ ٢٨.
(٥) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين: عبدالله اللحيدان، ص ١١.

ومعنى الصفح: ترك أثره من النفس[1] وكونه لم يبق أثره فى النفس قمة فى التسامح.

ومن نعم الله علينا وعلى الإنسانية أن أرسل نبينا محمدًا ﷺ بالحنيفية السمحاء رحمة للعالمين، وهذه الرحمة لها صور من الود والتسامح فى شتى نواحى الحياة.

ومع هذا فإن بعض الذين لا يعرفون شيئًا عن هذا الدين يظن أن الإسلام لا يعرف العفو والصفح والتسامح، وإنما اكتفوا بسماع الشائعات من أرباب الإلحاد والكفر، والواقع غير هذا.

فإن الإسلام دين التسامح واليسر فى جميع مجالات الحياة، ومع جميع الناس بل ومع المخلوقات الأخرى[2].

التسامح مع غير المسلمين:

تتجلى الصورة العظيمة للتسامح فى مجال المعاملات مع غير المسلمين فيما يلى:

١- لم يضق الإسلام ذرعًا بالأديان السابقة، وبمعتنقى هذه الأديان، فلا إكراه ولا إجبار على دخولهم فى الإسلام، فهم وما يدينون[3]، يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

٢- مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة، فشرع للمسلم أن يعطيهم من صدقة التبرع، ويهدى إليهم، ويقبل هديتهم، ويواسيهم عند المصيبة، ويعود مريضهم، ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة، كالتهنئة بالمولود والزواج، وينادبهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفًا لهم[4].

---

(١) فتح القدير ١/ ٢٨.

(٢) محاسن التأويل: للقاسمى ٧/ ٢٩٨. من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعى، ص ١٣٣.

(٣) الموسوعة فى سماحة الإسلام: محمد الصادق عرجون ٢/ ٦٨٢.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام: عبدالله اللحيدان، ص ١٤٨ وما بعدها.

٣- العدل في المعاملة معهم، وجعل ذلك دليلاً على التقوى التى رتب عليها أعظم الجزاء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

٤- العفو عن المخالفين ممن ناصبوا الإسلام والمسلمين العداء، وقد تحقق هذا من رسول الله ﷺ عام الفتح عندما ضرب المثل الأعلى فى التسامح والعفو والصفح عن الذين حاربوه وأخرجوه وآذوه[١] وقال مقولته المشهورة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢].

٥- المعاملة الحسنة فى البيع والشراء، والأخذ والعطاء[٣].

صور من التسامح فى معاملة غير المسلمين

أولاً: صور من تسامح النبى ﷺ فى معاملة غير المسلمين:

بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وهو مثال للكمال البشرى فى حياته كلها، مثال للكمال فى علاقته بربه، وفى علاقته بالناس كلهم مسلمين وغير مسلمين، هذا هو النبى ﷺ.

وتتعدد صور التسامح فى هدى النبى ﷺ مع غير المسلمين، ولا نستطيع حصرها -هنا- ولكن سنذكر بعضها:

١- رحمته ﷺ بالخلق كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢- تجاوزه ﷺ عن مخالفيه ممن ناصبوه العداء، فلمّا فتح الله عليه مكة، وأظهره الله على أعدائه، وكانت له الشوكة والقوة، نظر إلى من آذوه وقاتلوه وأخرجوه، ووجه إليهم هذا السؤال: «ما تظنون أنى فاعل بكم»؟ وكانت

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٦١. الروض الأنف ٤/ ٢٩٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٦١.
(٣) المراجع السابقة.

الإجابة: «أخ كريم وابن أخ كريم» وكان هذا الرد من الذى أوتى جوامع الكلمة وتمثلت فيه الرحمة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١).

٣- كان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين، فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم فى خيبر، حين أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم(٢)، وقد قبل النبى ﷺ هدية المقوقس ملك مصر(٣).

٤- وكان من سماحته ﷺ أن يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفًا لقبولهم.

٥- وكان ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم، فقد أمر ﷺ أسماء بنت أبى بكر بصلة أمها وهى مشركة، فعن أسماء -رضى الله عنها- قالت: قدمت علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمى قدمت وهى راغبة، أفأصل أمى؟ قال: «نعم، صلى أمك»(٤).

٦- وكان ﷺ يتعامل مع غير المسلمين فى البيع والشراء، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين، يعنى صاعًا من شعير(٥).

٧- وقد بلغ التسامح من النبى ﷺ ذروته عندما نهى عن ظلم من يعيش بين ظهرانى المسلمين بعهد وبقى على عهده، وأن من يظلمهم فسيكون عليه الصلاة والسلام حجيجه يوم القيامة، يقول ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»(٦)، وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخارى -كتاب الهبة- باب: قبول الهدية من المشركين - حديث رقم ٢٦١٧.

(٣) المغنى: لابن قدامة ١٣/ ٢٠٠.

(٤) صحيح البخارى - كتاب الهبة - باب: الهدية للمشركين - حديث رقم ٢٦٢٠.

(٥) صحيح البخارى -كتاب المغازى - حديث رقم ٤٤٦٧.

(٦) سنن أبى داود - كتاب الخراج والإمارة والفىء - حديث رقم ٣٠٥٢ وصححه الألبانى، انظر: صحيح سنن أبى داود ٥٩١٢.

فقال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»(١).

٨- وقد بلغ تسامحه مع الأعداء حتى فى وقت الحرب ذروته، فمن سماحته مع اليهود: فعندما قتل أحد الصحابة فى أحد أحياء اليهود فى خيبر فقد رضى وقبل ﷺ يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله.

كما نجد تسامحه مع لبيد بن الأعصم الذى سحر النبى ﷺ فى مشط ومشاطة وجف طلع نخل ذكر فى بئر روان، وحينما أخبر عائشة بذلك قالت: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافانى، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا، فأمر بها فدفنت»(٢).

وكان تسامحه ﷺ مع بعض المنافقين، فقد تحمل المنافق عبدالله بن أبى بن سلول قصة الإفك، ومع ذلك فقد عفا عنه ﷺ(٣) بل حينما مات عبدالله بن أبى غطاه بقميصه واستغفر له حتى نزل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

- هذه بعض الومضات من تسامحه ﷺ مع غير المسلمين، ولا نستطيع أن نصفك يا رسول الله، فأنت أدب السماحة، وأنت سماحة الأدب.

ثانيًا: صور من تسامح الصحابة والتابعين فى معاملة غير المسلمين:

تاريخ الإسلام شاهد حى على أن المسلمين لم يُكرهوا أحدًا فى أى فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، ولا اضطهاده أو إذلاله.

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادًا لعهد النبى ﷺ، وشهد صورًا من سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال، ومن كفالة العاجز

(١) صحيح البخارى - كتاب الجزية والموادعة - باب: إثم من قتل معاهدًا - حديث رقم ٣١٦٦.
(٢) صحيح البخارى -كتاب الطب - باب: السحر - حديث رقم ٥٧٦٣.
(٣) صحيح البخارى - كتاب التفسير - سورة آل عمران ٨/ ٧٨. حديث ٤٥٦٦.

منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك، وكذلك الحال بالنسبة للسلف الصالح من التابعين وتابعيهم.

وهذه بعض الصور التى تبين سماحة الصحابة والسلف الصالح فى معاملة غير المسلمين:

١- فى عهد أبى بكر -رضى الله عنه- كتب إلى خالد بن الوليد -رضى الله عنه- فى عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق -وكانوا من النصارى: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[١].

فالإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة وهو يعيش فى كنف الإسلام فيعيش على الصدقة، ولكن الإسلام يحميه ويكرمه ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله[٢].

٢- وأوصى عمر -رضى الله عنه- بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفوا فوق طاقاتهم[٣].

٣- ومر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أى أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودى، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشىء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٤].

٤- ومن السماحة أن يراعى فى معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن لقى عمر -رضى الله عنه- مع أبى عبيدة مقدمه

(١) الخراج: لأبى يوسف، ص ٣٠٦.

(٢) الموسوعة فى سماحة الإسلام: محمد الصادق عرجون، ١/ ٤٤٦.

(٣) صحيح البخارى - كتاب الجنائز - حديث رقم ١٣٩٢.

(٤) الخراج: لأبى يوسف، ص ١٢٦.

من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه المقلِّسون (وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدى الأمراء. إذا قدموا عليه بالسيوف والريحان)، فقال عمر -رضى الله عنه-: مه، ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم، وإنك إن تمنعهم منها سروا أن في نفسك نقضًا لعهدهم، فقال: دعوهم، عمر وآل عمر فى طاعة أبى عبيدة[1].

٥- وفى خلافة عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- كتب إلى عدى بن أرطأة: «وانظر من قِبلَك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»[2].

وهذا لون من التسامح فى المعاملة والعدل الذى لا يعرف له وجود إلا فى الإسلام، لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها[3].

٦- وعندما أمر عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمى من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبدالملك اغتصب أرضى، والعباس جالس، فقال: يا عباس، ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لى بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم، كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته، فردها عليه[4].

تسامح المسلمين مع غير المسلمين على ألسنة مفكرى الغرب

بمثل هذه المعاملة فى التسامح مع غير المسلمين ساد المسلمون الأوائل الدنيا، وكانت هذه المعاملة محط إعجاب مخالفيهم فشهدوا لهم بالسمو فى أخلاقهم والتسامح فى معاملتهم، وهذا بعض ما شهدوا به فى هذا المجال:

---

(١) كتاب الأموال: لأبى عبيد، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق ص٥٧.

(٣) الموسوعة فى سماحة الإسلام ١/ ٢١١. سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين ص ٣٢.

(٤) البداية والنهاية ابن كثير ٩/ ٢١٣.

١- يقول المستشرق الإنجليزى (توماس أرنولد): (إن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح)[١].

٢- ويقول (غوستاف لوبون): (فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم)[٢].

٣- ويقول المستشرق (دوزى): (إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام، وإنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه فى دياناتهم السابقة)[٣].

٤- ويقول المستشرق (ديورانت): (لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون فى عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرًا فى البلاد المسيحية فى هذه الأيام)[٤]!

٥- ويقول المستشرق (بارتولد): (إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ إن المسلمين اتبعوا فى معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتسامح)[٥].

هذه بعض مقولات غير المسلمين عن تسامح الإسلام فى معاملته مع غير المسلمين، وهى شهادة حق على عظمة هذا الدين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

****

(١) الدعوة إلى الإسلام: توماس أرنولد ص٧٠.

(٢) حضارة العرب: غوستاف لوبون، ص ٧٢.

(٣) تاريخ أهل الذمة فى العراق: توفيق سلطان، ص٧٠.

(٤) قصة الحضارة: ول ديورانت ١٣/ ١٣٠.

(٥) تاريخ أهل الذمة فى العراق ص ١٢٤.

الفصل التاسع

الثقافة الإسلامية وتحصين الهوية في ظل التحديات المعاصرة

التمهيد:

الثقافة الإسلامية القائمة على مبادئ الدين الإسلامي قادرة على اقتحام التحديات التي تحول دون نهضة الأمة الإسلامية، كما أنها قادرة على الصمود في مواجهة الثقافات الأخرى خاصة الثقافة الغربية، إن الجبال الراسيات يمكن أن تزول وهذه الأمة لا يمكن أن تزول، لأنها محفوظة بهذا الدين، فقد تكفل الله سبحانه بحفظ هذا الدين، ومن حفظه حفظ الأمة الآخذة به[1].

لقد ظل المسلمون يحافظون على هويتهم وثقافتهم الإسلامية على الرغم من الصعوبات التي واجهتها على مر العصور قديمًا وحديثًا من أعداء الدين كالمبشرين والمستشرقين والتغريبيين والعلمانيين وغيرهم والذين بذلوا الجهد للقضاء على الإسلام وثقافته، إلا أن الأمة الإسلامية لم تعدم بين صفوفها وأبنائها طيلة تاريخها القديم والحديث أصواتًا تصدع بالحق رجالاً ونساءً انتدبوا أنفسهم للدعوة والحوار للحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية، وتحصين الأمة في ظل هذه التحديات[2].

وإذا كانت الثقافة الإسلامية حافظت على هويتها في الماضي فهي اليوم مضطرة إلى مجابهة تحديات الثقافة الغربية الحديثة، وهي بالطبع سيتحقق لها النصر إذا ما كانت قادرة على الصمود والمواجهة[3].

قدرة الأمة الإسلامية على الصمود والمواجهة:

يدل على قدرة الأمة الإسلامية على الصمود والمواجهة أمام الثقافات الأخرى ما يلي:

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٣١. بناء المجتمع الإسلامي ص ٧٣.

(٢) المدخل إلى الثقافة الإسلامية ص ٢٧٦.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٨٢.

أولاً: النصوص من الكتاب والسنة:

تواترت النصوص على أن الإسلام سيبقى ظاهرًا منصورًا إلى أن تقوم الساعة، وأنه سيبقى قوة عالمية تزاحم القوى المضادة له مهما كانت متجبرة[1].

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فهذه الآية تبشرنا بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن البعض أن ذلك قد تحقق فى عهد الرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح، وليس كذلك، فالذى تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق[2] كما أشار إلى ذلك النبى ﷺ بقوله: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنتُ لأظن حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامًا، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله»[3].

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مدى ظهور الإسلام ومدى انتشاره، بحيث لا يدع مجالاً للشك فى أن المستقبل للإسلام بإذن الله تعالى وتوفيقه. ومن هذه الأحاديث ما يلى:

١- ما روى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى -أى جمع وضم- لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زُوى لى منها»[4].

٢- ما روى عن النبى ﷺ قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٨٣.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (المستقبل للإسلام) ١/ ٦.

(٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ١/ ٧.

(٤) الحديث أخرجه مسلم، وأبو داود والترمذى وصححه. وابن ماجة وأحمد من حديث ثوبان. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨.

به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»[1]، ولكى يتحقق ذلك لابد وأن يعود المسلمون أقوياء فى معنوياتهم وماديا تهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر[2].

٣- ما روى عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- فسئل أى المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أى المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية؟ فقال: «مدينة هرقل أولاً- يعنى قسطنطينية»[3].

وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثمانى وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبى ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين[4].

ثانيًا: عودة المسلمين إلى دينهم:

اغتاظ الغرب والمستغربون من عودة المسلمين إلى الإسلام، فالإسلام بدأ يحيا من جديد فى النفوس، وطلائع المد الإسلامى بدأت تطل من هنا وهناك من الجامعات والمعاهد والمدارس، وبدأت الأصوات تتعالى منادية بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

وبدأ المثقفون ينحازون إلى تعاليم الإسلام، ويرفضون الكفر، وبدأوا يدرسون حضارة الغرب وثقافته فى ضوء تعاليم الإسلام، وبدأت تنكشف لهم عورات هذه الحضارة وتلك الثقافة[5].

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٨.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٨٣.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك، وقال: حديث حسن الإسناد ووافقه الذهبى. انظر: السلسلة الصحيحة ١/٩.

(٤) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٨٣، ١٨٤.

(٥) المرجع السابق ص ١٨٥.

- إننا مطالبون بالحفاظ على الهوية الإسلامية الآن أكثر من أى وقت مضى، والسبب فى ذلك أن العالم الآن معرض لأزمة هوية ثقافية فى ظل العولمة.

- إن حرصنا الآن على التمسك بهويتنا الإسلامية، وتحصين ثقافتنا الإسلامية بوضوح يمكننا من تحديد موقف الإسلام من القضايا الإسلامية التى تشغل الرأى العام(١).

وسائل تحصين الهوية الثقافية:

تحصين الهوية الثقافية الإسلامية لابد لها من وسائل تقوم عليها، ومن هذه الوسائل ما يلى:

أولاً: تحصين المسلم عن طريق الأسرة، فهى الأساس فى تكوين الرجل والمرأة على السواء.

ثانيًا: نشر الثقافة الإسلامية، فهى مشروع حضارى يكفل حصانة علمية رصينة وأمن ثقافى فى مواجهة العولمة.

ثالثًا: تدريس مادة الثقافة الإسلامية فى مراحل التعليم المختلفة، لأن التركيز على المناهج الدراسية يمكن أن يكون له دور فى مواجهة التحديات والمشكلات المعاصرة.

رابعًا: استخدام كل الأساليب المتاحة لنشر الثقافة الإسلامية وبيان عيوب الثقافات الأخرى، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

خامسًا: وجوب التمسك بخصائص الهوية الإسلامية، وذلك بغرس روح الإبداع فى أفراد الأمة.

سادسًا: بيان قدرة الثقافة الإسلامية على الاستجابة للتحديات المعاصرة السياسية منها والاقتصادية والحضارية.

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ص ٣٥٥.

(٢) نحو ثقافة أصيلة ص ١٨٦

(٣) الثقافة الإسلامية والتحديدات المعاصرة ص ٢١٢. المدخل للثقافة ص ٢٧٧

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. على جريشة- دار الاعتصام- القاهرة.

٢- آثار تطبيق الشريعة الإسلامية فى منع الجريمة: محمد عبد الله الزاحم دار المنار- القاهرة ١٤١٢.

٣- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: د. عبد الرحمن حسن حبنكة- دار القلم- بيروت ١٩٨٠م.

٤- أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية- تحقيق/ صبحى الصالح- بيروت- لبنان.

٥- أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام: د. عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٨٢.

٦- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: للإمام الماوردى- دار الكتب العلمية- بيروت.

٧- الإحكام فى أصول الأحكام: للإمام الآمدى.

٨- أحكام المواريث فى الفقه الإسلامى: د. محمد أحمد سراج- دار المطبوعات الجامعية- الإسكندرية.

٩- إحياء علوم الدين: للإمام أبى حامد الغزالى- مطبعة عيسى الحلبى- ط ثالثة- ١٩٩٥.

١٠- أخلاقنا الاجتماعية: د. مصطفى السباعى- دار الكتاب العربى- القاهرة.

١١- الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام: سعد الدين السيد صالح- دار الأرقم- القاهرة ١٤٠٩هـ.

١٢- الأسرة تحت رعاية الإسلام: الشيخ عطية صقر- مؤسسة الصباح- الكويت- ط أولى ١٩٨٠م.

١٣- الأسرة في الإسلام: مصطفى عبد الواحد- مكتبة دار العروبة- القاهرة.

١٤- الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة: عبد الغني عبود- دار الفكر العربي- ١٩٧٩م.

١٥- الإسلام انطلاق لا جمود: مصطفى صادق الرافعي- منشورات- دار مكتبة القاهرة ١٩٥٩م .

١٦- الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت- دار القلم- بيروت- ط ثانية.

١٧- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: أبو الأعلى المودودي- دار المعرفة.

١٨- الإسلام والحضارة الإنسانية: عبد المنعم خفاجي- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ١٩٧٣ .

١٩- الإسلام والمرأة: إبراهيم على النشار- عالم الكتب- الرياض- ط ثانية ١٩٨٧م.

٢٠- الإسلام والطاقات المعطلة: الشيخ محمد الغزالي- دار الكتب الحديثة- القاهرة.

٢١- الإسلام وبناء المجتمع: د. أحمد العسال- دار القلم- الكويت.

٢٢- الإسلام ومكانة المرأة: محمد عبد العليم مرسى- مكتبة العبيكان- ط أولى- ١٩٩٧م.

٢٣- الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب- دار الشروق- القاهرة- ١٩٨٠ .

٢٤- الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان- حيدر آباد- الهند .

٢٥- الإسلام على مفترق الطرق: أسد محمد أسد - ترجمة/ عمر فروخ- دار العلم للملايين- بيروت.

٢٦- الإسلام وقضايا المجتمع: حسن توفيق شريف- المركز العربي للنشر- القاهرة.

٢٧- الإسلام فى تصورات الغرب: د. محمد حمدى زقزوق- مكتبة وهبة- القاهرة ١٤٠٧هـ.

٢٨- أصول المنهج الإسلامى: عبد الكريم العبيد- الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

٢٩- أصول التربية الإسلامية: عبد الرحمن النجلاوى- - المكتب الإسلامى ببيروت- ط ثانية.

٣٠- أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف- دار القلم- الكويت- ط ٩- ١٩٧٠.

٣١- أضواء على الثقافة الإسلامية: نادية شريف العمرى- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٩هـ.

٣٢- الأمومة فى الإسلام: محمد السيد الزعبلاوى - مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٩هـ.

٣٣- إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى: مالك بن نبى- دار الإرشاد- بيروت.

٣٤- الإيمان والحياة: د. يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة- القاهرة ١٩٩٠م.

٣٥- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- د. مصطفى السباعى- المكتب الإسلامى- بيروت ١٩٨٥م.

٣٦- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع: للكاسانى- مطبعة المؤيد- القاهرة.

٣٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد الحفيد- دار القلم- دمشق.

٣٨- البداية والنهاية: للإمام الحافظ ابن كثير- دار الكتب العلمية- بيروت.

٣٩- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: لابن نجيم الحنفى- دار المعرفة- بيروت.

٤٠- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية: د. عمر فروخ- المكتبة العصرية- بيروت ١٩٧٩م.

٤١- التربية والتغير الثقافى: محمد الهادى عفيفى- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٧٠م.

٤٢- تبصرة الحكام: لابن فرحون المالكى- دار إحياء التراث العربى.

٤٣- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة: عبد الرحمن النحلاوى- المكتب الإسلامى- بيروت ١٤٠٢هـ.

٤٤- تربية الأولاد فى الإسلام: عبد الله علوان- القاهرة- ط سادسة ١٩٨٣م- دار السلام.

٤٥- تنظيم الإسلام للمجتمع: الشيخ أبو زهرة- دار الفكر العربى- القاهرة ١٩٨٥م.

٤٦- التربية الإسلامية وأساليب تدريسها: رشيد صبحى- دار الأرقم- عمان.

٤٧- ترشيد الصحوة الإسلامية: أبو الحسن الندوى- دار السلام- القاهرة ط ثانية ١٤١٠هـ.

٤٨- التنصير فى البلاد الإسلامية: محمد ناصر الشترى- دار الحبيب- الرياض- ١٤١٨هـ.

٤٩- التنصير ومحاولاته فى بلاد الخليج العربى - عبد العزيز العسكر- مكتبة العبيكان- الرياض.

٥٠- التفكير الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - د. محمد البهى- القاهرة.

٥١- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن): طبعة دار إحياء التراث العربى.

٥٢- الثقافة الإسلامية- عبد الرحمن الشافعى- كلية إعداد المعلمين- الرياض (مذكرة).

٥٣- الثقافة والحضارة والمدنية: محمد عارف- المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٩٩٤.

٥٤- جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر- دار الكتب العلمية- بيروت ١٣٨٩هـ.

٥٥- الجريمة والعقوبة: الشيخ محمد أبو زهرة- دار الفكر العربى- القاهرة.

٥٦- حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر: أحمد عبد الوهاب- دار غريب- القاهرة ١٤١٢هـ.

٥٧- حاشية ابن عابدين: محمد أمين الشهير بابن عابدين- مطبعة عيسى الحلبى.

٥٨- الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه: د. محمد السيد الوكيل- دار المجتمع للنشر- جدة ١٩٨٦م.

٥٩- الحركة الفكرية ضد الإسلام: دويدار- جامعة أم القرى- مكة.

٦٠- حقوق المرأة فى الإسلام: كوثر محمد المنياوى- بدون ناشر.

٦١- حقوق المرأة فى الزواج: محمد عمر الغروى- دار الاعتصام- القاهرة.

٦٢- حقوق الإنسان فى الإسلام والرد على الشبهات المثارة: سليمان الحقيل- عالم الكتب الرياض ١٤٠٠.

٦٣- حماية الإسلام للمرأة: محمد سعد الشويعر- دار الصحوة- القاهرة ١٩٨٥م.

٦٤- الخراج: لأبى يوسف- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

٦٥- خصائص التصوير الإسلامى: سيد قطب- دار الشروق- القاهرة.

٦٦- دراسة فى الثقافة الإسلامية: أمير عبد العزيز- عمان- الأردن.

٦٧- دراسات فى الثقافة الإسلامية: محمد عبد السلام وآخرون- مكتبة الفلاح- الكويت ١٩٨٧م

٦٨- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: الشيخ محمد الغزالى- دار الكتب الحديثة- القاهرة.

٦٩- الرسالة: للإمام الشافعى- تحقيق عبد الفتاح كبارة- دار النفائس- بيروت- ط أولى ١٩٩٩م.

٧٠- رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر- دار الهلال- القاهرة ١٩٨٧م.

٧١- الرسول فى كتابات المستشرقين: نذير حمدان- دار المنارة- القاهرة ١٩٨٧م.

٧٢- الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوى- مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٨٤م.

٧٣- روح الإسلام: الشيخ محمد عطية الإبراشى- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ط ثانية ١٩٦٩م.

٧٤- روضة الطالبين وعمدة المفتين: للإمام النووى- دار الكتب العلمية- بيروت.

٧٥- زاد المعاد فى هدى خير العباد: ابن قيم الجوزية- المطبعة المصرية- القاهرة.

٧٦- سبل السلام شرح بلوغ المرام: للإمام الصنعانى- مطبعة مصطفى البابى الحلبى- القاهرة- ط رابعة.

٧٧- سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين: عبد الله إبراهيم اللحيدان- دار الحضارة للنشر والتوزيع- الرياض- ط أولى ٢٠٠٤.

٧٨- سنن ابن ماجة: لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى- تحقيق/ فؤاد عبد الباقى- دار الحديث- القاهرة- ط أولى ١٩٩٨م.

٧٩- سنن أبى داود: سليمان بن الأشعث السجستانى- دار ابن حزم، ودار الفكر- لبنان- ط أولى ١٩٩٧م.

٨٠- سنن الترمذى: محمد بن عيسى بن سورة الترمذى- تحقيق أحمد شاكر- نشر دار إحياء التراث- بيروت.

٨١- سنن الدارقطنى: الحافظ على بن عمر الدارقطنى- مطبعة مصطفى الحلبى- مصر.

٨٢- سنن الدارمى: عبد الله الدارمى- دار الكتاب العربى- بيروت. ط أولى ١٤٠٧ هـ.

٨٣- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: د. مصطفى السباعى- بيروت ١٩٧٠م.

٨٤- السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية: ابن تيمية- دار الجيل- بيروت.

٨٥- السيدة عائشة أم المؤمنين: عبد الحميد محمود طهماز- دار القلم- دمشق ١٤٠٨هـ.

٨٦- سيرة ابن هشام (السيرة النبوية): الناشر/ دار المعرفة- بيروت.

٨٧- شبهات التغريب فى الغزو الفكرى التنصيرى: أنور الجندى- دار الجيل.

٨٨- شبهات حول الإسلام: محمد قطب- دار الشروق- القاهرة ١٩٩٥م.

٨٩- الشرح الصغير: للإمام الدردير- مطبعة مصطفى الحلبى.

٩٠- شرح السير الكبير: شمس الأئمة السرخسى- دار المعارف النظامية- الهند.

٩١ · صحيح البخارى: لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى- دار المعرفة- بيروت.

٩٢- صحيح مسلم: للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج- دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٣- الصديقة بنت الصديق: عباس محمود العقاد- المكتبة العصرية- بيروت ط ثانية ١٩٨٨.

٩٤- العقيدة فى الله: د. عمر سليمان الأشقر- مكتبة الفلاح- بيروت ١٩٩١م.

٩٥- العلمانيون والإسلام: محمد قطب- دار الكتب السلفية- القاهرة.

٩٦- العلم والعلماء: أبو بكر الجزائرى- دار الكتب السلفية- القاهرة.

٩٧- علم الأخلاق الإسلامية: د. مقداد يالجن- دار عالم الكتب -الرياض- ط ثانية ٢٠٠٣.

٩٨- العلمانية وآثارها الخبيثة: عبد الله الجبرين- دار الوطن- الرياض ١٤١١هـ.

٩٩- عمل المرأة فى الميزان: محمد عبد البار- الدار السعودية للنشر والتوزيع- الرياض.

١٠٠- عمل المرأة فى المنزل وخارجه: إبراهيم مبارك الجوير- مكتبة العبيكان- الرياض ١٩٩٥.

١٠١- العناية على الهداية: للإمام محمود البابرتى- مطبعة عيسى الحلبى.

١٠٢- العولمة: محمد سعيد أبو زعرور: دار البيارق- بيروت- ط أولى ١٩٨٨م.

١٠٣- العولمة والهوية الثقافية: د. محمد عابد الجابرى- المستقبل العربى- العدد ٢٢٨- ١٩٩٨م.

١٠٤- الغزو الفكرى- أهدافه ووسائله: د. عبد الصبور مرزوق- رابطة العالم الإسلامى- مكة المكرمة- ط ثالثة.

١٠٥- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام: د. على جريشة- لبنان.

١٠٦- الفائق فى غريب الحديث: الزمخشرى- طبعة البابى الحلبى- مصر- ط أولى ١٩٤٧م.

١٠٧- فقه الزكاة: د. يوسف القرضاوى- دار الإرشاد- بيروت- ط أولى.

١٠٨- فقه السنة: الشيخ سيد سابق- دار الكتاب العربى- القاهرة.

١٠٩- فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالى- دار الدعوة- الإسكندرية ١٩٨٩م.

١١٠- الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية: د. محمد المبارك- المكتبة العصرية- بيروت ١٩٦٥.

١١١- الفكر المنهجى عند المحدثين: د. همام عبد الرحيم سعيد- دار الأمة- ط أولى- قطر ١٤٠٨.

١١٢- فى ظلال القرآن: سيد قطب- الناشر/ دار الشروق- ١٩٨٧م.

١١٣- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادى- مطبعة مصطفى الحلبى- القاهرة ١٩٥٢م.

١١٤- القرآن والمنهاج العلمى المعاصر: د. عبد الحليم الجندى- دار الكتاب اللبنانى.

١١٥- قصة الحضارة: ول ديورانت- ترجمة د. زكى نجيب محمود- جامعة الدول العربية مجلد (١، ٢).

١١٦- كشاف القناع عن متن الإقناع: للإمام البهوتى- دار المعرفة- بيروت.

١١٧- كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوى: عبد العزيز البخارى- دار المعرفة- بيروت.

١١٨- لسان العرب: لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور- دار المعارف- القاهرة.

١١٩- لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ثانية ١٣٩٧هـ.

١٢٠- المبسوط: لشمس الأئمة السرخسى- دار المعرفة- بيروت ١٩٨٩م

١٢١- المجتمع الإسلامى المعاصر (العقيدة والعبادة): محمد المبارك- دار الفكر للنشر- بيروت- ط ثالثة ١٩٧٥م.

١٢٢- مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: دآماد أفندى- دار إحياء التراث العربى- القاهرة.

١٢٣- محاضرات فى الثقافة الإسلامية: القضاة وآخرون- منشورات مديرية الإفتاء- الأردن.

١٢٤- محاضرات فى الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال- مؤسسة دار الشعب- القاهرة- ط ثانية ١٩٧٥م.

١٢٥- مختار الصحاح: للإمام فخر الدين الرازى: الناشر/ دار القلم- بيروت.

١٢٦- المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد رشاد سالم- دار القلم- الكويت.

١٢٧- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٨٩م.

١٢٨- مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب- دار الشروق- القاهرة- ط أولى ١٩٨٣م.

١٢٩- المرأة فى الإسلام: معروف الدواليبى- دار النفائس- بيروت ١٤٠٩هـ.

١٣٠- المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعى- المكتب الإسلامى- بيروت- ط (٥).

١٣١- المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية: أحمد صبحى العيادى- دار الكتاب الجامعى- العين.

١٣٢- مشكلات الحضارة: سيد قطب- دار الشروق- القاهرة- ط ١١ سنة ١٤١٥هـ.

١٣٣- مشكلة المرأة المعاصرة: مكية ميرز - دار المجتمع للنشر- ط أولى ١٩٩٠.

١٣٤- مشكلة الثقافة: مالك بن نبى- دار الفكر- دمشق ٢٠٠٠م

١٣٥- مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: على إبراهيم النملة- مطبوعات مكتبة الملك فهد- الرياض ١٤١٤هـ.

١٣٦- معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان- مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٩٠.

١٣٧- معالم الثقافة الإسلامية وأصول النظام الإسلامى: د. عبد الغفار عزيز- مكتبة وهبة.

١٣٨- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية- دار المعارف- القاهرة.

١٣٩- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن زكريا بن فارس- تحقيق/ عبد السلام هارون- دار الجيل- ط أولى ١٤١١هـ.

١٤٠- معركة التقاليد: محمد قطب- دار الشروق- القاهرة ١٩٩٣م.

١٤١- معين الحكام: للطرابلسى- مطبعة عيسى الحلبى- مصر.

١٤٢- المغنى: لموفق الدين، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى- دار عالم الكتب- بيروت لبنان.

١٤٣- مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج: للخطيب الشربينى- دار الكتب العلمية- بيروت- ط أولى ١٤١٥هـ.

١٤٤- مفاتيح للتعامل مع القرآن: صلاح الخالدى- دار القلم- دمشق- ط أولى ١٩٩٣م.

١٤٥- ملامح عن النشاط التنصيرى: إبراهيم عكاشة- طبعة جامعة الإمام- الرياض.

١٤٦- مفتاح السنة: عبد العزيز الخولى- دون ناشر.

١٤٧- المنتقى من دراسات المستشرقين: صلاح الدين المنجد- دار الكتاب الجديد- بيروت ط ثانية ١٣٩٦هـ.

١٤٨- من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعى- منشورات وزارة التربية والتعليم- الأردن ١٩٨٣م.

١٤٩- منهج الثقافة الإسلامية: محب الدين الخطيب- الدار السلفية- القاهرة.

١٥٠- منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية: مجاهد محمد هريدى- مطبعة الأمانة- القاهرة ١٣٩٨هـ.

١٥١- الموافقات فى أصول الشريعة: لأبى إسحاق الشاطبى- بيروت الطبعة الثانية.

١٥٢- الموسوعة فى سماحة الإسلام: محمد الصادق عرجون- الدار السعودية- جدة- ط ثانية ١٤٠٤هـ.

١٥٣- النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز- مطبعة السعادة ١٩٦٩م.

١٥٤- نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر سليمان الأشقر- دار النفائس- عمان- الأردن- ط ١٢ سنة ٢٠٠٢م.

١٥٥- نظام الأسرة فى الإسلام: محمد عقلة- مكتبة الرسالة الحديثة- عمان ١٩٨٩م.

١٥٦- نظرات فى الثقافة الإسلامية: عز الدين التميمى وآخرون- دار الفرقان- عمان ط أولى ١٩٨٤م.

١٥٧- النهاية فى غريب الحديث: مجد الدين، ابن الأثير- دار أنصار السنة- لأهور.

١٥٨- نيل الأوطار: للشيخ محمد بن على الشوكانى- دار الجيل- بيروت.

١٥٩- الوجيز فى الثقافة الإسلامية: د. همام سعيد وزملاؤه- دار الفكر- عمان- ط أولى ٢٠٠٢م.

١٦٠- وظيفة الدين فى الحياة وحاجة الناس إليه: محمد الزحيلى- دار القلم- دمشق.

١٦١- وظيفة المرأة فى الإسلام- كمال جودة أبو المعاطى- القاهرة- دار الهداية ١٤٠٠هـ.

****

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول	
مفهوم الثقافة، والفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، وعلاقتها بالعلم والحضارة، ومصادرها	
تمهيد	١١
المبحث الأول: مفهوم الثقافة	١١
المطلب الأول: تعريف الثقافة	١١
المطلب الثانى: الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى	١٣
المطلب الثالث: العلاقة بين الثقافة والعلم، وبين الثقافة والحضارة	١٥
العلاقة بين الثقافة والعلم	١٥
العلاقة بين الثقافة والحضارة	١٧
المبحث الثانى: مصادر الثقافة الإسلامية	٢١
الفصل الثانى	
خصائص الثقافة الإسلامية، وآثارها، وانحراف المسلمين عن الثقافة الإسلامية، وأسبابه	
تمهيد	٣١
المبحث الأول: خصائص الثقافة الإسلامية	٣١
المبحث الثانى: أثر الثقافة الإسلامية فى الفرد والأمة والمجتمع	٤٣
المبحث الثالث: انحراف المسلمين عن الثقافة الإسلامية وأسبابه	٤٦

الفصل الثالث

العقيدة الإسلامية

تمهيد ٥٣
المبحث الأول: مفهوم العقيدة، وأقسامها، والمنهج في إثباتها ٥٣
المبحث الثاني: أركان العقيدة الإسلامية ٥٧
المبحث الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية ٧٢
المبحث الرابع: أثر العقيدة الإسلامية في الفرد والمجتمع ٧٣

الفصل الرابع

الحضارة الإسلامية

تمهيد ٧٩
المبحث الأول: مفهوم الحضارة الإسلامية ٧٩
المبحث الثاني: مجالات الحضارة الإسلامية ٨١
المبحث الثالث: خصائص الحضارة الإسلامية ٩٢
المبحث الرابع: منجزات الحضارة الإسلامية، وأثرها في الحضارة الغربية .. ٩٦

الفصل الخامس

التيارات المعادية وكيف نواجهها بثقافتنا الإسلامية

تمهيد ١٠٥
- التحديات المعاصرة ١٠٥
- العلمانية ١٠٦
المبحث الأول: الاستشراق وخطره ١١٠
- مفهوم الاستشراق وتاريخه ١١٠
- طوائف المستشرقين ١١١
- دوافع المستشرقين ١١٣

- وسائل الاستشراق في العالم الإسلامي..... ١١٦
- بعض شبهات المستشرقين والرد عليها..... ١١٨
المبحث الثاني: التبشير (الغزو التنصيري)..... ١٢٥
- مفهوم التبشير..... ١٢٥
- وسائل التبشير وأساليبه لتحقيق أهدافه..... ١٢٨
- العلاقة القائمة بين التبشير والاستشراق..... ١٣٢
- مواجهة الحملات التبشيرية..... ١٣٢
المبحث الثالث: التغريب..... ١٣٥
- معنى التغريب وبدايته..... ١٣٥
- بدايات التغريب ١٣٥
- أهداف التغريب..... ١٣٦
- وسائل التغريب..... ١٣٧
- مخاطر التغريب..... ١٣٩
- مواجهة التغريب..... ١٣٩
- مخططات تغريب المرأة المسلمة..... ١٣٩
المبحث الرابع: الماسونية ومخاطرها..... ١٤١
- حقيقة الماسونية..... ١٤١
- متى بدأت..... ١٤١
- طبقات الماسونية..... ١٤٢
- خطر الماسونية على الإسلام والمسلمين..... ١٤٢
المبحث الخامس: العولمة..... ١٤٤
- نشأة العولمة..... ١٤٥
- أهداف العولمة..... ١٤٦

- مظاهر العولمة ١٤٨
- سبل مواجهة العولمة ١٤٩

الفصل السادس

المرأة في الإسلام

تمهيد ١٥٣
المبحث الأول: وضع المرأة ومكانتها قبل الإسلام ١٥٣
المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام ١٥٦
المبحث الثالث: أهمية الزواج في الإسلام ١٦١
- شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام والرد عليها ١٧٠

الفصل السابع

طلب العلم وآدابه في الإسلام

تمهيد ١٨١
المبحث الأول: تعريف العلم، ومدى اهتمام الإسلام به، وفضله ١٨١
المبحث الثاني: حكم طلب العلم ١٨٣
المبحث الثالث: آداب العالم والمتعلم ١٨٨

الفصل الثامن

العلاقات الاجتماعية والدولية في السلم والحرب

تمهيد ١٩٥
المبحث الأول: البناء الاجتماعي في الإسلام ١٩٥
- أسس البناء الاجتماعي في الإسلام ١٩٦
- عناصر بناء المجتمع المسلم ١٩٩
المبحث الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم ١٩٩
المطلب الأول: موقف الإسلام من الأديان الأخرى ٢٠١

المطلب الثانى: علاقة المسلمين بغيرهم داخل الدولة الإسلامية ٢٠٤
- الطائفة الأولى: الذميون وحقوقهم..... ٢٠٤
- الطائفة الثانية: المستأمنون وحقوقهم..... ٢٠٨
المطلب الثالث: علاقة الدولة الإسلامية بالدولة المحاربة ٢١٠
- أولاً: الجهاد..... ٢١١
- ثانيًا: مبررات القتال والحرب فى الإسلام..... ٢١٣
- ثالثًا: أخلاق الحرب فى الإسلام..... ٢١٧
- المطلب الرابع: الوفاء بالعهود والمواثيق ٢٢٢
- المطلب الخامس: التسامح مع غير المسلمين..... ٢٢٤

الفصل التاسع

الثقافة الإسلامية وتحصين الهوية

فى ظل التحديات المعاصرة

تمهيد..... ٢٣٥
- قدرة الأمة الإسلامية على الصمود والمواجهة..... ٢٣٥
- وسائل تحصين الهوية الثقافية..... ٢٣٨
المصادر والمراجع..... ٢٣٩
الفهرس..... ٢٥١

****